الاستعمار في
جنوب شرقي آسيا

الدكتور فايز صالح أبو جابر

دار البشير
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤١١هـ - ١٩٩١م

٩٥٠،٤ ر

فايـ فايز صالح أبو جابر

الاستعمار في جنوب شرقي آسيا في العصر الحديث/ فايز صالح أبو جابر ـ عمان: دار البشير، ١٩٩٠

(٢٢٤) ص

ر.أ (١٩٩٠/١٠/٦٧١)

١ ـ آسيا ـ تاريخ ـ عصر حديث أ ـ العنوان

(تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة المتسلسل: ١٩٩٠/١٠/٦٩٨م.

رقم الإيداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية: ١٩٩٠/١٠/٦٧١م.

دار البشير للنشر والتوزيع

هاتف: (٦٥٩٨٩١) / (٦٥٩٨٩٢)

فاكس: (٦٥٩٨٩٣) / تلكس: (٢٣٧٠٨) بشير

ص. ب: (١٨٢٠٧٧) / (١٨٣٩٨٢)

مركز جوهرة القدس التجاري / العبدلي

عمان ـ الأردن

Dar Al-bashir

For Publishing & Distribution

Tel.: (659891) / (659892)

Fax: (659893) / Tlx: (23708) Bashir

P.O.Box: (182077) / (183982)

Jerusalem Jewel Trade center Al-Abdali

Amman - Jordan

الاستعمار في جنوب شرقي آسيا

الدكتور فايز صالح أبو جابر



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

نعني بجنوب شرقي آسيا مجموعة البلدان التي تقع جنوب بلاد الصين وإلى الشرق من شبه القارة الهندية والمحاطة من الشرق ببحر الصين والجزء الجنوبي الغربي من المحيط الهادي، ومن الغرب بالمحيط الهندي وخليج البنجال.

ونعني بالعصر الحديث عصر النهضة الأوروبية من بدءِ القرن السادس عشر الميلادي وإلى اليوم. والذي آسْتُهِلَّ باستعمار منطقة جنوب شرقي آسيا.

تضُم منطقة جنوب شرقي آسيا، ومن الغرب إلى الشرق البلدان التالية: جمهورية بُرْما، مملكة تايلاند، جمهورية لاوْسْ، جمهورية كامبوشيا (كامبوديا قبلًا)، جمهورية فِيتْنامْ، فدرالية مَالِيسْيَا، جمهورية سِنْجافورا، جمهورية إنْدُونيسْيا، وجمهورية الفلبين.

صارت منطقة جنوب شرقي آسيا مُلْتقى حضارات عدة في التاريخ، لذلك فحضارات شعبها اليوم هي خليط من الحضارة الهندية الهندوسية القديمة، والحضارة الصينية والحضارة العربية الإسلامية، وحضارات الدول الأوروبية التي استعمرتها في العصر الحديث.

وقد شَهدت أمم تلك المنطقة في التاريخ، شأنها شأن غيرها من أمم مناطق العالم، أياماً عظيمة ومجيدة. وصارت المنطقة منذ الحرب العالمية الثانية محط أنظار العالم، إذ شهدت العديد من الأحداث الهامة منها ومن أهمها: الحرب الفرنسية الاستعمارية ضد الفيتناميين الذين طالبوا باستقلالهم مبكراً من الاستعمار

الفرنسي، وبثورة عارمة كادت أن تتخلص منه عام ١٩٥٤م لولا التدخل الأمريكي الاستعماري الذي أطال تلك الحرب التي شملت أخيراً كل أراضي ما كانت تسمى «الهند ـ الصينية ـ الفرنسية»، ولحتى عام ١٩٧٥م.

وقد أبرزت أحداث تلك الحرب الضَّروس، نقطة جوهرية في التاريخ الحديث، ألا وهي أن الغزو والاستعمار الأوروبي الذي باشر في القرن السادس عشر ميلادي، باشر في الأصل في أراضي جنوب شرقي آسيا هذه، وإن أدمى حرب استقلالية في عصرنا هذا انتهت فيها.

باشر الاستعمار الأوروبي هناك في الأصل من أجل اكْتِساب ونهب ثروات تلك المنطقة من البهارات التي كانت التجارة فيها محصورة إجمالاً في أيدي التجار والبحارة العرب والفرس المسلمين.

وقد كان التجار العرب يبتاعون البهارات من أهل جزر الهند الشرقية (أندونيسيا اليوم) ويستوردونها للعالم العربي. وما كان يفيض من الحاجة لها هناك كان يباع لتجار دوقية البندقية الذين أثروا من بيعها واحتكار التجارة فيها في القارة الأوروبية البادئة بالنهوض.

ومن أجل كَسْر احتكار العرب واحتكار تجار البندقية لتجارة البهارات بدأ الاستعمار الأوروبي بنهوض دولتي البرتغال وإسبانيا أولاً وبروزهما على الساحة الدولية. وقد كان لنهضة تلك الدولتين وحافزاً لبدءِ استعمارهما في جزر الهند الشرقية المُسلمة دافعٌ صليبي قوي دون الدافع الاقتصادي الاستعماري.. أي دافع السلب والنهب. إذ يجدر التذكير هنا بأن أيام رحلات البحارة والرواد الإسبان والبرتغاليين كانت أيضاً أيام ما زالت النعرة الصليبية ضد الإسلام في الضمير والتفكير الأوروبي على أشدها.

ونتج عن بدء الاستعمار هذا بدء عصر الاكتشافات الجغرافية الحديثة وعصر التجارة العالمية وعصر السيادة الأوروبية ومن بعدها السيادة الأمريكية.. سيادة

عسكرية وإقتصادية وعلمية وغيرها وعلى كل أطراف العالم. وما زالت تلك السيادة مفروضة إلى اليوم.

أما الهدف من هذه الدراسة هو اطلاع القارىء على ما قل ودل من تاريخ دول تلك المنطقة، خاصة تاريخها الحديث.. أي منذ بدء الاستعمار الأوروبي في بداية القرن السادس عشر ميلادي وانتهاء بانتهاء الاستعمار والتدخل الأمريكي هناك عام ١٩٧٥م واكتمال استقلال دول تلك المنطقة.

وقد أصبح الاصطلاح الجغرافي «جنوب شرقي آسيا» مألوفاً ومعمولاً به منذ الحرب العالمية الثانية فقط[1]. وتشمل المنطقة جغرافياً قسمين رئيسيين.. قسم تضمه شبه جزيرة. وقسم آخر مكونٌ من جزر. وتشمل شبه الجزيرة بلدان برما، وتايلاند (سيام قبلا)، وبلاد لاَوْس، وكامبوشيا (كامبوديا قبلًا) وفيتنام، وماليسيا (ملايا وغيرها قبلاً).

أما القسم المكون من جزر فيشمل سنجافورا وسلطنة «بْروني»، وأندونيسيا والفلبين.

مساحة المنطقة الإجمالية حوالي مليون ونصف المليون ميل مربع، أي ما يقارب نصف مساحة الولايات المتحدة أو أكبر بقليل من مساحة القارة الأوروبية إذا آسْتَثْنَيْنا أراضي الاتحاد السوفييتي. وتقع أراضيها فيما بين خط السَّرطان بالشمال وتمتد جنوباً إلى عشرة درجات جنوبي خط الاستواء وبشكل قوس يصل طرفه الجنوبي حتى الشمال من القارة الاسترالية. لذا فموقعها الاستراتيجي من أهم المواقع في الكرة الأرضية إذ يتسلَّطُ على طرق التجارة والمواصلات البحرية العالمية. والمنطقة أيضاً هي من أغنى مناطق العالم بالمواد المعدنية والبترولية والزراعية، وخاصة الاستوائية منها.

الطقس هنا إما استوائي أو شبه استوائي، ويقع الجزء الشمالي من المنطقة..

(١) راجع كتاب أ. هـ. ج، «دوبي» (Dobby) «جنوب شرقي آسيا» ١٩٥٠.

أي برما وتايلاند وفيتنام ولاوْسْ وكامبوشيا والفلبين.. في طريق الرياح الموسمية حيث تهطل هناك أمطار غزيرة في موسم الصيف. أما الجزء الاستوائي منها مثل ماليسيا وأندونيسيا فالمطر هناك حدث يومي والحرارة والرطوبة شديدتان طوال أيام السنة، إلا في أعالي الجبال.

يتكون سكان جنوب شرقي آسيا من خليط من الشعوب اختلطت وعلى مدى أكثر من ثلاثة آلاف سنة، فمنها وفيها دم من أصل هندي ومنها صيني. ومنها ماليسي ومنها من أصلٍ عربي. لذلك فأهلها هم إمّا من أتباع الديانة الهندوسية أو البوذية أو المسيحية أو من أتباع الدين الإسلامي.

جدول رقم (١)

دول المنطقة عام ١٩٨٩م

الدولة	العاصمة	عدد السكان بالمليون	المساحة بالميل المربع	دين الأكثرية
جمهورية برما	رَانْجون	٣٨	٢٦١,٧٨٩	بوذية
مملكة تايلاند	بانكوك	٥٠	١٩٨,٤٥٥	بوذية
جمهورية لاوس	فينْ تينْ	٤	٩١,٤٢٨	بوذية
جمهورية كامبوشيا	فْنوم بنْه	٦,٥	٦٩,٨٩٨	بوذية
جمهورية فيتنام	هانوي	٦٠	١٢٨,٤٠١	بوذية
جمهورية سنجافورا	سنجافورا	٣	٢٢٥	بوذية
فدرالية ماليسيا	كُوالا لَمْبور	١٥	١٢٨,٤٣٠	إسلام
جمهورية أندونيسيا	جاكارْتا	١٥٢	٧٤٠,٠٠٠	إسلام
جمهورية الفلبين	مانيلا	٥١	١١٥,٨٣٠	مسيحية

المصدر موسوعة كولمبيا

لا يسعني في المقدمة إلاّ أن أتقدم بالشكر لمؤسسة آسيا التي منحتني منحتين دراسيتين على مدى سنتين متتاليتين للتعرف على هذا الركن من العالم . . جغرافيته وتاريخ وحضارات شعوبه .

الدكتور فايز صالح أبو جابر

الفصل الأول

معلومات عامة

تعد بلدان جنوب شرقي آسيا من مجموعة بلدان العالم الثالث[١]، أي ما زالت بلدان في طور النمـو (أو التخلف) زراعياً وصنـاعياً واقتصادياً واجتماعياً وغيره، ولنعرف هنا ما يعرف بالتخلف عند تلك الدول أو ما تُحبذُ دول العالم الثالث تسميته «دور النمو» .

التخلف :-

ما زالت معظم دول العالم الثالث في آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية ، والتي تركها الاستعمارُ حديثاً في حالة تخلفٍ وفقرٍ كبيرين ، مع العلم أن الكثير منها أنجز شبه المعجزات من التقدم والتطور في خلال عقدين أو ثلاثة من استقلالها .

ولقد وجد العالم الثالث نفسه ، وبعد استقلاله ، في سباقٍ مع الزمن لمحاربة التخلف والفقر التي تركها فيه الاستعمار الأوروبي والأمريكي . أما صفات التخلف فهي :-

١ . عدم وجود مرتكزات علمية أو تكنولوجية حديثة .
٢ . عدم أو قلة وجود طرق مواصلات حديثة .
٣ . عدم وجود خبرات عند العمال والموظفين في الدولة .
٤ . تفشي الأمية أو شبه الأمية .
٥ . الخدمات المدنية إما فاسدة أو غير مقتدرة .

---

(١) «العـالم الثـالث» اصطلاح استعملـه أولاً الفرنسيون ومنذ الحرب العالمية الثانية . راجع كتاب «التاريخ السياسي الحديث» ١٩٨٩م للمؤلف .

٦ . نسبة بطالة عالية وشبه بطالة دائمة .

٧ . معظم الأيدي العاملة تعمل بزراعة غير متطورة أو علمية .

٨ . كثرة التناسل الذي يُجهض ما يُنْجزُ من تَطوُّر .

٩ . كثرة الأمراض وقلة العناية الصحية وكثرة الوفيات خاصة عند الأطفال .

١٠ . العلاقات العائلية تتشعب لأجيال عدة مما يجهض الطموحات الفردية .

١١ . العلاقات الاجتماعية إقطاعية أو عشائرية بدل أن تكون وطنية .

١٢ . سوء استعمال الادمغة المفكرة إن وُجدتْ، أو استعمالها في غير مكان خبراتها، ولربما «الخوف» من خبراتها عند من رَسَخ في كراسي البيروقراطية، مما يسبب النزوح الفكري، به إذ يهاجرمن تعلم في العالم الثالث إلى أوروبا أو أمريكا . ويُسَهل هذه الظاهرة ضعف الشعور بالوطنية عند هؤلاء .

١٣ . قلة الصناعات والمدارس والجامعات .

١٤ . عدم تشجيع الفردية أو حرية الرأي والنقد . . حتى البنّاء منه من قبل المجتمع بل بالعكس يُجْبر المتعلم أخيراً أن يصغي ويذعن لآراءٍ بدائيةٍ ليبرهن في كثير من الأحيان تواضعه وليتحاشى النقد بأنه صار «فيلسوفاً»! .

١٥ . قلة النظام والتنظيم وكثرة الفوضى والمحسوبيات في معظم الأمور الحياتية اليومية . . إدارياً، سياسياً، اجتماعياً، توظيفياً وهلم جرّا .

١٦ . تخلف وضع المرأة علمياً واجتماعياً وقانونياً وغيرها وزجِّها في البيوت أو في حقول الزراعة .

وتنطبق هذه الصفات إجمالاً على البلدان المعنية بها هذه الدراسة . مع العلم أن هناك إمكانات قوية لهذه المنطقة خاصة في مجال الزراعة وإن تطورت تطوراً فنياً وتقنياً، وفي مجال محاصيل الغابات والتنجيم والصناعات المتطورة . إذ يوجد هنا دول تصدر المواد الغذائية . . الأمر الذي يندر في دول العالم الثالث حيث إن معظمها يستورد الكثير من طعامه . ومع ذلك، ففي الإمكان تصدير كميات أكثر بكثير مما يصدر الآن فيما لو تطورت الزراعة أكثر هناك .

منطقة جنوب شرقي آسيا من أغنى بقاع العالم في المعادن وفي محاصيل

الغابات . وتشمل هذه الثروة معظم منتجات العالم من المطاط الطبيعي ومن القصدير والقِنَّب وجوز الهند والسكر والبترول والشاي والكينا وخشب السَّاج (التِّيك، تصنع السفن منه) ومعدن التَّنجسْتُونْ والمَنْجَنِيزْ والرز والقهوة والعديد من أثمن وأشهر البهارات . وما زالت معظم الأراضي الزراعية هناك تستعمل في زراعة الرز، الغذاء الرئيسي في كل تلك البلدان .

أما الصناعة هناك فما زالت في طور النُّمُوْ . . إلا في جمهورية سنجافورا الصغيرة الحجم والسكان . وما زالت المنطقة تستورد معظم البضائع المصنَّعة وخاصة المطوَّرة منها كالطائرات والسيارات وآلات الحاسوب وغيرها . ومما يؤخِّر حركة التصنيع هنا عدم وجود عمالة ذات تقنيات، وعدم وجود طاقة رخيصة كالمولدة من الماء أو الفحم . كذلك أخَّر من تطوير الصناعة هناك تراكض معظم هذه الدول لتأميم صناعاتها (وخاصة الدول الشيوعية منها) مما أبعد المستثمرين من الداخل ومن الخارج كالمستثمرين اليابانيين والأوروبيين . لذلك معظم ما يصدر من المواد المعدنية خاصة يُصَدَّر خاماً ولا يَتَصَنَّع هناك .

أصناف الزراعة

تمارس في المنطقة أربعة أَنْمطةٍ زراعية وهي :-

١ . ما يُسمى «نمط الكفاف المُتجوِّل» (migratory subsistence). ويسمى هذا النمط أيضاً «نمط القَطْع والحرق» (slash and burn).

٢ . «نمط الكفاف المُسْتَتِبْ» (sedentary subsistence).

٣ . «النمط المُسْتَتِبْ التجاري» (sedentary commercial).

٤ . «نمط المستعمرات» (Plantation) أي نمط المزارع الكبيرة .

والنمط الأول تعمل به القبائل البدائية التي تعيش في الأراضي الوعرة الجبلية والنائية في أواسط الغابات مثل أراضي أقصىٰ الشمال من دول برما وتايلاند ولاوْسْ وجبال «أنَام» في فيتنام وفي الشرق من جزيرة سُمَطْرا بأندونيسيا ومعظم أراضي جزيرتي «بورنيو» و«سِلِيبِسْ» في أندونيسيا .

ففي تلك المناطق تتجول قبائل رُحَّلْ، تكاد تكون في طور الفطرة، من مكانٍ إلى آخر. وحيثما تحِل تأخذ بقطع الأشجار أو الأعشاب الكثيفة أو تحرقُها ومن ثم تزرع بالأرض الجرداء بعض المحاصيل التي تأكلها كَنَبْتَةِ «الكاسافا» وبأدواتٍ بدائية جداً. وعلى العموم، أرض الغابات الاستوائية هي أرضٌ عقيمة خاصة للزراعة السطحية مثل زراعتهم، حيث أن معظم المواد المغذية فيها قد ذابت منذ زمنٍ لكثرة الأمطار ونقلت من هناك. لذلك، فبعد موسمٍ أو اثنين من تلك الزراعة لا تنتج الأرض شيئاً يذكر. بعدها تنزح تلك القبيلة أو المجموعة البشرية من هناك إلى ناحية أخرى من الغابات وتبدأ تلك العملية من جديد. وفي الكثير من الحالات تقطع تلك القبيلة أو تحرق جزءاً كبيراً من الغابات التي تحتوي على أخشابٍ ثمينة كخشب السَّاج (التِّيك) أو خشب «الماهون». لذلك فهذا النوع من الزراعة ممنوع في معظم تلك البلدان لما يؤدي من ضرر كبير بالغابات الثمينة. وقد حاولت، وما زالت تحاول حكومات المنطقة إغراء تلك القبائل للتوقف عن تجولهم وعن تلك الزراعة بإعطائهم قطعاً من الأراضي الحكومية ليسْتَتِبوا فيها. وعلى العموم فكل هذه الإغراءات لم تجد نفعاً إلى اليوم.

أما نمطي «الكفاف المستتب» و«النمط المستتب التجاري» فهما النمطان الأكثر انتشاراً في المنطقة. هنا تكثر أنواع المحصولات وتتنوَّع، ويستعمل الفلاح فيها أدوات زراعية محسَّنَة وحتى مبيدات حشرية وأسمدة في بعض الأحيان. وقد نتج عن قدوم الأوروبيين تنويع كبير في المحصولات، حيث أتى هؤلاء ببذور الذرة والصويا والفستق مثلاً وغيرها. كذلك جلبوا للمنطقة شجرة المطاط وشجرة الكِينا اللتين اكتشفوهما في أمريكا الجنوبية. كذلك تعرفت المنطقة بواسطتهم على نبتة البُن (القهوة) والتي هي من أصل عربي يَمَني.

تقل تربية المواشي هنا، كالأبقار والغنم، ولقلة استهلاك لحومها في طعام الأهالي. والمصدر الرئيسي للبروتين هناك هو السمك. وتكثر أنواع الفواكه ويكثر استهلاكها، كالموز وجوز الهند والبابابة والمَنْجو وغيرها. وتوجد معظم الزراعة قرب ضفاف الأنهار وخاصة في مناطق مصبات الأنهار حيث يعيش معظم أهالي تلك الدول.

وقد بدأ «نمط المزارع الكبيرة» أو «المستعمرات» في عهد الاستعمار وطوَّره المستعمرون، خاصة في جزيرة جاوا بأندونيسيا وفي شبه جزيرة ملايا في ماليسيا وفي جزيرة لوزان بالفلبين. ففي جاوا طور الهولنديون هذا النمط وفي زراعة البهارات والكينا خاصة. واهتم الإنجليز في ملايا بزراعة المطاط والشاي والكينا. وبدأه الهولنديون أولاً في جزر «الملوكا» بأندونيسيا المشهورة أكثر باسم «جزر البهارات»[٢] وانحسرت في بادىء الأمر بزراعة البهارات وتصديرها. بعد ذلك اهتم الهولنديون أكثر بجزيرة «جاوا» (حيث تقع العاصمة جاكارتا اليوم والمكتظة بالسكان)، وجعلوا منها كلها تقريباً مزرعة هائلة الحجم من المطاط والشاي والكينا والقهوة والرز.

واهتم الأمريكيون بالفلبين بزراعة قصب السكر. ومن أجل الإنتاج الأوْفَر أكثر المستعمرون من الدراسة والبحث في موضوع الزراعة بهدف تطوير بذور تلك المحصولات وتحسين نوعياتها. وصارت «مشاتل النباتات» في جاوا وفي سنجافورا من أشهر المشاتل في العالم من حيث تعدد النوعيات وجودتها. ويقول العلامة الجغرافي الأمريكي جورج «كِرْسي» (Cressey) في كتابة المعروف «آسيا» إن معظم البحث والدراسة في زراعة السكر مثلاً أنجزه الهولنديون في مستعمراتهم الزراعية بأندونيسيا وخاصة في جزيرة جاوا.

وقد حل في تلك المستعمرات الزراعية ضرر كبير إبان الحرب العالمية الثانية. إذ أنه حين آحتلت اليابان الأراضي تدمَّرَ الكثير من تلك المزارع وخاصة على يد الإنجليز والهولنديين المتراجعين أمام المستعمر الجديد خشية وقوعها في يد منتجة. ولما تراجع اليابانيون فيما بعد أكملوا تدميرها حتى لا تقع في أيدي الهولنديين والإنجليز الذين حرروها. وحتى بعد انتهاء الحرب الثانية اشتعلت حروب الاستقلال هنا وهناك مما أتَمَّ من خراب المستعمرات وأطال من إهمالها. وبالطبع بعد أن خرج الأوروبيون من هناك لم تجد دول المنطقة الرأسمال الكافي أو التقنيات والمهارات الكافية لإدارة تلك المزارع مثلما كانت عليه من قبل.

---

(٢) وتعرف أيضاً باسم «جزر الكنز».

تعرضت هذه المنطقة طوال تاريخها لتيارات خارجية مختلفة أثرت عليها. منها سكانية على شكل موجاتٍ من القبائل النازحة إليها وخاصة من الصين، أو حضارية ودينية كالاحتكاك بأهل الصين والهند وبالفرس والعرب وأخيراً بالأوروبيين. فقد صدرت الصين لهناك موجات متتالية من القبائل النازحة إليها ومعها الحضارة الصينية والكنفوشية. وصدرت الهند إلى هناك الديانة الهندوسية والبوذية. وجاء التجار العرب، تجار البهارات، بالدين الإسلامي. وتزاوج هؤلاء من أهالي الجزء الجنوبي من تلك المنطقة وهم من أصل ماليسي. كذلك فالكثير من أهالي برما وتايلاند وفيتنام ولاوْسْ من أصلٍ صيني وديانتهم البوذية مطعمة بالفلسفة الكُنْفوشية. وبالطبع لما جاء الأوروبيون لهناك أدخلوا معهم حضاراتهم والدين المسيحي.

ويَتفاوَتُ التأثير الأوروبي هنا حسب تفاوت مدة الاستعمار وسياسة المستعمر. فالاستعمار الهولندي طال لأكثر من ثلاثماية وخمسين سنة في جزر الهند الشرقية (أندونيسيا). بينما حكمت فرنسا الهند ـ الصينية (فيتنام، لاوس، كامبوشيا) حوالي ثمانين سنة فقط. واستعمرت بريطانيا جزر مضيق «مَلاكَا» (التي سمتها «مستوطنات مضيق ملاكا») مدة أطول مما استعمرت شبه جزيرة ملايا «وسرَاوَاك» و«صباح» و«برما»، لذلك كان تأثيرها على المستوطنات في المضيق أكثر من غيره. وحكمت إسبانيا جزر الفلبين أطول من ثلاثماية سنة وفرضت المذهب الكاثوليكي المسيحي فرضاً على أهلها وعمَّ فيها الاقتصاد والنمط الزراعي الإقطاعي الذي أدخله الاسبان. ولم يطل الاستعمار الامريكي للفلبين. واكَّدتْ امريكا في ايامها هناك على نشر التعليم وعلى زراعة السكر اكثر من غيره. واكدت بريطانيا في برما وفي ملايا على فرض أنظمتها القانونية والادارية. وحكمت برما حكماً مباشراً بينما اعتمدت في ادارة ماليسيا واتبعت الحكم غير المباشر، أي حكمت بواسطة امراء وسلاطين محليين. ولم تعتن بريطانيا بفرض دينها المسيحي (الانجليكاني) ولا بالتبشير به لا في برما ولا في ماليسيا. كذلك اهتم الهولنديون في اندونيسيا بالزراعة

وخاصة نمط المزارع الكبيرة اكثر مما اعتنت بنشر الدين المسيحي ومذهبهم اللوثري. ولربما كان ذلك لادراكهم صعوبة تمذهب الاهالي المسلمة. واعتمدت هولندا ايضاً هناك على الحكم غير المباشر.

وقد حكمت فرنسا مستعمراتها فيتنام ولاوس وكامبوشيا حكماً صارماً ودكتاتورياً أكثر من غيرها من المستعمرين. وحاول المبشرون الفرنسيون نشر مذهبهم الكاثوليكي هناك بكل الطرق بما فيها طريقة «الرشوة»[1].

وقل التزاوج أو الاختلاط الاجتماعي بين المُسْتَعْمِر والمُسْتَعْمَر في كل تلك البلدان. ولربما كان الفرنسيون والأمريكيون أكثر من غيرهم اهتماماً بنشر لغتهم وحضاراتهم هناك.

وقد جاء المُسْتَعمر للمنطقة بفكرة الوطنية الحديثة وبالأفكار الليبرالية مما أيقظ شعوبها للمطالبة بحقوقها وباستقلالها. وبالطبع كان هناك التناقض الفكري والفلسفي الذي اصطحب الاستعمار الأوروبي والأمريكي أينما وجدا في آسيا أو في غيرها. فها هم الفرنسيون يتكلمون عن عظمة ثورتهم التي طالبت بحقوق الإنسان ونادت بالوطنية الفرنسية بينما كانوا يستعمرون ويفرضون حكمهم ولغتهم ودينهم وحضارتهم على أهل فيتنام ولاوس وكامبوشيا، وبكل صرامة واستبداد.

كذلك تكلم الأمريكيون وبكل فخرٍ عن «الديموقراطية» وحقوق الإنسان وحق تقرير المصير وحرية هذا وذاك وبنفس الوقت يفرضون استعمارهم واقتصادهم العنيف الاستغلال على أهل الفلبين. لذلك فكل الكلام عن «الديموقراطية» وغيرها من الأفكار الليبرالية الأوروبية لم تقنع أحداً في المنطقة، إلاّ أفراد تلك الطبقة التي خلقها الاستعمارُ أينما وُجد. تلك الطبقة من المرتزقة التي سماها نابليون «القمل الذي يعيش على ظهر الغازي»!! ولربما كان التأثير فيه، أو رد

(٣) أي رشوة العائلة الفيتنامية الفقيرة مثلاً بكمية من الرز كل نهار أحد، هذا فيما لو ترددت تلك العائلة أو بعض أفرادها على الكنيسة، وقطع هذا المد فيما إذا انقطعوا عن التردد على الكنيسة. وقد سُمي هؤلاء الذين تمذهبوا بهذه الطريقة «مسيحيو الرز».

الفعل منه سلبياً أو هزلياً أكثر مما كان مُقْنِعاً أو إيجابياً. ويجدر الإشارة هناك إلى نقطة مهمة وجوهرية. . وهي أن الدول التي تبجَّحَتْ أكثر من غيرها في أوروبا (وأمريكا) عن الديموقراطية والليبرالية وحقوق الإنسان وحق تقرير المصير وغيره، هي نفس الدول التي صارت في العصر الحديث دول الاستعمار العظمى، وهي بريطانيا وفرنسا وأمريكا وهولندا والبلجيك.

لهذا، وبعد أن خرج المستعمرون من تلك البلدان (ومن غيرها في باقي آسيا وإفريقيا وأمريكا الجنوبية) تفشَّت الدكتاتورية فيها أكثر بكثير مما انتشرت الديموقراطية أو احترام عامة الشعب. كذلك عَمَّت البيروقراطية الفاسدة أكثر من الإدارة النزيهة. إذ أن البيروقراطي المحلي أيام الاستعمار سعى إلى إرضاء المُسْتَعْمِر بكل الطرق أكثر مما اهتم بشأنِ شعبه أو خدمته. ولكل ذلك نجد أنه من المُسْتَغْرب، ولربما من المضحك أن «تستنكِر» بريطانيا اليوم، وخاصة أمريكا في دعاياتها وفي صحفها انتشار الدكتاتوريات المحلية في العالم الثالث واستمرار الفساد واستفحاله بعد أن آسْتقل ذلك العالم من استعمارهم الدكتاتوري الذي شجع على الفساد في مجتمعات تلك الشعوب. ومما لا شك فيه هو أن ذلك «الاستنكار» هو استنكار مصطنع وفي منتهى النفاق. كذلك من الصعب أن يتوقع أحد (وكما توقعت خاصة أمريكا بعد أن أصبحت الدولة الأعظم بعد الحرب العالمية الثانية) أن تصير قيادات تلك الدول المستقلة حديثاً من دول «الغرب» دول الاستعمار، أن تصير تلك القيادات «ميالة للغرب». والنعت هذا هو من اختلاق الصحفيين والساسة الأمريكيين في الحرب الباردة التي جرت بعد الحرب العالمية الثانية ويعني «ميالة» لأمريكا وليس إلا. وبالطبع فالنعت نفسه إهانة لكل قائد وطني صادق أينما كان. فالزعيم الأندونيسي مثلاً، وإن كان وطنياً صادقاً فهو «ميالٌ» فقط لأمته ولخدمتها ولرعاية مصالحها قبل كل شيء. وخير ما كان يجب أن يُتَوَقَّع من زعماء العالم الثالث وبعد استقلالهم وإزاء الحرب الباردة بين دول أوروبا الغربية ودولها الشرقية هو موقف «عدم الانحياز» في أحسن الأحوال.. إذ لا ناقة لهم فيها ولا جمل!! وهذا ما جرى.

الديانات في المنطقة:

معظم أهالي جنوب شرقي آسيا من أتباع ثلاثة ديانات وهي البوذية والإسلام والمسيحية. فالبوذية هي ديانة معظم أهل برما وتايلاند وفيتنام ولاوس وكامبوشيا ونصف أهالي شبه جزيرة ملايا تقريباً. والدين الإسلامي هو دين الأكثرية الساحقة في أندونيسيا وأكثر من نصف أهل ماليسيا. وهناك أقلية مسلمة تعد حوالي عُشْر سكان الفلبين وتوجد إجمالاً في الجزر الجنوبية من تلك البلاد. أما معظم سكان الفلبين فيتبعون الدين المسيحي ومن المذهب الكاثوليكي.

البوذيـــــة:

ظهر الدين البوذي في الشمال من الهند (في أراضي نيبال اليوم) وفي القرن السادس قبل المسيح. وكان ظهوره على شكل حركة إصلاحٍ للديانة الهندوسية[٤]. وقد بدأ تلك الحركة أمير من نيبال اسمه «جْواتَامَا شَاكْيا»[٥]. وتعني كلمة «البوذية» في اللغة السَّانْسْكريتية (وهي لغة الهند القديمة) «حالة التَّنور». وموجز تعاليمها هو أن الحياة الدنيا ملآى بالمتاعب والمشاق والآلام، وإن تلك هي الحالة الطبيعية في الحياة. ومما يُسبب تلك الآلام للجنس البشري، وما يجر له المشاق هو تقيده «بسلاسِل» من عنده تجعله لا يدرك معنى الحياة وبهذا تعرضه للمهالك النفسية والعذاب. وعدد «جْوَاتاما» تلك السلاسل كالطمع والكبرياء والاعتقاد بالخرافات والنفاق والنوايا السيئة والتهافت على أمور الحياة الدنيا والشهوات وما شابه. ومما يجعل الإنسان يتقيد بتلك السلاسل، وبمحض إرادته، هو عدم فهمه أو إدراكه «ماهية نفسه»، أي جهل ذاته. ونواة عدم إدراكه هذا هو ظنه أنه سرمدي لا يزول. وبالطبع فالذات زائلة. وما هو أبدي وحقيقي هو «الذات

(٤) مثل حركة الإصلاح «البروتستنتية» التي بدأت في القرن السادس عشر في العالم المسيحي.. أي إصلاح المذهب الكاثوليكي.

(٥) توفي هذا حول ٤٨٣ قبل الميلاد تقريباً.

الأعظم»، أو هي «الطبيعة». وليبتعد الفرد من الآلام وليتحاشى تقيده بسلاسل من مشيئته، وليدرك ذاته ويفهم ماهية الحياة كلها يجب عليه اتباع «طرق ثمانية سليمة». وعدد جْواثاما هذه على النحو التالي:

١. الفهم السليم.
٢. الهدف السليم.
٣. النطق السليم.
٤. المهنة السليمة.
٥. الجهْد السليم.
٦. الانتباه السليم.
٧. السلوك السليم.
٨. التركيز السليم.

وباتباع هذه يتجرد الإنسان من المطامع والشهوات الدنيوية ومن الركض وراءها. حينها يصل إلى حالة من الراحة النفسية والطمأنينة المثالية سماها «جْواثاما» «نِرْفانا». فيها تدخل النفس في عالم الخلود وتتوصل للراحة الأزلية وللخلاص من دَوَّامة تناسخ الأرواح. ويجدر أن نذكر هنا أن تناسخ الأرواح، أي رحيل الروح من كائن لآخر هو أمر سلبي وغير مرغوب فيه في البوذية وأمها الهندوسية. وفي حالة الخلاص من عملية تناسخ الأرواح يصبح صاحب تلك النفس «بوذا»، أي شخص «مُتَنَوِّر».

وقد اضطهدت الديانة الهندوسية الحركة البوذية هذه، شأنها شأن كل الديانات إزاء حركاتٍ سمت نفسها «حركات إصلاح». لذلك لم ينتشر المذهب البوذي أبداً في الهند مثلما انتشر خارجها في الصين واليابان وكوريا ومنجوليا وبلدان جنوب شرقي آسيا التي ذكرناها.

يوجد اليوم في البوذية مذهبان رئيسيان[6] هما: ـ مذهب «هِنَايَانَا» وهو المذهب

(٦) ظهر حديثاً آخر سموه أتباعه «المذهب الجديد» أو «المركبة الجديدة» ويرى هؤلاء أن الوصول إلى حالة التنور ممكنة بواسطة العلم والمعرفة واتباع الطرق العلمية في مجرى الحياة.

الأصلي. ومذهب «مَهَايانا» وهو اجتهاد فيه. وتعني كلمة «هِنايانا» بلغة سَانْسْكريت «المركبة الصغيرة». وتعني «مَهَايانا» «المركبة الأكبر». وتقول الأولى وهي الأصل إن الإنسان يصل إلى حالة التنور «نرفانا» بواسطة أعماله الصالحة واتباعه حرفياً الطرق السليمة المعددة بالدين، وليس بواسطة الصلوات أو الابتهالات لأية آلهة وما شابه. حيث إن تلك الابتهالات لا تجدي نفعاً. وما يجديك نفعاً هو خلاص نفسك بنفسك أي بواسطة «مركبتك الصغيرة» وباتباع الطرق الثمانية السليمة.

ويرى المذهب الثاني والمجدد على الأصل.. مذهب «مَهَايانا» (المركبة الأكبر) أن اتباع الطرق السليمة توصل الإنسان ولا شك إلى حالة «نرفانا». غير أن كهنة المذهب هذا جددوا على الديانة «الإيمان» بوجود أرواحٍ «متنورة» من القوم السالفين، تساعد الأحياء على التوصل إلى التَّنُّور مثلها، فيما لو قدمت لها **الصلوات والابتهالات والقرابين وغيرها. أي إن هذا النمط المجدِّد أدخل على الدين** عامل الإيمان.. لما يشبه الإيمان بالآلهة في الديانات الأخرى. وألقى هؤلاء الكهنة نعت «بوذا سِتْفا» على تلك الأرواح المتنورة التي تشفع بالأحياء وتساعدهم على الوصول إلى الخلاص من دوامة تناسخ الأرواح وإلى الوصول إلى حالة «نرفانا».

وقد بدأ المذهب الأخير في الصين وانتشر هناك ومن ثم إلى كوريا واليابان أكثر مما انتشر في البلدان الشمالية من جنوب شرقي آسيا التي تتبع البوذية والمذهب الأصلي منها.. مذهب «هَنايانا».

الإســـــلام:

يقول المؤرخ الإنجليزي «هول»[7] في كتابه «تاريخ جنوب شرقي آسيا» إن العرب تاجروا مع أهل ماليسيا وجزر الهند الشرقية وحتى وصلوا الصين واتصلوا مع أهلها قبل ظهور الإسلام في الجزيرة العربية بكثير. وازدهرت تلك التجارة أكثر بعد نهضة العرب تحت راية الإسلام وانتشار دينهم وبَسْط سلطان دولتهم حتى

(٧) D.G. Hall A History of Southeast Asia, 1961

وصلت الهنـد والصين. وبذلك انتشر الدين الإسلامي. ويقول «هول» إن عدد المسلمين الصينيين كثر لدرجة أنهم احتلوا في عام ٧٥٨م مدينة «كانتون» وإلى حين، وهي المـدينـة الـرئيسية في جنـوب الصين. وجاء ذلك بعد أن ضايقتهم السلطات الصينية البوذية هناك.

وما إن جاء القرن العاشر الميلادي، أي الرابع الهجري، حتى تسلط التجار العرب على معظم تجارة البهارات في جزر الهند الشرقية وعلى تعدين القصدير والتجـارة به وخـاصـة في جزيرة سمطرا. وأهم من ذلك انتشر الدين الإسلامي بواسطتهم وبواسطة التزاوج والاحتكاك الاجتماعي مع أهالي تلك المناطق أكثر مما كان بواسطة التبشير. وما إن انتهى القرن الثالث عشر ميلادي حتى أصبحت سمطرا وسلاطينها مسلمون ومعها معظم الجزر الصغيرة التي تحيطها[٨].

وبدأ الدين الإسلامي بالانتشار في شبه جزيرة ملايا مع ابتداء القرن الرابع عشـر حينمـا بسطت الدولة الإسلامية المهمة.. دولة «مَجَابَاهيتْ». والتي كان مركزها جزيرة جاوا (الإندونيسية) سلطتها على تلك الأراضي. وسنتكلم عن تلك الدولة عندما نعرض تاريخ أندونيسيا فيما بعد.

وفي تلك الأثناء كان الدين الإسلامي قد وصل أيضاً إلى جزر الهند المسماة اليوم «الفلبين» وانتشر شمالاً حتى مدينة «مَانِلاَ» عاصمتها اليوم[٩]. ووصل الدين الإسـلامي وانتشر في «جزر البهارات» (الملوكا) في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي. وعاصر ذلك وصول البحارة البرتغاليين إلى الهند والذي كان رائدهم القبطان «فاسْكو داجاما»[١٠].

وبالطبع وبعد وصول البرتغاليين إلى جزر الهند الشرقية وإلى بهاراتها.. وهي

(٨) هول H8 Gibbs Mohammadanism, 1955

(٩) تسمى العاصمة اليوم «مدينة كويزان» بعد الزعيم الفلبيني ما نويل كيوزان وهو أول رئيس للفلبين وهي في طريقها للاستقلال التام من أمريكا.

(١٠) وصل هذا الهند مستديراً حول رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٨م.

بيت القصيد من كل حملاتهم. جرت حروب صَليبية جديدة ضد الإسلام مثلما جرت من قبـل حينما غزا الأوروبيون الشرق العربي ولمحاربة الإسلام في عقر داره[١١]. وهكـذا بدأ الاستعمـار الأوروبي الحديث في كل العالم الثالث، بدأ باستعمار جزر الهند ومن بعدها في كل أطراف آسيا وإفريقيا والقارتين الأمريكيتين.

ويجـدر الـذكر هنا أن الاستعمار الأوروبي، وخاصة الهولندي والإنجليزي والفـرنسي أُنجز بواسطة حملاتٍ عسكرية بحرية موَّلها تجار ورؤساء أموال تلك الدول وليس حكوماتها. وقد أَسَّسَ هؤلاء ولذلك الغرض «شركات تجارية» في لندن وفي أمستردام وفي باريس موَّلت تلك الحملات واستعمرت باسمها. كذلك هدفت تلك لمحاربة الإسلام والعرب وأخذ تجارة البهارات منهم ونشر الديانة المسيحية بالسيف إن لزم الأمر. وحتى حملات «دِيَازْ» و«كولمبس» و«داجا» وغيرهم من الرواد البرتغاليين والإسبان الأُول.. أي قبل ظهور الهولنديين والإنجلزي والفرنسيين على شاشة الاستعمار.. كانت ممولة من قبل أفراد وعائلات ثرية إيطالية أو ألمانية أو برتغالية وإسبانية وكأنها حملات تجارية. كذلك ساهمت العائلات المالكة ومن أموالها الخاصة في ذلك. حتى إن البابا نفسه في روما ساهم في تمويل ودعم تلك الحملات لتدرَّ عليه وعلى الكنيسة مرابح ومكاسب مالية اقتصادية أكثر مما هي دينية[١٢]. كذلـك ساهم الكثير من العـائـلات اليهودية الثرية الأوروبية في تلك الحملات. ومعظم هؤلاء كانوا من يهود البرتغال وإسبانيا والذين ترعرعوا وأثروا في ظل الدولة العربية الأندلسية وطردوا مع العرب من شبه جزيرة ايبيريا بعد استقلال تلك من العـرب تمـامـاً عام ١٤٩٢م. حينها توجه عرب الأندلس إلى الأراضي العربية في شمال إفريقيا. أما يهود الأندلس فقد نزح معظمهم إلى الشمال من هناك وإلى دول أوروبا الآخذة بالنهوض، وخاصة دول الشمال التي اعتنقت المذهب البروتستنتي الذي بدأ وعاصر خروج العرب واليهود من الأندلس. وكان السبب في

(١١) وبدأت الحروب الصليبية الأولى أواخر القرن الحادي عشر ميلادي.

(١٢) راجع هذه النقـطة مطولاً وموثقاً في كتاب للمؤرخ الإنجليزي المعروف ريشارد هنري «تاوني» في كتابه القيم بعنوان «الديانة وظهور الرأسمالية»، ١٩٢٦م.

R. H. Tawney, "Religion and the Rise of Capitalism", 1926.

ذلك أولاً لعدم الترحيب بهم في الدول الكاثوليكية والتي ظلت كاثوليكية بعد «حركة **الإصلاح» مثل إيطاليا وفرنسا، ولتحاشيهم الهجرة إلى هناك خوفاً من الاضطهاد** الديني الذي عانوه على أيدي الاسبان والبرتغاليين الكاثوليك، وثانياً لأنهم، وكالعادة اليهودية منذ القدم[١٣]، أرادوا التوجه إلى دول «مُشْرِقة» أي مبشرة بالنهوض والازدهار وليزدهروا ويثروا معها وفي ظلها واستنكفوا عن النزوح مع العرب إلى شمال أفريقيا ولأن العرب أصبحوا يمثلون دولة «مُغْرِبة» بادئة بالتراجع وبالسُّبات.

وكما قلنا، لقد ساهم أثرياء اليهود وخاصة في هولندا وبريطانيا **كثيراً** في تمويل الحملات الأوروبية الاستعمارية الهادفة لنهب جزر البهارات المسلمة واستعمارها واحتكار زراعة وتجارة البهارات وطرد التجار العرب (المماليك) من هناك. كذلك تبرع العديد منهم بالقيام بمهمة «مخلب القط» ضد العرب والمسلمين[١٤]، ولأن الكثير منهم من كان يتكلم العربية وعاش مع العرب في الأندلس ويعرف نقاط ضعفهم. لذلك كان الكثير من قادة تلك الحملات البحرية الحربية يهود من هولندا وغيرها. فعلى سبيل المثال كان أول قائد هولندي وصل جزر البهارات (الملوكا) يهودي اسمه «هوتْمان». وكان ذلك عم **١٥٩٦م**. وقد أرسله جماعة من تجار مدينة أمستردام الهولندية للاستطلاع عن قوة وضعف البرتغاليين والإسبان الذين سبقوا هولندا في استعمار جزر البهارات بحوالي قرن كامل. أما القبطان «الهولندي» الذي أخذ الجزر من البرتغاليين أخيراً وصارت بعدها مستعمرة لما سُميت «شركة الهند الشرقية الهولندية» فكان اسمه جان كُوهين (Coen). وقد وصل هذا إلى تلك النواحي عام **١٦٠٦م** وكان حينها في التاسعة

(١٣) يلاحظ اليوم مثلاً أنهم ومنذ بدء القرن العشرين أخذوا بالنزوح إلى الولايات المتحدة وتركهم حتى دول أوروبا ولأن هذه بدأت بالتراجع الاقتصادي والضعف وبدأت الولايات المتحدة تتسلق سلم العظمة والازدهار اقتصادياً وصناعياً وغير ذلك.

(١٤) وهو مثل آخر من عدم وفاء هؤلاء للشعوب التي تستضيفهم وتعاملهم بتسامح ومساواة لم يعرفوها إلاّ عند العرب.

عشرة من عمره فقط[١٥] وفي خلال أقل من **خمس** سنوات من وجود كوهين هناك، طرد هذا ما تبقى من التجار والمستعمرين البرتغال، وأبعد من بدأ بالتدخل هناك من البحارة والتجار الإنجليز، وطوّع سلطان جزيرة «تارنيت» الرئيسة في جزر البهارات والذي ظل ليومها يدافع عن نفسه وعن شعبه من الاستعمار البرتغالي.

لذلك، وفي عام ١٦١٨م عيَّنته «شركة الهند» الهولندية حاكماً عسكرياً عاماً مطلق الحرية هناك. وكان كوهين حينها في الواحد والثلاثين من عمره.

وباشر كوهين، وبوحشية ليس لها مثيل.. والتي أثارت حتى استنكار واشمئزاز من حوله من الهولنديين.. في **تطويع** وإهلاك كل من عارض الاستعمار الهولندي هناك وبإذلال أهالي الجزر المسلمة وحرق أشجار البهارات التي يملكونها وزرع بديل لها ملكاً للشركة الهولندية وللقضاء على المنافسة في تجارتها حتى من الأهالي. كذلك باشر باستيراد عمالة صينية ليعمل هؤلاء في المزارع الهولندية لسهولة التسلط عليهم ولسهولة تقبلهم التمذهب للمسيحية ولما عرف عنهم من المثابرة بالعمل، **واستعبد الأهالي المسلمين استعباداً أشد قسوة من استعباد أهل إفريقيا الزنوج، وعلى أيدي الإنجليز في إفريقيا وفي القارة الأمريكية الشمالية.**

ويقول المؤرخ روبرت «نيل»[١٦] الباحث في تاريخ أندونيسيا عن كوهين هذا:-

«إن السبل التي اتبعها كوهين في تطهير جزر «الملوكا» من منافسي الهولنديين في تجارة البهارات، من أوروبيين أو من الأهالي كانت سبلاً دْرَاكونية (وحشية) لدرجة اثارت اشمئزاز معاصريه حتى من الهولنديين».

(١٥) راجع عن هذه المعلومات كتاب برنارد هـ. م. فْلِكِي (Vlekke)
Nosantara, History of Indonesia, 1960.

(١٦) (Niel) في دراسة له عنوانها «مجرى التاريخ الأندونيسي» بكتاب جمعته الباحثة رُوتْ مَكْفي (Mcvey) بعنوان «أندونيسيا» ١٩٦٣.

وسنعرض فيما بعد شتى الطرق التي اتبعها الاستعمار الأوروبي في تطويع وتفتيت وإذلال شعوب تلك المناطق حينما نعرض موجز تاريخها الحديث واحدة بعد الأخرى.

يقدر عدد المسلمين في كل جنوب شرقي آسيا بما يقارب نصف عدد السكان الإجمالي لتلك الدول، ويوجد معظمهم في جمهورية أندونيسيا وهي أكبر دولة مسلمة في عدد السكان بالعالم.

المسيحيـــة:

الدولة الوحيدة التي فيها معظم السكان مسيحيين هناك هي جمهورية الفلبين. ويتبع معظم هؤلاء المذهب الكاثوليكي. وقد انتشر الدين المسيحي أيام الاستعمار الإسباني وانتشر بالسيف. وكانت طبقة الكهنة الإسبان من أقسى من اضطهد الشعب هناك وأجبره على التمذهب لدينهم. وكان نظام كهنة «الدُّومِنكان» أشد هؤلاء قسوة.

يوجد اليوم حوالي خمسة ملايين مسيحي في دولة فيتنام كلهم كاثوليك وقد تمذهب هؤلاء أيام الاستعمار الفرنسي. كذلك يوجد جيوب صغيرة من المسيحيين في أندونيسيا وخاصة في جزيرة سِلِيبْس حول مدينة «منادو» فيها. واعتنق المسيحية بعض من قبائل «كارِنْ» في أقصى الجنوب من جمهورية برما وحول مدينة «مُولْمِين» هناك.

الأقلية الصينية في جنوب شرقي آسيا:

الأقلية الصينية هي أكبر الأقليات عدداً في كل دول المنطقة. وترفض هذه ولليوم «الإنْهضام». أي ضياع هويتها الصينية وبعد أن عاشت هناك حقباً طويلة من الزمن. وتسمى هذه الأقلية أينما كانت باسم «الصينيين عبر البحار». ويُبيِّن الجدول التالي أعدادهم التقريبية اليوم في تلك الدول:

جدول رقم (٢)

الدولة	صينيين عبر البحار	نسبتهم من عدد السكان	عدد السكان الإجمالي تقريباً
برما	٥٠٠ ألف	١,٣٪	٣٨ مليون
تايلاند	٣,٥ مليون	٧٪	٥٠ مليون
كامبوشيا	٤٠٠ ألف	٦,٥٪	٦,٥ مليون
فيتنام	مليون واحد	١,٦٪	٦٠ مليون
سنجافورا	٢,٧ مليون	٩٠٪	٣ مليون
ماليسيا	٦ مليون	٤٠٪	١٥ مليون
أندونيسيا	٣,٥مليون	٢,٣٪	١٥٢ مليون
الفلبين	٥٠٠ ألف	١٪	٥١ مليون

وقد نزح الصينيون إلى تلك النواحي في موجات متتالية عبر التاريخ. إذ أن معظم القبائل استوطنت خاصة الجزء الشمالي من تلك المنطقة، كبرما وتايلاند ولاس وفيتنام، كانت أصلاً صينية. وجاءت هذه ولأسباب عدة متتبعة في استيطانها ضفاف الأنهار الكبيرة هناك كنهر «مِيكُنْغ» العظيم ونهر «الأحمر» ونهر «إيرَوَادِي» وغيرها. وقد شجع الاستعمار الأوروبي في العصر الحديث قدوم عشرات ومئات الآلاف من الصينيين إلى هناك للعمل، خاصة في تنجيم القصدير وغيره وفي مزارع المستعمرات الكبيرة التي طورها، أولاً لمثابرتهم بالعمل وثانياً لخبرتهم بالزراعة وبتنجيم القصدير وغيره. إذ أن أهل الصين عرفوا معدن القصدير منذ القدم. وما تزال الأقلية الصينية من أغنى الجماعات في كل دول المنطقة تقريباً وما يزالوا يسيطرون على اقتصاد العديد منها.

وبعد أن استلم الصينيون الشيوعيون الحكم في بلادهم «الأم» الصين وانقسمت هذه إلى دولتين، الصين الشعبية في بيكنْغ والصين الوطنية في تايوان، صار «الصينيون عبر البحار» هدف الدعايات والمطالبات بدعمهم الاقتصادي ومن

كلا الدولتين. ومعظمهم ولا شك تعاطف مع حكومة تايوان فلسفياً ولأنها اقتصادياً رأسمالية مثلهم. لكنهم افتخروا في نفس الوقت بعظمة الصين الجديدة.. الصين الشعبية ومنذ أن تولى حكمها الزعيم «مَاوْ تْسِي تُنْجْ». ومع العلم أن هذه صارت شيوعية ما انفكّت الحوالات المالية (حوالاتهم) تصل إلى أقاربهم في معظم بلدان القارة الصينية. ويقول البروفسور دُوكْ «بَارْنِتْ» في كتابه «الصين الشعبية وآسيا» إن قيمة تلك الحوالات زادت عن مئة مليون دولار أمريكي سنوياً وفي عدد السنين قبل الحرب العالمية الثانية[١٧].

وبالطبع فالرقم هذا ولا شك تضاعف منذ ذلك الحين وله أهميته الاقتصادية في بلدٍ ناشىء كالصين.

ومن أهم ما يتّجر به هؤلاء ويتداولون به وبتصديره هو محصولات الغابات كالمطاط وخشب السّاج (التِّيك) وبتنجيم وتصدير القصدير وحجر الصِّفير وغيره من الحجارة الثمينة هناك وبتصدير الرز والسكر والكثير من المحاصيل الاستوائية.

وقد كانت نظرة الصينيين الوافدين إلى أهالي تلك البلدان نظرة ازدراء وتعاظم. ولا عجب في ذلك. إذ أن الصينيين ومنذ القدم عندهم «مركب عظمة» في تعاملهم مع غيرهم من الشعوب. ذلك لشدة افتخارهم بحضارتهم وبعَراقتها. وما انفكوا وحتى القرن العشرين ينعتون حتى من استعمرهم من الأوروبيين بـ«البربرية». وبالطبع كانت نظرتهم للأهالي الأصليين في نواحي جنوب شرقي آسيا نظرة أشد عنصرية وتَعَالٍ. وما زال الصينيون «عبر البحار» ولليوم يتمسكون بعاداتهم وطقوسهم ولغتهم الصينية وكأنهم ما زالوا يعيشون في الصين نفسها. وفي الواقع ما زالوا ينظرون إلى الصين كبلدهم. وما زالوا يرفضون التزاوج والامتزاج الاجتماعي مع الأهالي الأصليين الذين هم دخلاء عليها. وقد وصفهم بعض المعلقين بـ«يهود آسيا».

(١٧) A. D. Barnett Commuinst China and Asia, 1960.

وبالطبع قابلتهم الأكثرية الوطنية هنا أو هناك بنظرة الاستنكار وحتى الكراهية وبالحسد لكونهم إجمالاً أثرياء تلك البلدان.

ولم تساعد الدولتان الصينيتان في محو أو تخفيف الشبهة والكره الذي يلاقيه «صينيو عبر البحار» في جنوب شرقي آسيا، وخاصة دولة الصين الوطنية التي ترأسها في جزيرة تايوان الجنرال «شَانجْ كَايْ شِكْ»[١٨]. وقد راح الجنرال شَانْجْ هذا في التّمادي لدرجة أن حَدَّد مناطق انتخابية في بلدان جنوب شرقي آسيا حيث يتواجد صينيون، ومن أجل إرسال مندوبين عنهم ليجلسوا في برلمان الصين الوطنية بعاصمته «ثايْبي» (عاصمة تايوان). وقد خصص لذلك الغرض خمسة وستين مقعداً برلمانياً تمثل الأقلية الصينية في جنوب شرقي آسيا. كذلك أسس لجنة سمّاها «لجنة صين عبر البحار» للاعتناء بكل أمرٍ يخص الصينيين خارج الصين وأسس أيضاً فروعاً لحزبه الحاكم في تايوان.. حزب «كُوو مِنْ تَانْج» في بلدان جنوب شرقي آسيا[١٩]. وما يزال العديد من الصينيين «عبر البحار» يحملون جوازي سفر، واحد صيني والآخر من البلد التي يعيش فيها.

ويمثل الصينيون الأكثرية الساحقة في كل من جمهورية سنجافورا وفي مقاطعة «سَرَاواك» الماليسية. ومعظمهم «شيوعيو الميول» مثل الصين الأم[٢٠]، ويصل عددهم أقل بقليل من نصف عدد السكان الإجمالي في ماليسيا. وقد كاد الصينيون أن يذهبوا بالسلطة التامة هناك وفي ثورة دامية لهم على بريطانيا وعلى الأهالي الماليسيين. غير أن القوات البريطانية قمعت تلك الثورة وأخمدتها قبل أن تخرج من حكم ماليسيا عام ١٩٥٥م.

(١٨) وقد طرد هذا من حكم الصين كلها بعدَ عام ١٩٤٩م وتولى الحكم هناك «ماوتسي تُنْجْ».

(١٩) «بارْنِتْ» المرجع نفسه.

(٢٠) انظر مقالات عن تلك الميول في جريدة «مُونتَرْ» (Monitor) في بوسطن، الولايات المتحدة وفي عددي ٥ نيسان ١٩٦٣م و ١/١/١٩٦٣م.

وبعد أن استقلت دول جنوب شرقي آسيا من الاستعمار الأوروبي صارت الأقلية الصينية فيها هدف الاضطهاد وهدف القوانين والأحكام التي حاولت، وما زالت تحاول أن تُصَير منهم أندونيسيين أو ماليسيين أو غير ذلك أكثر مما هم صينيون[21]. . وبالطبع فكلما اضطهدوا أكثر كلما تحولت أنظارهم أكثر نحو الصين ولحمايتهم من ذلك الاضطهاد.

(٢١) راجع جريدة نيويورك تايمز ١٠ حزيران ١٩٦٣م مثلاً عن ذلك.

الفصل الثاني

النهضة الأوروبية والبدء باستعمار العالم الثالث[1]

تعود نواة النهضة الأوروبية الحديثة إلى أيام الحروب الصليبية، أي منذ أواخر القرن الحادي عشر الميلادي وبعد أن احتكت شعوب أوروبا الإقطاعية بشعوب الحضارتين المتميزتين حينها وفي شرقي حوض البحر الأبيض المتوسط. . الحضارة العربية الإسلامية والحضارة البيزنطية.

ومن المتفق عليه هو أن العصر الحديث هو عصر نهضة أوروبا وعصر عظمتها علمياً واقتصادياً وعصر توسعها الاستعماري. ويبدأ هذا العصر، وللتسهيل، حوالي عام ١٥٠٠م.

ولهذه المحطة في التاريخ أهمية قصوى، ولما دار حولها من أحداثٍ مصيرية وعظيمة. ففي عام ١٤٩٨م استدار البحار البرتغالي فاسكو دا جاما حول رأس الرجاء الصالح ووصل الهند ومنها إلى جزر الهند الشرقية (جزر البهارات). وبالطبع كانت هذه هي الهدف الرئيسي لرحلات البحارة البرتغاليين والذين حاولوا ولأكثر من نصف قرنٍ قبل ذلك الاستدارة حول إفريقيا أو لإيجاد منفذٍ من هناك يوصلهم إلى جزر البهارات وبهاراتها. وهدف هؤلاء ومن أرسلهم لاقتطاع تجارة البهارات من أيدي العرب المسلمين واقتطاعها أيضاً من شريكة العرب في تلك التجارة، دوقية البندقية (فِينيسيا).

وكان نجاح «دا جاما» ومن جاء بعده في ذلك، ونجاح دولة البرتغال معهم كارثة

(١) راجع كتاب المؤلف «التاريخ السياسي الحديث» عن الاستعمار، أصنافه وأهدافه.

للعالم العربي ولكل العالم الثالث إجمالاً من بعده. إذ أن ذلك الحدث صار فاتحة الاستعمار والاستعباد الأوروبي ولكل أرجاء العالم خارج أوروبا.

كذلك قامت في تلك المحطة التاريخية «ثورة الإصلاح» الدينية في أوروبا، أو ما تسمى الثورة «البروتستنتية» على المذهب الكاثوليكي المسيحي في روما وعلى زعامة البابا فيه. وبدأت تلك الثورة رسمياً عام ١٥١٧م حين قام الكاهن الألماني مارْتن «لوثر» بنشر احتجاجاته ونقده علناً لطقوس وممارسات مذهبه الكاثوليكي ولسلوك حتى البابوات في روما. ومن يومها انشطرت الكنيسة المسيحية لتصبح ثلاثة مذاهب رئيسة[٢]، وكما هو الحال اليوم.

وهكذا قامت بعد تلك الأيام حروب صليبية أعلنتها دولتا البرتغال وإسبانيا على العرب والمسلمين في جزر الهند الشرقية وفي المحيط الهندي والبحر العربي، كما قامت حروب تماثل تلك بين الدول الأوروبية التي اعتنقت مبادىء الثورة البروتستنتية كهولندا والسويد وإنجلترا وبين الدول التي ظلت على مذهبها الكاثوليكي والموالية للبابا كالبرتغال وإسبانيا وفرنسا. ومن ضمن ذلك الصراع صارت المناحرة بين الطرفين على أشدها وخاصة في حقل الاستعمار ونهب وسلب ما تبقى من العالم خارج أوروبا.

وقد زاد الطين بلّة أنه حصل في تلك المرحلة من التاريخ، أي حوالي عام ١٥٠٠م أن ظهر على الشاشة الدولية دولة مسلمة جديدة، عظيمة الاندفاع والقوة، وهي الدولة العثمانية، ففي عام ١٤٥٣م دخل الجيش العثماني مدينة القسطنطينية آخر معقل للدولة البيزنطية المسيحية وعاصمتها. وكان ذلك بقيادة السلطان محمد الثاني الذي لُقِّب بعدها «بالفاتح»[٣]. وكاد هذا أن يدخل روما نفسها عام ١٤٨١ لولا أن توفي قبل إنجاز ذلك. وبالطبع قرعت أجراس «الخطر الإسلامي» ومن

(٢) انفصل قبل ذلك نهائياً، وفي عام ١٠٥٤م المذهب الأرثوذكسي عن المذهب الكاثوليكي وعن البابا.

(٣) حكم هذا من ١٤٥١ إلى ١٤٨١م.

جديد في كل أنحاء أوروبا، مما أدى إلى إنعاش النعرة الصليبية في أوروبا ضد العرب والمسلمين.

لذلك لما وصل البرتغاليون إلى الهند وإلى جزر الهند المسلمة عام ١٤٩٨م، وصلوا في إطار ذهنٍ صليبي وتصرفوا هناك حسب ذلك الإطار.

وقد استقلت البرتغال نفسها من حكم العرب بشبه جزيرة ايبيريا في أواسط القرن الرابع عشر ميلادي. وفي عام ١٤١٦م أنشأ أمير البرتغال هنري الملقب «بالبحار» مدرسة للملاحة كان هدفها الرئيسي اكتشاف منفذ حول أفريقيا للتوصل إلى جزر البهارات واغتصاب التجارة في البهارات من أيدي التجار العرب خاصة[٤]. ويقول المؤرخ الإنجليزي «بِرِسْتاج»[٥] إن الهدف الرئيسي للرحالة «دا جاما» والذين مولوا اكتشافاته:ـ

«أن يواصل الحروب الصليبية ضد العرب، ويثني جناح دار الإسلام استراتيجياً واقتصادياً ويتصل بدولة الأحباش المسيحية ويحلفٍ معها يُهاجِمُ العالم العربي الإسلامي من الجنوب وتغتصب تجارة البهارات في جزر الهند الشرقية من العرب ويُسَيْطَر على المحيط الهندي».

وكان أول من استدار حول رأس الرجاء الصالح البحارة البرتغالي أيضاً بارثولومي «دِيَازْ». ومن أوائل من وصل إلى كل الشرق الأقصى من الأوروبيين ولكن عن طريق البر كان الأخوان «بولو»[٦]، نقولا ومَافيو الإيطاليان وابن نقولا الذي اشتهر أكثر من هؤلاء «ماركو بولو». وحدث ذلك عام ١٢٩٢م. وفي طريق عودة هؤلاء من بلاد الصين إلى بلادهم إيطاليا مرّوا بأراضي جنوب شرقي آسيا. إذ وصف الشاب ماركو بولو أهل مصب نهر «ميكنج» (فيتنام اليوم) وجزيرتي جاوا وسمطرا وتكلم

(٤) مات الأمير هنري «البحار» عام ١٤٦٠م.

(٥) E. Prestage, The Portuguese Pionees, 1933

(٦) Polo Brothers

وتهوَّل عن ثروات البهارات وغيرها الموجودة في جزر الهند الشرقية . . جزر «الكنز» .

ولمـا وصل داجاما البرتغالي عام ١٤٩٨م إلى الهند وجزر الهند وكما ذكرنا قبـلاً، كان ذلـك فقط بعـد ستـة أعـوام من تخلص الإسبـان من حكم العـرب بالأندلس . لذلك كان عداء البرتغاليين وحقدهم على العرب جديداً في أذهانهم، ولتعاطفهم مع الإسبان أبناء دينهم . ولما لاقوا دولاً وسلاطين مسلمة في كل من الهند (دولة الموغول المسلمة) وفي معظم جزر الهند أعلنوا عليهم حرباً صليبية جديدة .

وعاد داجاما إلى لِشبونة عاصمة بلاده عام ١٤٩٩م ومعه حمولة من البهارات . وتبعه حملات متتالية برتغالية كان أهمها عدة حملات تزعمها أمير بحرهم الذي اشتهر بعد ذلك، «الفُونْس» الملقب بـ «أبي القرق»[7] . وجاءت أول رحلة ترأسها عام ١٥٠٦م . فيهـا احتـل جزيرة (هُـرْمُزْ) على مدخل الخليج العربي، وجزيرة «سقطرة» قرب مدخل مضيق عدن . وهدف ذلك بالطبع لِسَدِّ الطريق على الملاحة والتجار العرب ومنعهم من الخروج إلى الهند وإلى جزر الهند الشرقية . وبعد ذلك بأربعة أعوام (١٥١٠م) احتل أبو القرق مقاطعة «جُوا» الواقعة في أواسط الشاطىء الغـربي من الهند وتتوسط الطريق التي تؤدي إلى جزر البهارات، وفيما بين عام ١٥١١ وعام ١٥٢٦م أرسلت دولة البرتغال عدة حملات مسلحة للتسلط على مضيق «مَـلاَكـا» . . الذي يقع بين شبه جزيرة ملايا وجزيرة سمطرا ويؤدي لجزر البهـارات، قهـروا فيهـا سلطان «مـلاكـا» التي كانت مركزاً هاماً ورئيسياً للتجارة بالبهارات[8] . وسنعرض فيما بعد حين نتكلم عن تاريخ ماليسيا ما جرى هناك من فضائع اقترفها البرتغاليون لما دخلوا «ملاكا» .

وبعـد الاستيلاء على «مَـلاَكـا» صارت هذه مركزاً لإرسال حملات برتغالية

---

(٧) عاش هذا من عام ١٤٥٣م وإلى ١٥١٥م .

(٨) حتى أنه كان يقال (ومثلما كان يقال عن روما من قبل) «إن كل الطرق تؤدي لملاكا» .

للاستيلاء على جزر البهـارات، أي جزر «المُلوكـا» ولمحـاربة سلاطينها . وتقع «المُلوكا» في أقصى الشرق من جزر أندونيسيا . وقد قاد «أبو القرق» العديد من تلك الحمـلات وطـوع سلاطينهـا . ولكـل ذلك نصبته دولته حاكماً عاماً على كل ما استعمرت البرتغال هناك و حتى أن مات في عام ١٥١٥م .

وكـانت إسبانيا أول من نهضت من دول أوروبا لتنافس وتنازع البرتغال في حقل الاستكشاف الجغرافي والوصول إلى جزر البهارات . وجرى ذلك كالتالي :ـ

لما كان البحارة والرواد البرتغاليون يتحسسون طريقهم على الشواطىء الغربية من أفريقيا محاولين الوصول إلى الهند وإلى جزر الهند الشرقية بدأ كذلك البحارة الإسبان يستكشفون هنا وهناك ولنفس الغرض . وجرى ذلك حتى قبل خروج العرب تمـاماً من الأنـدلس عام ١٤٩٢م ومنـذ أن توحدت إسبانيا بزواج الملك فرناند الخـامس ملك «الكـاستيل» بايزابـلاً الأولى ملكـة «الأراجـون» عام ١٤٧٩م . والمعروف أن البحار الإيطالي الأصل كْرِستُوفر «كولمبس» والذي أبحر تحت الراية الإسبانيةقد اكتشف ما ظنَّها «جزر البهارات»، وأيضاً عام ١٤٩٢م، حينما وصل غرباً إلى جزر «الكَريب» قرب خليج المكسيك . وبذلك الاكتشاف انفتحت طبعاً شهية ملك وملكة إسبانيا لأكثر من ذلك وللحصول بالطبع على البهارات المنشودة .

وكل ذلك نَبَّه البلاط البرتغالي في لشبونة (عائلة آفِزْ المالكة) للخطر الإسباني على محـاولاتهم هم للتـوصـل للبهارات . لذلك رفعت البرتغال أمرها إلى البابا المُنَصَّب جديداً اسكندر السادس[9] وليفصل بينها وبين إسبانيا . وأدى تدخل البابا إلى توقيع معاهدة «تُورْدَا سِيلاَّسْ» بينهما عام ١٤٩٤م، والتي بها رسم البابا خطاً

---

(٩) صار هذا بابا من عام ١٤٩٢م ـ ١٥٠٣م . وهو من عائلة «بورجيا» الإيطالية الشهيرة . اشتهر بالفسـاد والمؤامـرات السياسية أكثـر من اشتهاره بالدين . وكان له أولاد غير شرعيين منهم وأشهرهم «سيزار بورجيا»، أغدق عليهم أموال الكنيسة . وكان أهم من كان ينتقده كاهن اسمه «سَافُونَا رُولاَ» الذي صار حاكماً لمدينة فلورنس . وقد حرمه البابا اسكندر من الكنيسة عام ١٤٩٧م وأعدم بعد عام من ذلك على أساس أنه «نبي كاذب» .

وهمياً ومن شمال المحيط الأطلسي إلى جنوبه، به حكم أن يكون شرقي ذلك الخط من نصيب دولة البرتغال للاكتشاف والاستعمار ولبث المذهب الكاثوليكي وغربيه من نصيب إسبانيا ولنفس الأغراض. وقد سُمِّي ذلك الخط «خط التحديد». وهكذا صدف أن صارت القارتان الأمريكيتان (غير المعروفة بعد) من نصيب إسبانيا وللاستعمار.

وقد أرضى كل ذلك دولة البرتغال رضاءً تاماً إذ كانت حينها قد أيقنت أنها ستصل إلى الهند[١٠] ومنها إلى جزر البهارات بالاستدارة حول إفريقيا حيث أن قبطانها «دِياز» كان قد أنجز ذلك عام ١٤٨٨م.

أما الإسبان فقد أيقنوا، وبعد العديد من الرحلات والسنوات من رحلة كولمبس الأولى وإلى الغرب في المحيط الأطلسي أن جزر الكريب ليست جزر البهارات، وبالطبع كانت أيديهم قد تقيدت، وبواسطة معاهدة «توردا سيللاّس» التي أمضوها مع البرتغال، عن الاستدارة حول إفريقيا وللوصول إلى البهارات من هناك. وهكذا دخل البحار فرناند «مجلان» (البرتغالي الأصل) الصورة. إذ تقدم هذا إلى ملك إسبانيا يعرض عليه فكرة التوصل إلى جزر البهارات بالإبحار حول القارة الأمريكية الجنوبية. وقبل الملك الإسباني (شارلز الخامس) الفكرة وبدأ مجلان رحلته عام ١٥١٩م ومعه خمس سفنٍ إسبانية. وكما هو معروف، نجح هذا بذلك وعن طريق المضيق الذي يحمل اسمه لليوم في أقصى الجنوب من القارة الأمريكية ووصل إلى مجموعة الجزر التي سميت فيما بعد جزر «الفلبين»[١١].

وصل مجلان إلى أواسط جزر الفلبين عام ١٥٢١م وقتل هناك في معركة مع الأهالي بعد أن أيقن أن تلك الجزر ليست «الملوكا» المنشودة. وبعده توجهت آخر

(١٠) هذا إن لم يكن البحارة البرتغاليون قد وصلوها فعلاً. إذ يقول الجغرافي «سْتَامْب» إن كل الدلائل تدل على أن البرتغاليين وصلوا الهند قبل استدارة فاسكو داجاما حول إفريقيا عام ١٤٩٨م. راجع D. Stamp Africa, 1955.

(١١) سميت كذلك عام ١٥٤٢م بعد اسم ولي عهد اسبانيا حينها فيليب الثاني والذي صار ملكاً لإسبانيا من عام ١٥٥٦م إلى ١٥٩٨م.

سفينة ظلت صالحة من أسطوله إلى الجنوب صوب الملوكا، ونجحت بالوصول إليها عام ١٥٢٢م. ولما عرف البرتغاليون عن وجود الإسبان أرسلت دولة البرتغال احتجاجاً شديداً لإسبانيا على ذلك وعلى أنه نقض لمعاهدة «تُوردا سِيللاّس» التي عقدت بينهما عام ١٤٩٤م.

أخيراً اتفقت الدولتان ثانية، وفي معاهدة جديدة عام ١٥٣٠م.. معاهدة «سَراجُوسَا».. على أن يبتعد الإسبان عن جزر «الملوكا» على شرط حقهم في جزر الفلبين وباستعمارها. وهكذا انفردت البرتغال بالمُلوكا وبتجارة البهارات واحتكارها ولمدة حوالي قرن من الزمن، سُمِي في تاريخ الاستعمار.. «القرن البرتغالي».

بدء الاستعمار الإسباني

استقلت إسبانيا تماماً من حكم العرب وبعد أن خرج هؤلاء من الأندلس عام ١٤٩٢م. وقد استقلت موحَّدة وبزواج «إيزابِلا» ملكة الأراجون بفردناند ملك الكاستيل. بعده باشرت إسبانيا رأساً بمزاحمة ومنافسة البرتغال في حقل الاستكشاف والاستعمار خارج أوروبا. وكما أسلفنا تدخل الباب اسكندر السادس في عام ١٤٩٤م وفصل بين الدولتين (الكاثوليكيتين، وقبل أن تتحاربا) برسم خط وهمي يقسم بينهما غنائم العالم الجديد عليهما.

ويقول المؤرخ الإنجليزي ب. هاريسون[١٢] أن القبطان مجلان (البرتغالي الأصل) كان قد سبق وشارك في حملة برتغالية أرسلت عام ١٥٠٩م من لشبونة إلى «ملاكا» على مضيق «ملاكا» ولتطويع سلطانها وشارك بعدها في عدة حملات برتغالية أُرسلت إلى جزر الملوكا (البهارات). لذلك، ولمعرفته السابقة بتلك المناطق تقدم للبلاط الإسباني عام ١٥١٧م يعرض عليه خدماته في محاولة استكشاف طريق للبهارات بالاستدارة حول القارة الأمريكية الجنوبية إن أمكن. ونجح مجلان بالاستدارة حول تلك القارة في عام ١٥١٩ ووصل كما ذكرنا جزر الفلبين. ووصل هناك إلى جزيرة «سَمَار» بأواسط تلك الجزر في شهر آذار. وبعد

(١٢) B. Harrison South East Asia, 1954.

شهر من ذلك وصل جزيرة «سِيبُو» القريبة من سَمَار هذه . هناك شارك مع سلطانها في مناوشاتٍ مع سلطان جزيرة «مَكْتَامْ» الصغيرة والقريبة من «سِيبُو» وقتل في إحدى تلك المناوشات . بعدها واصل نائب قائد الحملة (دل كَانُو)[١٣] توجهه إلى الجنوب وَصوب المُلُوكا، مما أدى إلى احتجاج البرتغال لوصوله إلى هناك كما ذكرنا .

على كل حال انهمكت إسبانيا حينها في اكتشاف القارتين الأمريكيتين ونهب وسلب حضاراتها الثلاثة المهمة . . حضارة «المايا» وحضارة «الإنكا» وحضارة «الأَزْتِكْ» . لذلك أهملت تحركاتها صوب جزر الهند الشرقية ومن دون أن تحتج دولة البرتغال .

وظل الأمر كذلك حتى عام ١٥٦٥م ، وكان ذلك في أيام الملك فيليب الثاني . حينها أمر الملك فيليب بتجهيز حملة في المكسيك (الإسبانية إذ ذاك) لتتوجه صوب جزر الفلبين وتحتلها . وراحت من هناك بعثة عسكرية احتلت أولاً جزيرة سِيبُـو . وبعد ذلك بأربع سنوات أخذ الإسبان جزيرة «بَاني» الأكبر وأهم شأناً من سِيبُـو . ومن هناك تجهزت حملة إسبانية كبيرة وتوجهت صوب مدينة «مانِلاَ» في أواسط الجزيرة الشمالية والرئيسة «لوزان» واحتلتها عام ١٥٧٠م . وصارت مانِلاَ بعد ذلك مركز السلطة الإسبانية في الجزر ومصدر الحملات المتتالية لتطويع سلاطين باقي الجزر واحداً بعد الآخر.

والجدير بالذكر أن الإسلام كان قد تأصل دينياً هناك، وخاصة في الجزر الجنوبية مثل جزيرة «بَلَوان» وجزيرة «مِنْدَنَاوْ» الكبيرة الحجم وارخبيل جُزر سُولُوا إلى الغرب منها . وبالطبع أعلن الإسبان حرباً صليبية على أهالي تلك الجزر دامت أكثر من مئة عام[١٤]، شابَهَت حروبهم مع العرب في الأندلس . ولهذا ألقوا على المسلمين هناك اسم «المُورْ» وكأنهم أيضاً عرب . وما زال هذا الاسم (المور) يطلق

(١٣) المرجع السابق .

(١٤) وهكذا وصفها المؤرخ الإنجليزي «تُومْسون»، في كتابه العديد الأجزاء .

H. Thompson Lands and People, 1930 Vol. Y.

على الأقلية المسلمة التي تسكن الجزر الجنوبية والتي نجت من الهلاك على أيدي الإسبان من قبل، ومن الحكومات الفلبينية منذ الاستقلال .

وصول الإنجليز

كان انتهاء القرن السادس عشر بدء أُفول الدولة البرتغالية وأفول هيبة الدولة الإسبانية معها . ورافق ذلك بُروز الدولتين الأوروبيتين (البْروتِسْتَنتيتين) . . هولندا وإنجلترا على الشاشة الدولية، بروزاً عسكرياً وتجارياً وغيره . ففي عام ١٥٥٣م جرت أول محاولة للتجار والبحارة الإنجليز للمشاركة في تجارة البهارات (أو نهبها) من جزر الهند الشرقية . حينها أسس جماعة من التجار الإنجليز في لندن شركة سموها «شركة مُوسكو» . وهدفت هذه للوصول إلى جزر المُلوكا بَرّاً وعبر الأراضي الروسية ولذلك الاسم . وبالطبع كان السبب في توجههم لطرق البر هو أن إنجلترا حينها كانت في طور النشأة بحرياً ولم تجرؤ بعد على تحدي إسبانيا أو البرتغال في عرض البحر إما بالإبحار حول رأس الرجاء الصالح البرتغالي أو حول مضيق مَجِلاَّن الإسباني .

لذلك تكررت في الدعايات والتكهنات الإنجليزية فكرة إمكانية الوصول إلى كل شرقي آسيا وإلى جزر البهارات خاصة إما بواسطة طريق برية عبر الأراضي الروسية ومن هناك للصين ولجزر الهند أو بواسطة طرقٍ بحرية جديدة كالإبحار مثلاً من الشمال والشرق في محيط القطب الشمالي وحتى الوصول إلى الصين والهند وجزر الهند أو بالإبحار غرباً وشمالاً صوب أمريكا الشمالية ومن هناك مواصلة السفر براً وغرباً حتى الوصول إلى الصين وجزر الهند من هناك . وقد سميت تلك الطريق (الوهمية) «الممر الشمالي الغربي» . وقد سميت الطريق أو الفكرة الأولى «الممر الشمال الشرقي»[١٥] .

ومن الدوافع الرئيسية، دون الدافع المادي بالطبع، لاهتمام الإنجليز للوصول

(١٥) راجع جورج كيرك عن هذا

G. Kirk "A Short History of the Middle East", 1961.

لهناك كان عداؤهم لإسبانيا خاصة وللبرتغال (الكاثوليكيين)[16].

وقد نشأت انجلترا الحديثة في عهد ملكتها العظيمة أَليزَابيث الأولى التي طال حكمها من ١٥٥٨م وإلى عام ١٦٠٣م[17]. ففي أيامها أخذت الملكة إليزابيث تحرض وتشجع بحارتها على القرصنة في المحيط الأطلسي، وخاصة الاعتداء على السفن الإسبانية العائدة من القارتين الأمريكيتين والمُحملة بما نهب وسلب الإسبان من هناك. وكان ذلك لوازعين أهمهما نهب ما نهبه الإسبان من ذهب وفضة من حضارات الأمريكيتين والثاني لمحاربة إسبانيا «الكاثوليكية». ذلك لأن انجلترا، ومنذ أيام والد الملكة إليزابيث الملك هنري الثامن قد أعلنت انفصالها عن الكنيسة الكاثوليكية ورفضت زعامة البابا الدينية في روما. وقد جاء ذلك في قرار أصدره البرلمان الإنجليزي عام ١٥٣٤م سُمي «قرار السيادة» (Act of Supremacy)، أعلن فيه البرلمان أن ملوك انجلترا بعد ذلك هم رؤساء الكنيسة «الإنجليزية» (Anglican Church) وليس البابا في روما. وبهذا أصبحت انجلترا في صفوف من ثاروا على البابا وعلى المذهب الكاثوليكي فيما سميت في التاريخ «ثورة الإصلاح»، والتي بدأها وكما أسلفنا الكاهن الألماني مارتن لوثر عام ١٥١٧م.

لذلك جرى، ومن أواسط القرن السادس عشر وإلى آخره صراع بحري في المحيط الأطلسي وأينما التقت السفن الإسبانية بالقراصنة الإنجليز[18]. وقد ازاد العداء بين الدولتين تشجيع الإنجليز ملكة وشعباً للثورة الهولندية على إسبانيا التي كانت تستعمرها، حيث أن العرش الإسباني ورث حكم هولندا بطريقة التناسب الملكي. وقد اعتنق معظم الهولنديين المذهب البروتستنتي بعد ثورة «حركة الإصلاح» مما زاد من قسوة وتنكيل الحكام الإسبان الكاثوليك بالشعب

(١٦) هاريسون، المرجع نفسه.

(١٧) وكان مُلكها من أطول أيام الملوك في أوروبا.

(١٨) وقد ألقى الإنجليز وملكتهم على هؤلاء تَحَبُّباً اسم «كلاب البحر». ومن أشهرهم كان فرنسيس دْرِيكْ.

الهولندي[19]. وكل ذلك أتى بارسال إسبانيا، في عام ١٥٨٨م أسطولاً عظمياً متوجهاً صوب هولندا لقمع حركة التمرد الهولندية ومعاقبة الإنجليز أيضاً لمساعدتها. غير أن الدوائر دارت على ذلك الأسطول الذي تحطم معظمه على أيدي البحارة الهولنديين والإنجليز في معركة عظيمة في القنال الإنجليزي سميت بعدها معركة «الأرْمادا الإسبانية». وقد ساعد في ذلك أيضاً عاصفة قوية هبت أثناء مرور الأسطول الإسباني من هناك.

بعد ذلك بدأ نجم إسبانيا بالأُفول وبدأ نجم هولندا خاصة (ومن بعدها إنجلترا) بالتألُّق.

ومن أشهر البحارة الإنجليز الذين شجعتهم الملكة إليزابيث على القرصنة ضد الإسبان كان البحار فرنسيس «دْرِيكْ». ففي عام ١٥٧٧م باشر هذا بعدة غزوات على المرافىء الإسبانية في الأمريكيتين ومن هناك استدار حول أمريكا الجنوبية عبر مضيق مجلان ووصل جزر الهند الشرقية، مثله مثل القبطان مجلان من قبله. هناك نهب حمولة كاملة من البهارات.. اغتصبها من الأهالي ومن السفن الإسبانية والبرتغالية هناك، وعاد بها إلى ملكته عام ١٥٨٠م[20].

وبعد رحلة دْريك هذه بثلاث سنين انطلق إنجليزي اسمه رَالْف «فِتْش» (Fitch) ومعه ثلاثة من زملائه من مدينة حلب السورية متوجهين شرقاً وعن طريق البر قاصدين الوصول إلى شبه جزيرة ملايا ومن هناك ليبحروا إلى جزر البهارات. وكان هؤلاء موظفين في الشركة الإنجليزية المسماة «شركة الشرق الأدنى» في حلب والتي بدأت أعمالها هناك قبل ذلك بعامين. وهدف «فِتْش» وزملاؤه العودة بمعلومات أوفى عن جزر المُلوكا وبهاراتها وطرق التعامل والتجارة بها وغير ذلك وإمكانية الوصول إليها عن طريق البر التي نهجوها. وقد نجح هؤلاء بالوصول إلى

(١٩) وكان أقساهم الإسباني «دوق أَلْفا» Duke of Alva.

(٢٠) وقد ورثت إسبانيا عرش البرتغال بعد عام ١٥٨٠م. وصارت البرتغال جزءاً من الامبراطورية الإسبانية وحتى ثورتها عليها واستقلالها ثانية عام ١٦٤٠م.

الهند مشياً على الأقدام. وفي عام ١٥٨٧م توجهوا من هناك شرقاً صوب بُرْما. ومن برما توجه فتش إلى شبه جزيرة ملايا إلى الجنوب مبتعداً عن الشواطىء خوفاً من أن يكتشف الإسبان وجوده، ولكن، لصعوبة الطرق أو عدمها هناك ولكثافة الغابات الاسْتوائية وما فيها من قبائل شبه همجية وشرسة عاد هذا حيثما أتى مُقْتَنِعاً باستحالة التجارة بهذه الطريقة(٢١).

وفي عام ١٥٨٦م أبحرت حملة إنجليزية عبر مضيق مجلان متوجهة صوب الملوكا ومقتدية بما أنجزه القرصان فرنسيس دْريك من قبل. وموَّل هذه الحملة جماعة من رجال أعمال لندن، ونتجت بأرباحٍ طائلة لهؤلاء. ولحقها بعد عام من ذلك حملة أخرى قادها دْريك نفسه ونتجت كذلك بأرباحٍ جمة.

وحفَّز كل ذلك مجموعة من التجار الإنجليز بالتقدم عام ١٥٨٩م للملكة إليزابيث الأولى لمنحهم رسمياً حقَّ «احتكار» تجارة البهارات من وفي جزر الهند الشرقية. وهذا ما جرى. وبعد عدة سنوات من التحضير وجمع رأس المال أعلن هؤلاء في لندن وفي ٣١ كانون أول ١٦٠٠م تأسيس «شركة الهند الشرقية».

وفي صيف عام ١٦٠١م أرسلت الشركة الجديدة هذه القبطان جيمز لاَنْكَسْتر (Lancaster) على رأس أسطول مكونٍ من ثماني سفن وتوجه إلى الملوكا. لكن، بعدما وصل الإنجليز إلى هناك عام ١٦٠٢ وجدوا أن الهولنديين قد وصلوها قبلهم وبأعداد وزخم مادي وحربي أكبر وأكثر بكثير منهم. وبهذا بدأت منافسة ومناحرة جديدة بين الشعبين (البروتستنتيين الآن) نتجت أخيراً عن طرد الإنجليز كلياً من هناك عام ١٦٢٨م. وفي تلك الأثناء كان الهولنديون قد أكملوا طرد ما تبقى من التجار الإسبان والبرتغاليين وغيرهم تماماً.

وبعد ذلك صفا الجو للهولنديين في كل الجزر التي صارت حديثاً دولة أندونيسيا إلاّ من مقاومة بعض السلاطين الوطنية هنا أو هناك. كذلك اهتم الإنجليز بعد عام ١٦٢٨م أكثر وأكثر بالتجارة في الهند وأخيراً استعمار تلك القارة.

(٢١) راجع عن كل هذا جورج كيرك، المرجع نفسه.

وصول الهولنديين

استقلت هولندا من إسبانيا تماماً بعد أن تحطم الأسطول الإسباني (الأرْمادا الإسبانية) على أيدي البحارة الإنجليز والهولنديين عام ١٥٨٨م وكما أسلفنا. سرعان ما صارت هولندا بعد ذلك دولة بحرية عظمى ومبرزة في حقل التجارة. وكان ذلك في ظل عائلتهم المالكة، عائلة «البرتقال».

وظهر في عام ١٥٩٥م كتيبٌ صغير باللغة الهولندية نشره رحالة هولندي اسمه جَانْ فَانْ «لِنْسُوتن» (Linschoten) تهوَّل به عن الثروات التي تحتويها جزر الهند الشرقية (المُلوكا) من البهارت ووصف تداعي السلطة الإسبانية(٢٢) هناك وفساد ممثليها في الجزر.

بعد ذلك بأشهر قليلة فقط أسس جماعة من التجار في أمِسْتردام شركة سموها «شركة فانْ فيرْ» (Van Verre) وموَّلوا بواسطتها حملة عسكرية ـ تجارية مكونة من أربع سفن توجهت عبر مضيق رأس الرجاء الصالح صوب الملوكا. وترأس هذه الحملة قبطان اسمه كُورثيليا دي «هُوتْمان» (Houtman) (٢٣) ومعه مئتان وخمسون رجل مسلَّح. ووصل هوتمان إلى أواسط جزر الهند (أندونيسيا اليوم) في صيف عام ١٥٩٦م وباشر بمحاربة الإسبان هناك ومحاربة التجار المحليين واغتصاب بهاراتهم. غير أنه عاد، وبعد سنتين من التجول هناك بحمولة هزيلة من البهارت. كذلك لم يبق على قيد الحياة من رجاله إلاّ تسعة وثمانون رجلاً(٢٤).

لكن فشل هوتمان هذا لم يثبط من عزائم الهولنديين في ذلك. حيث كان للهولنديين غاية أخرى حينذاك دون المكاسب المالية، وهي محاربة الإسبان الذين استعمروهم واضطهدوهم قبيل ذلك. لذا ففي عام ١٥٩٨م (أي في نفس العام الذي رجع فيه هوتمان) أرسلت نفس الشركة حملة أخرى مكونة من خمس سفنٍ

(٢٢) حيث أن البرتغال نفسها صارت إسبانية بعد عام ١٥٨٠م، وكما ذكرنا سابقاً.

(٢٣) وقد ذكرناه في الفصل الأول.

(٢٤) هاريسون المرجع نفسه.

حربية إلى هناك. ونجحت هذه باحتلال جزيرة «أمْبوينا» وهي من أهم جزر المُلوكا ومركز السلطة البرتغالية ومن بعدها الإسبانية في جزر البهارات.

وقد نتج عن تأسيس الإنجليز لشركتهم عام ١٦٠٠م (شركة الهند الشرقية) أن قام التجار الهولنديون بتأسيس شركة جديدة لهم ممولة أكثر بكثير من شركتهم السابقة «فان فير» أو الشركة الإنجليزية المذكورة[٢٥]. وتأسست هذه عام ١٦٠٢م وسموها «شركة الهند الشرقية المتحدة». وقد منحتها دولة هولندا امتيازاً للتجارة والاستعمار في جزر الهند ودعمتها بعد ذلك دعماً عسكرياً تاماً أينما راحت أكثر مما دعمت دولة إنجلترا الشركة الإنجليزية. وقد صير الدعم الحكومي الهولندي من الشركة الهولندية قوة عسكرية وتجارية لا يستهان بها حطمت أمامها ما تبقى من المنافسة البرتغالية - الإسبانية في تجارة البهارات وغلبت الإنجليز على أمرهم وطردتهم من هناك وأخيراً استعمرت امبراطورية كبيرة في جزر الهند الشرقية.

والجدير بالذكر هنا، أنه ما أن جاءت العشرينات من القرن السابع عشر (١٦٢٠م وما بعد)، أي بعد حوالي ثلاثين سنة من استقلال هولندا من الاستعمار الإسباني حتى ملك الهولنديون حكومة وشعباً ما يقارب نصف السفن والأساطيل في العالم.

وكانت جزيرة «أمْبُوينا» أول الجزر التي احتلّها واستعمرها الهولنديون هناك. وصارت هذه فاتحة الاستعمار الهولندي الذي امتد على أكثر من ثلاثة آلاف جزيرة مأهولة في أرخبيل جزر الهند وطال منذ ذلك الحين و حتى عام ١٩٤٩م. أي لأكثر من ثلاثماية وخمسين سنة، وهو اطول استعمار في العصر الحديث.

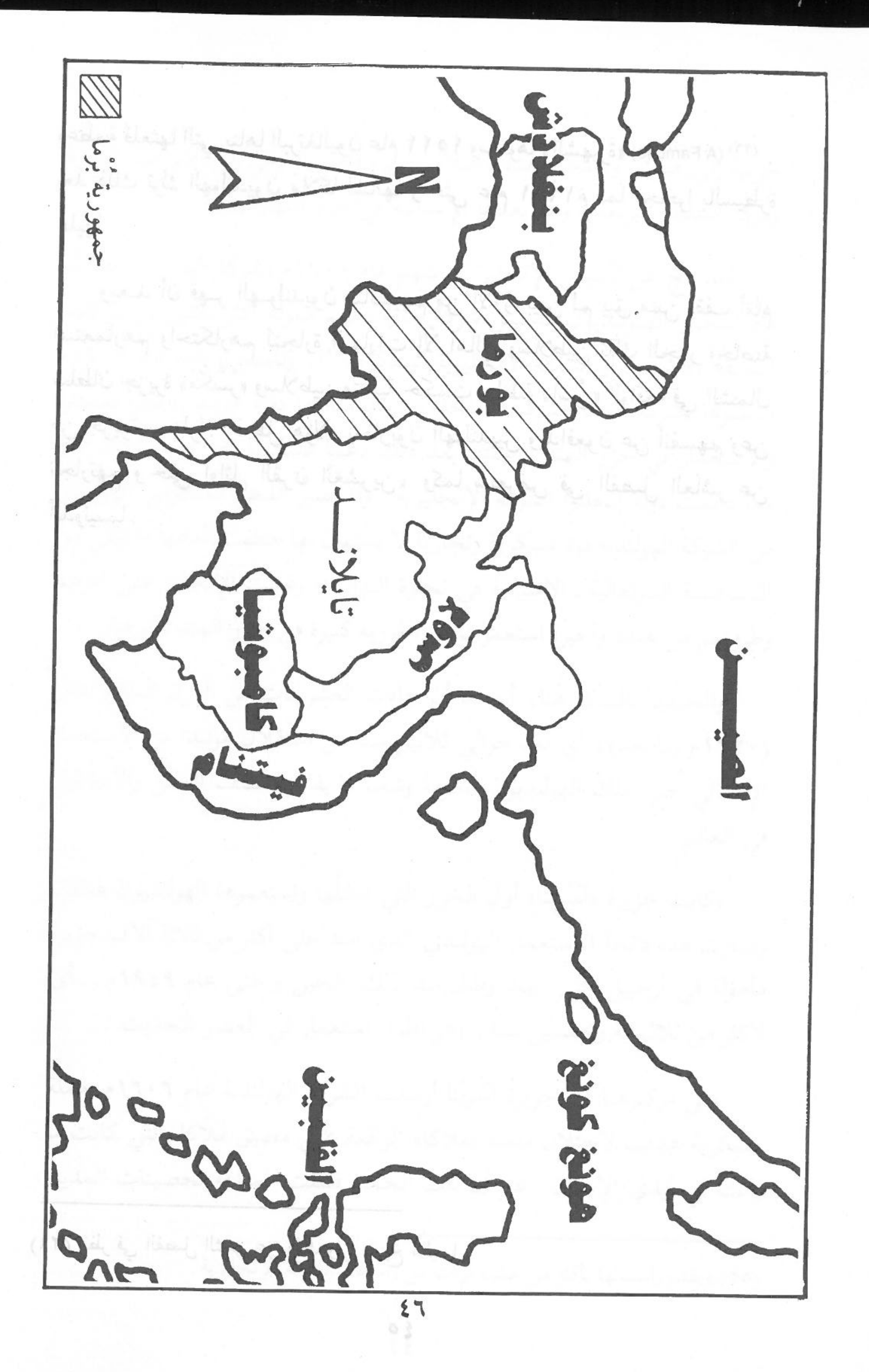
ومن مركزها في جزيرة أمْبوينا أرسلت الشركة الهولندية عام ١٦٠٦م حملة عسكرية هدفت لاحتلال مدينة «ملاكا» الواقعة على مضيق مَلَاكا والتي كانت ما زالت في أيدي الإسبان. غير أن تلك الحملة فشلت لمناعة تحصينات المدينة

(٢٥) ويقدر رأسمالها بأكثر من عشرة مرات من رأسمال الشركة الإنجليزية.

وعظمة قلعتها التي بناها البرتغاليون عام ١٥١١ وسموها «الشهيرة» (A Famosa)[٢٦]. بعد ذلك ترك الهولنديون مَلاكا لشأنها و حتى عام ١٦٤١م لما نجحوا بالسيطرة عليها.

وبعد أن قهر الهولنديون منافسيهم من الأوروبيين لم يبق ممن يقف أمام استعمارهم واحتكارهم لتجارة البهارات إلّا أهالي وسلاطين تلك الجزر وخاصة سلطان جزيرة «مَكَسَّر» وسلاطين متتالية حكمت سلطنة «آشِنْ» الواقعة في الشمال من جزيرة سمطرا. إذ ظل هؤلاء يحاربون الهولنديين ويدافعون عن أنفسهم وعن تجارتهم و حتى أوائل القرن العشرين، وكما سنعرض في الفصل العاشر عن أندونيسيا.

(٢٦) انظر في الفصل الثامن عن ذلك وفي تاريخ ماليسا.



الفصل الثالث

جمهورية «وحدة برما»

جغرافيتها وسكانها

تحتوي «وحدة برما» خمسة ولايات وهي، ولاية «كَارِنْ» وولاية «شَانْ»، وولاية «كَاشِنْ»، وولاية «تْشِنْ» وولاية «بُرْمَانْ». وتمثل تلك الولايات القبائل الخمسة الرئيسة التي تشكل معظم أهالي البلاد.

تقع برما في أقصى الغرب من منقطة جنوب شرقي آسيا. ويحدها غرباً جمهورتي الهند وبنجلادش. ويفصلها عن هايتن سلسلة جبال عالية ووعرة اسمها جبال «أَرَكَانْ». وتمتد تلك الجبال من الشمال وإلى الجنوب بشكل زاوية قائمة منفصلة عن جبال «هَمَلايا»[1] الممتدة من الشرق وإلى الغرب ومُتَوَّجَةً شبه القارة الهندية. ويقطن في هذه الجبال قبائل «شِنْ» التي تقع حدود ولايتهم ضمن تلك الجبال. وقد شكلت جبال «أركان» هذه وعلى مدى العصور حاجزاً منيعاً يعيق الاتصال والاحتكاك والتجارة بين أهل برما وأهل الهند والصين. ولربما كان ذلك خلاصاً لبرما إذ أنقذها من الهجرة المكثفة إليها من شبه القارة الهندية المجاورة لها والمكتظة تاريخياً بالسكان. وحتى يومنا هذا لا يوجد طرق تذكر تربط برما مع جاراتها من هناك، حيث إن الجبال هناك، وخاصة في الشمال منها تصل إلى أعلى من اثني عشر ألف قدم.

وتتعرض جبال «أركان» للرياح الموسمية القادمة صوبها من خليج البنجال لذا تهطل الأمطار هنا بغزارة وخاصة على الصفحة الغربية منها وقرب شواطىء الخليج.

(١) وتعني الكلمة هذه «ملايا العالية».

ولهـذا أيضـاً فالجبـال هنـاك مغـطاة بغـابات كثيفة من الأشجار الاستوائية وشبه الاستوائية كشجر «السَّاجْ» (التيك)[٢] والماهون وغيره.

ويعيش في شمـالي تلك الجبـال وإلى الشمال الشرقي منها قبائل «كاشِنْ» والتي تقعُ ولايتهم هناك. والـ «كاشِنْ» هم أفقر أهالي برما وأقلهم حضارة وتقدماً.

وتشكـل تلال «شـانْ» الحـدود بين دولتي برمـا وتايلاند. هناك تقطن قبائل «شـان». وفيهـا يجري نهر «سَالْوِينْ» الكبير، ثاني أنهار برما بالحجم وبعد نهر «إيرَوادي». وينبع «سالْوِين» من أواسط الصين وينحدر جنوباً حتى يصب في خليج «مرْتبان» في الشواطىء الجنوبية من برما.

تقع ولاية «كارن» حيث تعيش قبائل «كارن» في الجنوب من تلال «شانْ» وتمتد جنوباً لتضم العنق الذي يمتد جنوباً في أراضي برما حتى يصل إلى نصف الأراضي في البرزخ الذي يربط شبه جزيرة ملايا بالقارة الآسيوية. وقد اعتنق بعض «الكَارن» المسيحية أيام الاستعمار الإنجليزي في برما.

أمـا أكثرية برما فهم من قبائل «برمان»، حيث اسم البلاد، والتي تقطن في أواسط البـلاد وعلى السهل الكبير الذي يحيط بجانبي نهر «إيروادِي»، نهر برما الرئيس. هنا يوجد أكثر من ثلثي أهالي البلاد. وال «بُرمان» مع ال «كارِن» هم أكثر السكان تطوراً وحضارة، وقد تطورت الحضارة البرمية حول مدينة «مَندَلاي» في أواسط البلاد وعلى ضفاف نهر «إيرَوادي» حيث تقع «مَنْدلاي» وإلى الجنوب منها حتى دَلتا النهر.

يوجد في برما أقليتان وفدت حديثاً عليها وهما الأقلية الصينية والأقلية الهندية، ويقدر عدد الصينيين «عبر البحار» هناك بحوالي نصف المليون[٣]. أما عدد الهنود فهو أقل من ذلك بكثير. وللأقليتين أهمية وثقل اقتصادي أكثر بكثير من أعدادهما.

(٢) تصنع منه السفن وهو ثمين مثل خشب الماهون.

(٣) راجع جدول رقم (٢) في الفصل الثاني.

وما زال الصينيون خاصة، وكما ذكرنا في السابق[٤] يتمسكون بهويتهم الصينية. وهم يتسلطون على الكثير من التجارة في المطاط وتصدير الرز وعلى المواصلات بين المدن الكبيرة وفيها وعلى تنجيم المعادن وحجارها الكريمة.

ويكثـر عدد الهنـود، مثلهم مثـل الصينيين في المـدن الـرئيسية كالعاصمة «رانْجـون» ومَنْـدَلاي وفي مدينـة «أكْيابْ» القريبة من الحدود البرمية الهندية في الشمال الغربي من البلاد. وقد شكلت مدينة أكْياب مرفأ تَسَلُّلٍ غير شرعي للهنود الوافدين إلى برما وخاصة في أيام الانتداب البريطاني. وقد شجع الإنجليز دخول هؤلاء لهناك للعمل في تنجيم القصدير و مزارع المطاط وغيرها. وتسلط هؤلاء في أيام الاستعمار الإنجليزي على أعمال الصرافة وتعاطي الربا الفاحش مما صيَّرهم يملكون الكثير من ثروات البلاد. حتى أنه يقال إنهم كانوا يملكون في برما أكثر ما مَلَك الإنجليز هناك. ويطلق عليهم هناك اسم «هُنود تْشتْيار». ذلك لأن العديد منهم جاء من الطبقة الهندية المُتَدنِّية التي تعرف بذلك الاسم في مدينة «مَدْراسْ» الهندية التي تقع على الشاطىء الجنوبي الشرقي من الهند مقابل برما.

وقد كان «هنود تْشتْيارْ» موضع الكراهية والاستنفار، ولا شك الحسد أيضاً من قبل البرميين أكثر بكثير مما كان عليه الصينيون. وكان ذلك لسببين. أولاً لأنهم تعـاملوا بالـربـا وفرض الفوائد الباهظة وغير المعقولة على من استدان منهم من الأهـالي، وثـانياً لأن دينهم غير دين أهـل البلاد. فالهنود هندوسيون والبرميون بوذيون مثلهم مثل أهل الصين.

ولما احتلت اليابان برما أثناء الحرب العالمية الثانية هرب الكثير من الهنود إلى الهند ولم يعد معظمهم إلى برما بعد أن انتهت الحرب. وصارت التعويضات لما تركوا وراءهم من أملاك قضية بين الهند وبرما طالت بعد ذلك.

يشكل نهر «إيَروادي» ودلتاه قلب الدولة البرمية ومحور مجتمعها، إذ يعيش

(٤) في الفصل الثاني.

حوله معظم الأهالي ويوجد معظم الاقتصاد والزراعة والمدن الرئيسية، ويرفد النهر في الشمال نهران رئيسيان هما نهر «إيَروادي» ونهر «شِنْدْوِنْ». ويلتقي الاثنان جنوبي مدينة مَنْدلاي ليشكلا نهر إيَروادي الرئيسي.

ويجري إلى الشرق من إيَروادي ومثله من الشمال وإلى الجنوب نهر أصغر منه بكثير ولكنه مهم للزراعة أيضاً وهو نهر «سِي تَانْج». كذلك وإلى الشرق أيضاً من هذا يجري نهر «سَالْوِينْ» وهو ثاني أنهار برما بالكبر ومن الأنهار العظيمة في المنطقة، غير أنه أقل نفعاً لأهالي البلاد حيث إن مياهه تجري بين جبال وتلال «شَانْ» ولا تستعمل مياهه للري في الزراعة لقلة السهول هناك.

تغطي جبال وتلال برما غابات كثيفة من الأشجار الدائمة الخضرة كالصنوبر والكثير من غابات السَّاج (التِّيك) والماهون والمطاط وكلها ثمينة لما يستخرج منها من أخشاب ومستخرجات، والبلاد عندها كفاءة ذاتية بالمواد الغذائية الرئيسة كالرز وتصدر الكثير منه، ويعمل بزراعة الرز خاصة حوالي ثلثا أهل برما. كذلك يعمل الكثير بقطع الأشجار وتحضير أخشابها للتصدير. وبرما غنية أيضاً بالمعادن كالقصدير والرصاص والنحاس والزِّنْك والتَّنجِسْتُون وبها أيضاً بترول. ويوجد فيها حجار ثمينة كحجر اليشم (jade) والفضة والياقوت والصِّفِّيْر (الياقوت الأزرق). وكلها تُنجَّم (منذ القدم) في الشمال والشمال الشرقي من البلاد ويباع الكثير منها للصين.

تعد برما من البلدان النامية.. أي بلدان العالم الثالث التي ما زالت في طور التطور علمياً واقتصادياً وصناعياً وتكنولوجياً وغيرها. وما زالت طرق المواصلات في البلاد بدائية. وينقص برما معدن الحديد ومصادر الطاقة الرخيصة كالمائية ولتوليد الكهرباء وللصناعة، مما يعيق تطور البلاد الصناعي. ويوجد هناك خط سكة حديد رئيسي يربط العاصمة رانجون بالمدن الشمالية.

تقع برما ضمن الأراضي الموسمية. هنا تهطل الأمطار بغزارة في فصل الصيف خاصة ويهطل أغزرها على الصفحة الغربية من جبال «أَرَكان» التي تطل على خليج

البنجال وعلى منطقة الدلتا وعلى الشاطىء الجنوبي من البلاد المسمى شاطىء «تَنَاسِّرِينْ». وتتراوح كمية هطول الأمطار سنوياً فيما بين مئتين ميليمتر على العاصمة رانجون وخمسماية ميليمتر على مدينة أكْيابْ في جبال أَرَكانْ وأقل من مئة ميليمتر في أواسط البلاد.

وصول الإنجليز إلى برما

نزحت قبائل «بُرْمان» وغيرها هنا من جنوبي الصين وإلى الجنوب وإلى ضفاف الأنهار في أوائل القرن السابع الميلادي[٥]. وفي الفترة فيما بين عام ١٠٤٤م وإلى ١٢٨٧م توحدت قبائل «بُرمان» خاصة في دولة قوية حكمتها عائلة «بَاجَانْ» المالكة وكانت عاصمتها مندلاي. وقد قضى على دولة «باجان» هذه قبائل المنجول التي غزت برما عام ١٢٨٧م[٦]. ولما تراجع غزاة المنجول، وبعد سنوات من النهب والسلب والتدمير.. وكالعادة المنجولية في التاريخ.. خَلَّف هؤلاء فراغاً عسكرياً أتاح لدولة تايلاند حينها أن تتوسع كثيراً على حساب أراضي برما. وكان التايلنديون إذ ذاك قد ضموا أيضاً إلى دولتهم معظم أراضي لاوْسْ وكامبوشيا اليوم[٧].

وأسس أمراء قبيلة «مُونْ».. وهي قبيلة صغيرة في أقصى الجنوب من أراضي برما، أسسوا دولة في برما وفي القرنين الرابع والخامس عشر الميلادي شملت معظم برما اليوم. وكان هؤلاء قد حرروها من التايلنديين وكان أمراء تلك القبيلة قد اعتنقوا ومنذ القرن السابع الميلادي المذهب البوذي الأصلي، أي مذهب هنايانا أو المركبة الصغيرة. ولما حكموا برما ووحدوا أراضيها انتشر بذلك المذهب البوذي هناك.

وعاصر بدء الاستعمار الإنجليزي في الهند وفي أواسط القرن الثامن عشر بروز آخر عائلة مالكة قوية في برما وهي عائلة «كُنْ يُونْج». وقد حكمت هذه من ١٧٥٢م وإلى ١٨٨٥م. وكان أول من أسسها زعيم قبلي من شمال البلاد اسمه «أَلُونْج بَايَا»

(٥) راجع هاريسون، نفس المرجع.

(٦) وكما غزت معظم أراضي آسيا وحتى أطراف أوروبا.

(٧) هاريسون.

(حكم من ١٧٥٢ وإلى ١٧٦٠م). ووحد هذا البلاد تحت سلطته بعد أن طرد التايلنديين مما ظلوا فيها من الأراضي البرمية. وقد قتل هذا في معركة مع التايلنديين عام ١٧٦٠م وخلفه ابنه «نُونْجْدْ اوجي» الذي أنجز ما لم يكمله والده من تثبيت لسلطة عائلته ومن توحيد البلاد، وعمل من بلدة «آفَا» في أواسط البلاد عاصمة له. وفي عام ١٧٧٠م تغلب هذا على حملة صينية غزت بلاده. بعدها أرسل هو حملة من عنده لتطويع قبائل «شِن» المتمردة وأنجز ذلك. وبهذا صارت دولته وسلطته محاذية لدولة شركة الهند الإنجليزية التي كانت تحكم الهند من كَلْكتًا. . الأمر الذي جلب له ولبرما المتاعب من المستعمرين الإنجليز. إذ أخذت الشركة الإنجليزية بعد ذلك بتسليح وتشجيع قبائل «شِنْ» على التمرد على آفا. وأعلن هؤلاء أخيراً وفي عام ١٧٩٤م ثورة على السلطة البرمية المركزية وعلى ملك برما حينها «بودَاوْ بَايَا». وأرسل هذا حملة لقمع تلك الثورة. منها أخذ الإنجليز ذريعة للتدخل فارسلوا إنذاراً لآفا عام ١٧٩٦م بأن يبتعد ملكها عن الحدود الإنجليزية الهندية وأمروا بأن يقبل هذا مندوباً عن بريطانيا والشركة الإنجليزية ويتمركز في عاصمته آفا. ولم يسع ملك برما إلّا أن يقبل ذلك.

وأرسلت الشركة من كلكتا مندوباً عنها لآفا فرداً اسمه الكابتن هَيْرام كُوكْس (Cox). ووصل هذا لهناك وأخذ يتصرف وكأنه امبراطور لبرما مما نتج عن طرده من هناك عام ١٧٩٨م، وتخلصت المملكة من المضايقات الإنجليزية ولمدة ثلاثة عشر عاماً وسبب ذلك انشغال الإنجليز بحروبهم مع نابليون وفرنسا.

لكن في عام ١٨١١م غزت جماعة إنجليزية ومعها أفراد مسلحة من قبائل «شِنْ» الأراضي البرمية المحاذية للهند. وتتالت الغارات والتحرشات الإنجليزية ببرما. مما أدى أخيراً إلى حرب بين مملكة برما وشركة الهند الشرقية عام ١٨٢٤م ربحها الإنجليز ولكن بعد خسائر كبيرة في صفوف مقاتليهم ومعظمهم من الهنود. وتسمى هذه الحرب (من ١٨٢٤ إلى ١٨٢٦م) الحرب «انجلو- برمية الأولى». [8]

(٨) حسب المؤرخ الإنجليزي «هول». خسر الجيش الإنجليزي - الهندي أكثر من خمسة عشر ألف مقاتل في تلك الحرب. المرجع نفسه.

وقد ختمت تلك الحرب معاهدة «يِنْدابُو» عام ١٨٢٦م. بموجبها أجبر الإنجليز ملك برما على قبول مندوب إنجليزي جديد في آفا (وبالطبع للتدخل ورصد ما يجري في البلاد) وتنازلت كذلك برما الإنجليز عن أراضي شاطىء «تَنَاسِرين» الاستراتيجية، وهي الشواطىء الجنوبية من برما وعن شواطىء برما الشمالية الغربية المحاذية للهند[9]. وبهذا امتدت حدود الهند الإنجليزية وحتى القريب من مدينة «أكياب»، وكما هو الحال لليوم.

وفي تلك الأثناء كان الإنجليز قد أخذوا ما سموها «مستعمرات» أو «مستوطنات مضيق ملاكا» من الهولنديين. وجاء ذلك حسب معاهدة قبلتها هولندا عام ١٨٢٤م فيها أعادت بريطانيا لهولندا جزر الهند الشرقية الهولندية، والتي احتلتها أيام الحروب النابليونية، على شرط أن تبقى «مستوطنات مضيق ملاكا» انجليزية. لذلك كانت المطالبة الإنجليزية شاطىء «تَنَاسرِينْ» القريب من تلك «المستوطنات» لم تكن عن طريق الصدفة. حيث أنه وبذلك يؤمن الإنجليز السيطرة على كل أو معظم شواطىء خليج البنجال شرقاً وغرباً ولأكثر من أربعة آلاف ميل.

وقد لاقى مندوبو الشركة الإنجليزية في آفا صعوبة في إقناع ملوك برما على الانفتاح وقبول الاستثمار الإنجليزي في بلادهم، وخاصة في التعامل بزراعة الأفيون التي كانت الشركة الإنجليزية تزرعه في الهند وتصدره للصين[10].

وانشغلت الشركة الإنجليزية والدولة البريطانية في أمور أوروبية وهندية محلية

(٩) ويدعي المؤرخون الإنجليز أن من الدوافع لأخذ تلك الشواطىء من برما كان «لحماية السفن الإنجليزية من القرصنة البرمية». . . وكان للبرميين قدرة على ذلك، إما حينها أو حتى اليوم.

(١٠) وقد أصبحت تجارة الإنجليز بالأفيون وتصديره للصين أهم جزء من تجارتهم في كل آسيا في النصف الأول من القرن التاسع عشر، مما أدى إلى حربين مع الصين حرب من عام ١٨٣٩ - ١٨٤٢م وحرب من عام ١٨٥٦ - ١٨٥٨م. وتسمى هذه الحروب «حروب الأفيون». وقد ربح الإنجليز الحربين.

بعد ذلك على كل حال، مما سبَّب عدم اهتمام الإنجليز بما سموه «عدم التعاون البرمي».

وفي عام ١٨٥١م أرسل الحاكم العام للشركة الانجليزية في كلكتا سفينة حربية إلى بلدة «رانجون» الواقعة على رأس دلتا نهر «إيروادي» وحاصرتها. وأدى ذلك العدوان الإنجليزي إلى ما تسمى «الحرب الأنجلو- برمية الثانية» عام ١٨٥٢م. وانتصر الإنجليز ثانية في هذه وفرضوا بعدها على ملك برما التنازل عن أراضي دلتا إيروادي والشواطىء المحيطة بها مما سدَّ الطريق على أهالي البلاد من الوصول إلى بحرهم.

وأخذ الإنجليز بالتطلع لاستعمار ما تبقى من برما في الداخل وإلى الشمال وليمكنهم ذلك من الوصول إلى الصين[١١] عن طريق البر، ولتصدير الأفيون بدون عائق.

وفي أواخر الخمسينات من القرن التاسع عشر[١٢] باشر الفرنسيون باستعمار فيتنام من الجنوب وصاروا يتطلعون شمالاً وغرباً وللوصول أيضاً للصين براً وللتجارة معها. لذلك حاول ملك برما عام ١٨٨٥م (الملك ثي بَاوْ ١٨٧٨-١٨٨٦) أن يستعمل فرنسا ضد بريطانيا لإنقاذ ما تبقى من بلاده حُرّاً من الاستعمار الإنجليزي الأكيد[١٣]، وبالتفاوض سراً مع فرنسا. ولما عرف الانجليز بذلك غزوا برما في ٢٨ تشرين ثاني ١٨٨٥م وأكملوا احتلالها في غضون أسبوعين فقط. ويسمى هذا الغزو الأخير «الحرب الأنجلو- برمية الثالثة». وقد جاء ذلك الغزو من قبل الحكومة البريطانية هذه المرة وليست الشركة في الهند، حيث أن بريطانيا قد استلمت زمام حكم القارة الهندية من شركتها منذ عام ١٨٥٧م.. أي بعد الثورة الهندية التي

---

(١١) هاريسون، نفس المرجع.

(١٢) عام ١٨٥٧م بدأ الفرنسيون بالتحرش بملك فيتنام وأرسل نابليون الثالث سفناً حربية ضربت عاصمته «هْوي» وبدأوا باستعمار كل الهند الصينية.

(١٣) Michael and Taylor The Far East in the Modern World, 1960.

قامت على الشركة ذلك العام والمسماة «ثورة سِيبويْ»[١٤].

وحكمت بريطانيا برما في بادىء الأمر حكماً منفرداً عن حكمها في بلاد الهند وحتى عام ١٨٩٧م. بعد ذلك ضُمَّت برما للإدارة الهندية وصار الوالي البريطاني في كَلكتا (نائب الملك) والياً أيضاً على برما. وكان ذلك الضَّم أمقت على أهل برما من كل ما تعرضوا له من سياسات بريطانية استعمارية، غير استعمارهم بالطبع. وسنعرض لاحقاً لماذا كان ذلك.

الاستعمار البريطاني وسياساته

ذكرنا أن ضم برما للهند من قبل بريطانيا كان مستكرهاً جداً من قبل البرميين. ذلك لأنه سمح لعشرات الآلاف من الهنود الدخول لهناك. والهنود بالنسبة للبرميين غرباء لغوياً وحضارياً ودينياً. كذلك كان معظمهم من أدنى الطبقات الهندية وأفقرها. لذا كانوا على استعداد لقبول أي عمل يناط بهم وقبول التعاون والتعامل مع السلطات الإنجليزية والتصرف تصرف أي وافدٍ أو أقلية تشعر أن البلد ليست بلدها.

وعمل الكثير من هؤلاء في بادىء الأمر بالتنجيم، كتنجيم القصدير وفي مزارع المطاط الإنجليزية الكبيرة. بعد ذلك تعاطى الكثير منهم الصرافة والربا. ولم يطل الوقت حتى أصبحوا من أثرى أثرياء البلاد وتضاهي أموالهم وما يملكون ثروات المستعمرين الإنجليز أو حتى أكثر[١٥].

ولما جاء الاحتلال الياباني لبرما أثناء الحرب العالمية الثانية هرب الكثير منهم إلى الهند، وقد اضطهدتهم اليابان للحصول على التعاون من قبل أهل البلاد، وتحت شعار «برما للبرميين». ولما خرج اليابانيون وعاد الإنجليز لهناك عام ١٩٤٥م لم يطل الأمر حتى استقلت البلاد عام ١٩٤٨م. لذلك لم يعد معظم من ذهبوا

---

(١٤) أشارت كلمة «سَيبوي» للهنود الذين خدموا في جيش الشركة الإنجليزية أيام حكمها الهند.

(١٥) راجع أول الفصل هذا.

للهند إلى برما. وصارت قضية استرداد أموالهم من برما المستقلة قضية طالت بين البلدين، الهند وبرما.

اتبعت بريطانيا في حكمها برما سياسة «المِلِّية»[16] التي مارستها في الهند أيضاً. وهي في واقع الأمر طريقة «فرِّق تَسُدْ». بموجبها أمر الإنجليز أن يكون كل رئيسٍ قروي أو بلدي مسؤولاً مباشرة للسلطات المركزية البريطانية في كلكتا[17]. وكان هدف المستعمر من ذلك الإجراء حفظ النظام أولاً و معرفة كل ما يجري في برما حتى على مستوى القرية، ولإضعاف الوطنية البرمية بتفتيت شعبها وبتشجيع الأقليمية وتضييق الأفكار. وعلى الإجمال كان المجتمع البرمي قبل ذلك مجتمعاً متجانساً ومتراصاً. ولكن، ومن نتائج تلك السياسة، قامت، وما زالت قائمة لليوم عدة ثورات في برما بعد استقلالها، يرفض أصحابها السلطة المركزية في رانجون، وكما شجعهم على ذلك الاستعمار الإنجليزي من قبل.

والبوذية، وكما هو معروف هي دين البرميين، ولإضعافها كنقطة تجمع (وطنية) برمية رفض الإنجليز الاعتراف بها (وحسب ما طالب به رؤساؤها) كدين للدولة. واتخذ الإنجليز ذريعة لذلك الرفض أنهم اتبعوا هم، وفي دولتهم بريطانيا. سياسة «انفصال الكنيسة عن الدولة» وابتعاد أهل الدين عن التدخل بالسياسة.

ولم يقنع ذلك المنطق زعماء الدين البوذي. لذلك لم يكن مستغرباً أن يكون هؤلاء أول من طالب باستقلال بلادهم من بريطانيا، أو على الأقل الحكم الذاتي والتخلص من ارتباط بلادهم بالهند الهندوسية[18].

وأدخلت بريطانيا في عام ١٩٢١م ما سمته «نظام دَيَارْكي» في إدارة البلاد[19]،

---

(١٦) هُولْ، نفس المرجع.

(١٧) نفس المرجع.

(١٨) وشكل هؤلاء حزباً لهم سموه «جمعية الشبان البوذيين»، عام ١٩٠٦م.

(١٩) Dyarchy System. Cloud Buss Southeast Asia, 1958.

والذي مارسته أيضاً في إدارة الهند منذ عام ١٩١٩م[20]. بموجبه تَكَوَّن مجلس تشريعي، ثمانون بالمئة من أعضائه يُنتخب بواسطة حق تصويت محْصور (محصور على من يدفع ضرائب وأصحاب العقارات والأراضي وبعض المتعلمين) وعشرون بالمئة يُعَينهم الحاكم الإنجليزي (نائب الملك) في كلكتا. وتعين الأعضاء المنتخبة من الشعب نصف وزراء الحكومة والنصف الآخر يعينه الحاكم الإنجليزي. واسْتَبْقَت دولة الاستعمار لنفسها حَقَّ تعيين مناصب أهم الوزارات كوزارة الخارجية والداخلية والعدل والاقتصاد. وكان هؤلاء مسؤولين أمام الحاكم العام، وليس أمام المجلس التشريعي.

وقد سبَّبَ تخصيص الوزارات الهامة لتبقى تحت السلطة الإنجليزية أن رفض معظم الزعماء البرميين المعروفين التعامل مع «نظام دَيَارْكي» هذا و حتى أن استقلت البلاد عام ١٩٤٨م. ويقول المؤرخ فْرِدْ «جْرِينْ»[21]

«إن نظام دَيَاركي الذي أدخله الإنجليز لبرما طال أجله فقط لأن الفئات غير البرمية قبلت الاشتراك فيه».

ويعني «بالفئات غير البرمية» الأقليتين الهندية والصينية المتواجدة في البلاد.. مما شدَّد من كره الأهالي لكلتيهما.

وقد كان انفصال برما عن الهند من أوائل مطالب الوطنيين البرميين من بريطانيا. ولكن في الثلاثينات من قرننا هذا انقسم الرأي عند هؤلاء في ذلك الموضوع. فمنهم من ألحَّ في ذلك الطلب وخاصة لإيقاف هجرة الهنود إلى بلادهم، وقسم آخر رأى أنه إذا انقسمت برما عن الحكم في الهند وبعدها منحت بريطانيا الهند استقلالها، سيظل الإنجليز في برما لمدة أطول. وقد كان حزب «الكنجرس» الهندي وبزعامة غاندي في أشد الإلحاح حينها على بريطانيا لمنحهم الاستقلال.

---

(٢٠) حسب ما سُمي «قرار الهند عام ١٩١٩م».

(٢١) المرجع نفسه، Fred Greene.

ورجح الرأي الأخير في الأوساط البرمية السياسية إذ أنه في الانتخابات المحلية التي جرت في برما عام ١٩٣٢م نجح المرشحون الذين عارضوا الانفصال عن الهند نجاحاً باهراً. ومع كل ذلك قامت بريطانيا عام ١٩٣٥م وأصدرت دستوراً منفرداً لبرما صارت إدارة البلاد بموجبه منفصلة عن إدارة الهند. رغب البرميون أم لم يرغبوا.

وقد تشارك الرأسمال الإنجليزي والهندي والصيني في تطوير مناجم الرصاص والقصدير والزنك والحجارة الثمينة الموجودة في برما، والتي عددناها سابقاً. واستثمر هؤلاء الكثير في زارعة الرز وعلى نطاق واسع وتصديره وتصدير خشب السَّاج والماهون وفي آبار البترول الذي اكتشف في برما. وقد صار لبعض الشركات الانجليزية في برما شهرة عالمية كشركة «بترول برما» (Burba Oil) وشركة «سْتيل اخوان» (Steel Brothers)، وشركة «القصدير الأنجلو-برمية» (Anglo- Burmese Tin Co.) وغيرها. وبالطبع لم يصل لأهل البلاد من كل ذلك الاستثمار إلا «نصيب الأرنب»(٢٢).

وأكدَّ الإنجليز في حكمهم برما (وغيرها) على ما سموه «حفظ النظام» وعلى تطوير الأنظمة القضائية والمحاكم والقوانين وعلى مثال دولتهم. ويفتخر الإنجليز بما أسسوه هناك من مدارس ابتدائية وثانوية وحتى بعض الكليات. وقد تأسست أول مدرسة ثانوية في مدينة رانجون عام ١٨٧٣م. وفي عام ١٨٨٤م فتحت كلية رانجون أبوابها للطلاب. ويقول المؤرخ «هولْ» إنه ما إن جاء عام ١٩٠٠م حتى صار في برما سبع عشرة ألف مدرسة بين ابتدائية وثانوية كانت الإنجليزية لغة التعليم فيها. وتأسست عام ١٩٢٠م جامعة رانجون، وصارت هذه مصدر الشعب والمطالبة بالاستقلال من بريطانيا.

---

(٢٢) ولم تجرؤ حكومة برما المستقلة بعد عام ١٩٤٨ على تأميم تلك الشركات رأساً خوفاً من الصيحة البريطانية والرأسمالية التي ستقوم ولا شك. لكن لما جاء الجنرال «ني وِنْ» لحكم برما عام ١٩٦٢م أمم معظم تلك الشركات. وسبب ذلك هرب الرأسمال الأجنبي عن بلاده وحتى اليوم، مما أنهك اقتصادها.

الوطنية الصحيحة في العالم الثالث كله، وليس فقط في برما هي ثورة، ليست فقط ضد الاستعمار بل ضد الفقر والرجعية والإقطاعية والتخلف... تلك الحالات التي وجدت تلك البلدان نفسها فيها عند الاستقلال. وقد كان من الطبيعي والصائب أن يلوم العالم الثالث حالاته تلك على الاستعمار الأوروبي الذي ركَّز ولا شك على استغلال مستعمراته وامتصاص ما فيها من ثروات بدون أقل اكتراثٍ لمصالح الشعوب المستعمرة، كالمصالح الثقافية العلمية أو الصناعية التكنولوجية أو الاجتماعية أو غيرها. فمن الإجحاف الاستعماري في تلك البلدان كان السماح لدخول مئات الآلاف من الهنود والصينيين في برما أو غيرها وبعدها صار هؤلاء ممن أجحفوا بحقوق أهالي البلاد الأصليين. ففي الفلبين مثلاً كاد الشعب الماليسي الأصل يندثر أمام الموجات الصينية التي شجعها وجاء بها الاستعمار الإسباني. وبالطبع، فالاستعمار الإسباني قد غادر من هناك. غير أن العنصر الصيني اليوم هو العنصر المسيطر والمتميز في تلك البلاد.

تشجعت الحركة الوطنية في برما، لا بل أُلْهِمَت من مسار الوطنية في الهند جارتها. ففي عام ١٨٨٥م تأسس حزب «الكُنْجرِسْ» بالهند وبدأ بالمطالبة بحقوق الشعب الهندي. وفي عام ١٩٠٦م طالب حزب الكنجرس جهاراً باستقلال الهند من بريطانيا. وفي نفس السنة (١٩٠٦م) تأسس في رانْجون حزب «جمعية الشبان البوذيين» الذي باشر بالمطالبة بالاستقلال وبالانفصال رأساً عن الإدارة الإنجليزية في الهند. ولما طُبِّقَ في برما «نظام دياركي» عام ١٩٢١م والذي جاء به الإنجليز تأسس في رانجون رابطة سمت نفسها «المجلس العام للجمعيات البوذية». وكان أهم هدفٍ لتلك الرابطة محاربة «نظام دَيَاركي» وعدم التعامل معه.

وفي عام ١٩٣٠ تأسس في برما أول حزب سياسي محض طالب بالاستقلال وبزعامة الدكتور «بَامَاوْ». وسمى أعضاؤه حزبَهم «حزب الرجل الفقير» (Poor Man's Party).

ذكرنا سابقاً أن بريطانيا أصدرت دستوراً منفرداً لبرما عام ١٩٣٥ وانفصلت

بذلك إدارة برما عن إدارة الهند. وصار الدكتور بَاماوْ حسب ذلك الدستورأول رئيس وزراء وطني لبرما. وكان ذلك عام ١٩٣٧م. غير أنه أُقيل من منصبه هذا عام ١٩٣٩م ومن الحاكم الإنجليزي المتمركز في رانجون، ولإلحاحه على حرية التصرف. وجاءت إقالته والحرب العالمية الثانية تكاد تندلع. بعد ذلك أَسَّسَ بَامَاوْ حزباً جديداً سماه «كتلة الحرية» ونادى علناً بالثورة ضد الاستعمار. وأدى ذلك إلى زَجِّه بالسجن هو والعديد من أعضاء حزبه وظلوا هناك حتى آذار عام ١٩٤٢م حين دخل اليابانيون برما وحرروهم.

وقد تأسس في رانجون عام ١٩٣٧م حزب آخر سمّاه أعضاؤه «جميعة نَحْنُ البرميون». وصار هذا يسمى أيضاً «حزب ثَاكِنْ»، إذ صار أعضاؤه يخاطبون بعضهم بلقب «ثاكِن»، الكلمة التي تعني «سَيِّد» في لغة برما. وكان ذلك للتأكيد على أن البرميين هم أسياد بلادهم. ومن أعضاء ذلك الحزب كان السيد «أُونُو» الذي صار أول رئيس لجمهورية برما بعد استقلالها التام عام ١٩٤٨م. كذلك كان السيد «أُو ثَانْتْ» من أعضاء ذلك الحزب، والذي انتخب عام ١٩٦١م رئيساً لهيئة الأمم المتحدة[٢٣].

وكان العديد من أعضاء حزب «ثاكِنْ» ميالين للأفكار الاشتراكية وحتى للشيوعية. لذلك لما دخل اليابانيون برما تطوع الكثير من هؤلاء في الجيش غير النظامي الذي نشأ لمحاربة الاستعمار الياباني الدكتاتوري الجديد والذي لم يطل إلّا حوالي ثلاث سنوات، (من ١٩٤٢م إلى ١٩٤٥م).

وقد تأسس حزب شيوعي برمي عام ١٩٣٩م ضم الكثير من طلاب جامعة رانجون. ولما أكمل اليابانيون احتلال برما في أيار ١٩٤٢م مال الكثير من اليمينيين من زعماء برما إلى التعاون مع اليابان ظنّاً منهم أن هذه ستحررهم من الاستعمار البريطاني ومن ثم تنسحب. غير أن الشيوعيين خاصة والكثير من الاشتراكيين البرميين لم يقتنعوا بذلك المنطق وشكلوا الجيش غير النظامي الذي حارب

(٢٣) وظل «أو ثَانْتْ» في ذلك المنصب حتى كانون ثاني عام ١٩٧٢م.

الاستعمار الياباني وبكل صلابة. ولما برهن الاستعمار الياباني أنه أقسى بكثير من الاستعمار البريطاني الذي سبقه ازداد عدد المحاربين في الجيش غير النظامي وانتهى على حد القول «شهر العسل» بين اليابان وبين من تعاون معها هناك.

وقد توحدت صفوف الثوار في عام ١٩٤٤م تحت اسم «عصبة الأحرار ومقاومو الفاشية». وترأس قيادة محاربيهم جنرال اسمه «أُونْجْ سَانْ». وصار هناك اتصالات بين هؤلاء وبين القوات البريطانية والأمريكية المتمركزة في شمال الهند.

وبعد أن حرر اليابانيون الدكتور بَامَاوْ من السجن (البريطاني) عام ١٩٤٢م تعاون هذا معهم وصار في أيام سيطرتهم هناك رئيس دولة برما. لذلك اتهمه الكثير من الاشتراكيين والشيوعيين في «عصبة الأحرار» المذكورة بالخيانة العظمى.

وفي الانتخابات التي جرت في بريطانيا في تموز عام ١٩٤٥م وقبل انتهاء الحرب العالمية الثانية ربح حزب العمال البريطاني أكثرية مقاعد البرلمان. وجاء لمنصب رئيس الوزراء حينها زعيم حزب العمال كْلِمِنْتْ «أَتْلي». وقد كان حزب العمال (وما يزال) أكثر ليبرالية في بريطانيا من حزب المحافظين، وكان حينها أكثر تقبُّلاً للمطالبة بالاستقلال في المستعمرات البريطانية من حزب المحافظة. لذلك باشر «أَتْلي» رأساً، وبعد أن هزمت ألمانيا واليابان في الحرب العالمية الثانية، بالتفاوض مع زعماء مستعمراته.. ومنهم زعماء «عصبة الأحرار» البرميين مثل «أونُو» والجنرال «اونْجْ سان» لمنحهم استقلال بلادهم. ونتجت تلك المفاوضات باستقلال برما في اواخر عام ١٩٤٧م والذي اعلن رسمياً في ٤ كانون ثاني ١٩٤٨م. وبعدها صار «أونُو»أول رئيس جمهورية لوحدة برما. وظل هذا في منصبه حتى آذار عام ١٩٦٢م حين جرى انقلاب عسكري على حكومته تزعمه جنرال في الجيش اسمه «ني وِنْ».

وقد عانت برما الكثير من الاضطرابات والثورات والنزاعات الداخلية ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وحتى قبل استقلالها. ففي عام ١٩٤٦م قام الجنرال «أُونْجْ سَانْ» وطرد الشيوعيين من صفوف جيشه غير النظامي ولأن هؤلاء عارضوا نهج التداول والمفاوضات مع بريطانيا من أجل الاستقلال وصمموا على مبدأ «الحرب

حتى النصر» . وحتى بعد أن نجح زعماء «عصبة الأحرار . . أُونُو» والجنرال «أُونْجْ سَان» . . بالمفاوضات في لندن، ومُنِحت برما استقلالها، ظل هؤلاء يعارضون بنود معاهدة الاستقلال . ولهذا لم يُشْرِك الرئيس «أونُو» أي شخصية شيوعية في حكومته بعد عام ١٩٤٨م . وباشر الشيوعيون بالمظاهرات والشغب مما أدى إلى إعلان حزبهم ومن قبل الحكومة في آذار ١٩٤٨م «غير قانوني» . وقامت بعد ذلك ثورة شيوعية كادت أن تقلب نظام الحكم وطالت لأكثر من ثلاث سنوات .

كذلك قامت رأساً وبعد الاستقلال ثورة قبائل «كارِنْ» في جنوبي البلاد . وقد كان الكَارِنْ مدللين أيام الاستعمار البريطاني كَوْن الكثير منهم اعتنق المسيحية وتعاونوا مع المُسْتَعْمِر . وقلق هؤلاء من أن يُضطَهدوا من الأكثرية البوذية بعد الاستقلال وأن يُضَيعوا مركزهم المتميز الذين اعتادوا عليه أيام بريطانيا . وطالت ثورة «كارن» حتى عام ١٩٥٢م .

كما وثارت رأساً بعد الاستقلال ثورة قبائل «كاشِنْ» التي تسكن الجبال في شمالي البلاد . وطالب هؤلاء باستقلالهم وتأسيس جمهورية لهم مستقلة عن رانجون، وما زال هؤلاء يسببون المتاعب للحكومة المركزية .

ونتج عن انْهيار نظام شانْجْ كاي شِكْ في الصين عام ١٩٤٩م واستلام الشيوعيين الحكم هناك أن ازدادت متاعب برما . ذلك لأن الآلاف من جنود شَانْج كَايْ شِكْ . . أي الصين الوطنية هربوا إلى برما وفي أقصى الشمال الشرقي منها . بعد ذلك صار هؤلاء يغيرون عبر الحدود على الصين الشعبية (الشيوعية) وينهبون ويَسْلبون القرى الصينية المجاورة ومن ثم يرجعون داخل أراضي برما . وبالطبع صارت حكومة مَاوْتْسي تُنْجْ تقدم الاحتجاجات لِرانجون . وفي عام ١٩٥٣م وعد الجنرال شانج كاي شِك في تايوان أن يسحب تلك القوات من هناك . غير أن الكثير من هؤلاء رفضوا العوده إلى تايوان وصاروا بأسلحتهم شبه عصابات مسلحة تغتصب ما لأهالي قرى برما هناك أيضاً .

وكثير من البرميين من اشتبه بأن الولايات المتحدة وقلم مخابراتها السري هي من كانت من وراء متاعبهم . إما بتحريض القبائل والجماعات البرمية المتمردة هنا

أو هناك، أو في عدم الضغط على حليفتهم حكومة شانج في تايوان لسحب أو منع قواتها في برما من خلق المشاكل لها وللصين الشعبية . وقد شجعت تلك الشبهة النزعة الحيادية إزاء الحرب الباردة عند البرميين . ولربما كان الأمر العكس بالعكس . أي أن انتهاج برما سياسة الحياد (الإيجابي»)، أو ما سموه «عدم الانحياز») كان السبب الرئيسي لمتاعبهم الأمنية . ويضاف على ذلك أن برما كانت من أوائل الدول التي اعترفت بالنظام الشيوعي في الصين والذي حاربته الولايات المتحدة وحكومة شانْجْ في تايوان .

واتبعت دولة برما منذ استقلالها سياسة الحياد (حتى العزلة) بين الدول الغربية الأوروبية والشرقية منها . وكما هو معروف، لقد صار عند الولايات المتحدة الأمريكية شبه هستيريا بعد الحرب العالمية الثانية في محاولاتها لتطويق العالم الشيوعي الذي تزعمه الاتحاد السوفييتي . وقد تأزمت تلك الهستيريا بعد أن أصبحت دولة الصين شيوعية بعد عام ١٩٤٩م، وصار ساستها يتهمون بعضهم البعض بـ «ضياع الصين» . ونتج عن ذلك أن أصاب الولايات المتحدة «هوس الأحلاف» . حينها صار وزراء خارجيتها يتجولون في العالم بحثاً عن حلفاء ممكنة ضد الكتلة الشيوعية . وهكذا تأسس حلف «شمال الأطلسي» (ناتو) في نيسان عام ١٩٤٩م . بعدها خلقت الولايات المتحدة في عام ١٩٥١م الحلف المسمى حلف «أَنْزوس» (مختصر أسماء استراليا ونيوزلندا والولايات المتحدة أعضاء الحلف) .

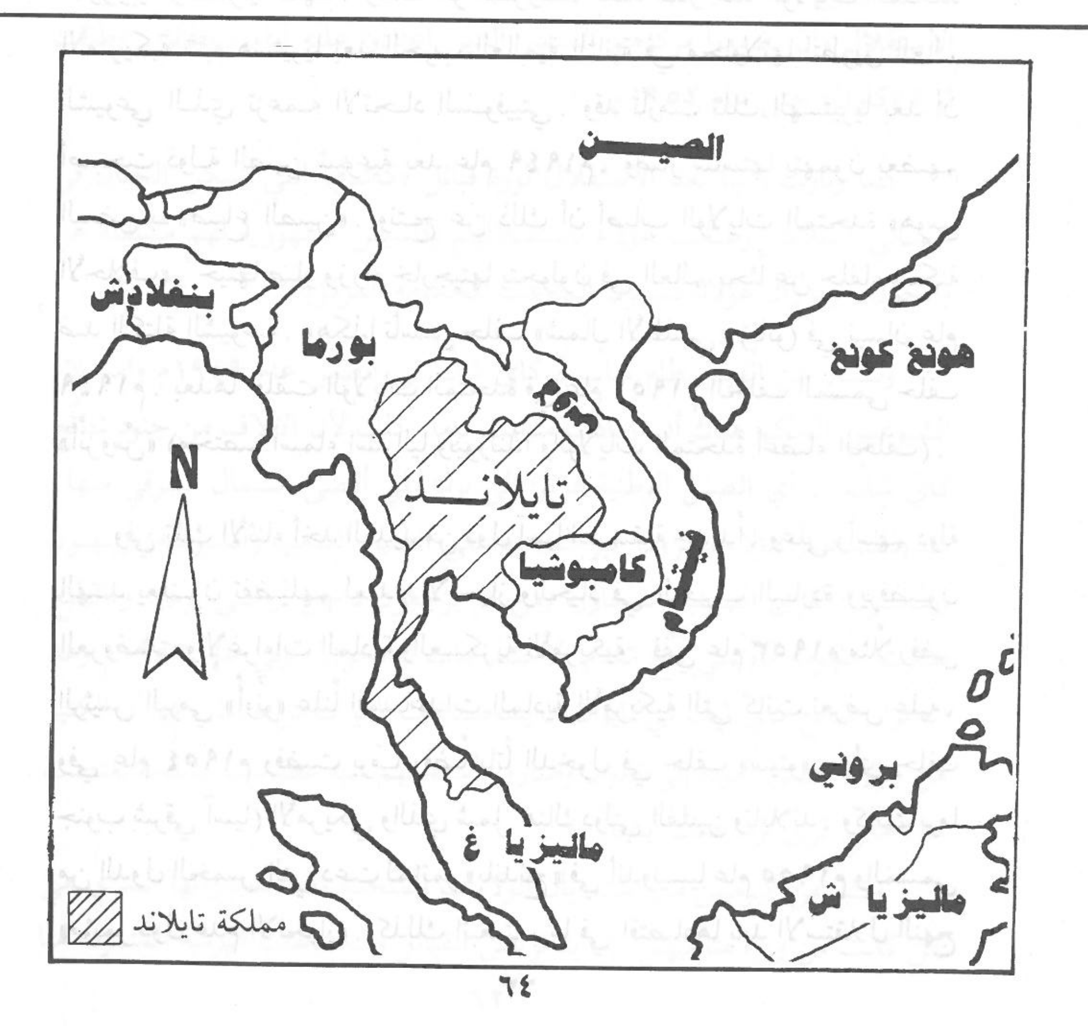
وفي تلك الأثناء أخد العديد من دول آسيا المستقلة جديداً، وعلى رأسهم دولة الهند يعلنون تفضيلهم لعدم الانحياز والحياد في الحرب الباردة ويرفضون العروضات والإغراءات المادية والعسكرية الأمريكية . ففي عام ١٩٥٣م مثلاً رفض الرئيس البرمي «أُونُو» علناً المساعدات المادية الأمريكية التي كانت تعرض عليه، وفي عام ١٩٥٤م رفضت برما رفضاً باتاً الدخول في حلف «سيتو»، (أي حلف جنوب شرقي آسيا) الأمريكي والذي شمل هناك دولتي الفلبين وتايلاند . وكانت برما من الدول الخمس التي دعت لمؤتمر «باندنج» في أندونيسيا عام ١٩٥٥م والمسمى «مؤتمر دول عدم الانحياز» . كذلك اتبعت برما في اقتصادها بعد الاستقلال النهج

الاشتراكي، وأممت الشركات الأوروبية والأمريكية مما زاد من «عدم رضى» واشنطن عنها. ولما جاء الانقلاب العسكري في برما عام ١٩٦٢م والذي قام به الجنرال «ني وِنْ» على الرئيس «أونُو»، أمم النظام الجديد كل ما تبقى من الشركات الأجنبية وازدادت عزلة برما وازداد الحقد «الغربي» عليها ومحاولة تطويقها اقتصادياً.

وحَلَّ الجنرال «ني ون» الرئيس الجديد لبرما كل الأحزاب السياسية عام ١٩٦٤م ولم يبق إلّا الحزب الذي أسسه هو «حزب البرنامج الاشتراكي البرمي». وظل «ني وِنْ» في رئاسة الدولة حتى تقاعد عام ١٩٨١م، واستلم الحكم جنرال آخر اسمه «سَانْ يُو»[٢٤]. وما زال هذا يحكم برما.

---

(٢٤) لكن بقي «ني وِنْ» يرأس حزب «البرنامج الاشتراكي».



الفصل الرّابع

مملكة تايلانـــد

جغرافيتها

كانت هذه تسمى «سيام» قبل عام ١٩٣٩م. ولافتخار أهلها ببقائهم مستقلين أيام الاستعمار وبتراثهم غيروا الاسم الذي كانت بلادهم تعرف به خاصة عند الأوروبيين إلى «تايْ بْراثِتْ تاي» أي بلاد التاي الأحرار.

تبلغ مساحة تايلاند حوالي ١٩٨,٠٠٠ ميل مربع، أي أكبر بمرتين من مساحة بريطانيا، ويبلغ عدد سكانها أكثر من خمسين مليون نسمة.

تشبه تايلاند بوضعها وشكلها الطبيعي جمهورية برما، إذ تحيطها من الشرق والغرب ومن الشمال إما التلال أو الجبال العالية. كذلك يتوسطها سهل كبير يجري فيه نهرها الرئيسي نهر «مِنَامْ شَاوْ فْرَايُو» حيث يعيش حوله معظم سكان البلاد. وتشترك الدولتان.. برما وتايلاند بملكية أراضي البرزخ الواقع في الجنوب، غير أن أراضي تايلاند فيه تمتد أطول إلى الجنوب و حتى تصل حدود شبه جزيرة ملايا.

تشكل تلال «شَانْ» الحدود بين تايلاند وبرما من الغرب. وتمتد هذه شمالاً وشرقاً حتى تكون حدود تايلاند مع جمهورية «لَاوْسْ» أيضاً. ولا تصل الأراضي التَايْلَنْدية بلاد الصين إذ تفصلها عنها برما ولَاوْسْ. أما شرقي البلاد فَيتكوَّنُ من سهلٍ مرتفع يُسَمى سهل «كُورَاتْ». فيه يجري نهران صغيران يصبان شرقاً وفي نهر «مِيكُنْجْ» العظيم.. هما «نَامْ شِي» و«نَامْ مَنْ». وتغطي معظم شواطىء تايلاند

الجنوبية وعلى «خليج سِيَامْ» تلال «الهَالْ»[1]، التي تغطي أيضاً شواطىء كامبوشيا المجاورة.

وتقع في عزلة تامة تقريباً عن باقي البلاد أراضي البرزخ المسمى برزخ «كْرَا» والتي تمتد جنوباً حتى تحتوي الشواطىء الشرقية والغربية فيه وعلى المحيط الهندي في الغرب وعلى خليج سيام في الشرق. ويغطي أراضي البرزخ غابات استوائية كثيفة تسكنها قبائل مسلمة ومن أصل ماليسي وليس «تاي» ترفض إجمالاً السلطة المركزية «البوذية» في بَانْكُوكْ.

ويشكل السهل الكبير الذي يتوسط البلاد قلب تايلاند السكاني والاقتصادي. فيه يجري نهر «مِنَامْ» (سيد الأنهار) الذي ينبع ويجري فقط في أراضي تايلاند[2]. هنا تعم زراعة الرز، غذاء الأهالي الرئيسي ومن أهم صادرات البلاد. وتشكل منطقة الدلتا أكثف مناطق الزراعة. ويقع على نهر «مِنَامْ» معظم البلدان والمدن الرئيسية كالعاصمة بانكوك ومدينة «تَنْبُوري» و«شْيَانْجْ مَايْ» و«بُورِ رَامْ» وغيرها.

ويقل السكان في سهل «كُورَاتْ» الشرقي والكثير ممن يقطن فيه هم قبائل رحل أو في طور الاستيطان يربون الأبقار التي يبيعونها لمدن وبلدان البلاد. ومنطقة «كُوراتْ» هي من أفقر مناطق تايلاندْ.

المناخ في تايلاند حار ورطب على الإجمال. وتسقط الأمطار على مدار السنة تقريباً في المناطق الاستوائية الجنوبية. أما في الشمال فهي منطقة موسمية تهطل الأمطار عليها بالصيف وتقل بالشتاء. ويغطي البلاد في الشمال غابات كثيفة من شجر السَّاج (التيك) والماهون والصنوبر، كذلك يغطي منطقة برزخ «كْرَا» غابات كثيفة استوائية متنوعة الأصناف.

---

(1) إذ تنبت هناك شجرة الهَالْ.

(2) وهي نقطة مهمة. حيث أن معظم أنهار شمال منطقة جنوب شرقي آسيا تنبع في أراضي الصين. وقد تعرضت برما خاصة للضغط والابتزاز الصيني وبالتهديد بتغيير مجرى نهر «إيروادي» أيام توتر علاقاتها مع الصين بعد الحرب العالمية الثانية.

السكان

أربعة أخماس أهالي تايلاند تقريباً هم من أصل تايلاندي. وما تبقى فيشكل عدد الأقليات فيها. والأقلية الصينية هي أكبر أقلية عدداً. وتسيطر هذه على الكثير من قطاع الصناعة وعلى البنوك وبيوت الصرافة والتأمين والاستيراد والتصدير، وخاصة تصدير الرز، ويكاد يكون نصف سكان العاصمة بانكوك من أصل صيني. وهناك أقلية ماليسية مسلمة تعد حوالي مليوني نسمة تقطن إجمالاً منطقة البرزخ في الجنوب. وتسمى هذه الأقلية عند الأكثرية «تَايْ إِسْلامْ». وكما ذكرنا سابقاً ترفض هذه الأقلية السلطة «البوذية» وتتمنى الالتحاق بدولة ماليسيا المجاورة المسلمة مثلها.

هناك أقلية كامبودية يقارب عددها النصف مليون نسمة تعيش قرب حدود تايلاند مع كامبوشيا. وقد التحق هؤلاء لحكم تايلاند بعد أن احتلت هذه أراضيهم أيام الحرب العالمية الثانية وترفض لليوم الخروج منها.

ويتكلم التايلنديون لغة تقرب من الصينية ومعظمهم يتبع مذهب «هِنَايَانَا» (المركبة الصغيرة) البوذي وهو المذهب الأصلي في الديانة البوذية.

الموارد الطبيعية

تصدر تايلاند أكبر كمية من الرز في كل بلدان آسيا. وقد استصلحت الدولة ومنذ الحرب العالمية الثانية أكثر من مليونين ونصف مليون فدان جديد لزراعة الرز. والكثير من المحاصيل الزراعية كالرز يخصص للتصدير للخارج. ويستغل التايلنديون الثروة السمكية الكبيرة الموجودة في خليج تايلاند للأكل وللتصدير. وتصدر البلاد كميات كبيرة من خشب السَّاج (التيك) خاصة، حيث أن حوالي سبعين بالمئة من أراضيها مغطاة بالغابات معظمها شجر ساج أو مَاهُون. ويوجد في البلاد ثروة كبيرة من القصدير والمطاط خاصة في أراضي برزخ «كْرَا» الجنوبية. وتايلاند من أكثر بلدان العالم تصديراً للقصدير، وتأتي بالدرجة الثالثة في إنتاجه

وتصديره بعد ماليسيا وأندونيسيا[٣]. وينجم هناك ويصدر معدن تنجستون[٤] والحجارة الكريمة كالياقوت والصِّفّير وغيرها. وينقص البلاد معدن الحديد. كذلك ينقصها الفحم والبترول، أي مصادر الطاقة لتوليد الكهرباء مما يضعف النمو الصناعي. وأصبحت السياحة لتايلاند من أهم مصادر دخلها منذ الحرب العالمية الثانية.

تاريخهـــا

التايلنديون هم من أصل صيني. وكانت قبائلهم آخر القبائل التي نزحت من جنوب الصين إلى أراضي جنوب شرقي آسيا. وقد جرى ذلك حوالي القرن الثامن ميلادي وتزايد أيام الغزو المنجولي للصين في أواخر القرن الثالث عشر ميلادي. ودخل المنجول أراضي تايلاند عام ١٢٨٧م ونهبوها وتراجعوا من هناك في نفس العام. وعلى أثر تراجعهم برز في البلاد عائلة تايلاند المالكة لليوم وهي عائلة «شَاكْرِيْ»[٥]. التي امتد سلطانها فيما بعد إلى كل ما هي أراضي تايلاند اليوم وقسم كبير من أراضي برما وكامبوشيا. وتسمى الحقبة من حكمهم فيما بين عام ١٣٥٠م وإلى عام ١٧٦٧م «عهد أيُوتْ ثَايَا» بعد اسم عاصمتهم إذ ذاك، وهي بلدة تقع إلى الشمال من بَانْكوك.

وقد جرى أول اتصال تايلندي مع الأوروبيين حين وصل البرتغاليون إلى مَلاَكا في أوائل القرن السادس عشر. من هناك أرسل الأميرال البرتغالي «أبو القِرْق» مندوباً عنه إلى بلاط سَيَامْ عام ١٥١١م. وعقد هذا مع الملك التايلندي «راما الثاني» اتفاقاً تجارياً.

(٣) تصدر تايلاند حوالي عشر التنك المستعمل بالعالم.

(٤) يستعمل في لمبات الكهرباء.

(٥) ملوك تايلاند تبدأ بالملك «تَاكْ سِنْ» ومن بعده الملك «راما» الأول و حتى الملك «راما العاشر اليوم».

ووصلت أول جماعة تبشيرية (برتغالية) إلى هناك عام ١٦٠٦م[٦]. وازدادت الاتصالات التايلندية بعد ذلك، ومع التجار الفرنسيين والإنجليز والإسبان والهولنديين. غير أن التجار الأوروبيين لم يفلحوا كثيرا هناك لشدة الرقابة الملكية عليهم.

ودارت في معظم سنوات القرنين السابع والثامن عشر حروب متتالية بين تايلند وأهل برما، معظمها حروب استقلالية أقامها البرميون للتخلص من الاستعمار التايلندي. وانتهت هذه عام ١٧٦٥م حين أكمل الملك البرمي «نُونْجْدْ أوجي» تحرير بلاده من التّاي[٧]. بعد ذلك بعامين أبدل ملوك التّاي عاصمتهم «آيوتْ ثايا» ببانكوك. وتسمى الحقبة بعد ذلك، أي من عام ١٧٦٧م ولليوم «عهد بانكوك».

ظلت تايلاند تحكم ملكياً وبدون دستور حتى عام ١٩٣٢م. بعد ذلك دُوِّنَ دستورٌ للبلاد وصارت السلطة في الواقع في أيدي رؤساء الوزراء[٨] وكما هي الحال في بريطانيا.

وقد تجددت الاتصالات الأوروبية مع تايلاند مع ابتداء القرن التاسع عشر. ففي عام ١٨١٨م عقدت دولة البرتغال اتفاقية تجارية مع سيام وبعد ذلك بثلاث سنوات أرسل ملك سيام حملة عسكرية إلى سلطنة «كيدَا» في أقصى الجنوب من مضيق «كْرَا» لتطويع سلطانها الذي أخذ بالتعاون والتجارة مع الإنجليز في جزيرة «بِينَانْجْ» المجاورة له مستقِلاً عن بانكوك. وكان هذا فرضياً من اتباع ملوك سيام. وبعد أن طوع الملك راما الثاني سلطان كِيدا صارت كيدا نقطة خلاف دوري ومناقشات بين سيام وبريطانيا حتى عام ١٩٠٩م لما تخلت الأولى لبريطانيا عن سيادتها عليها[٩].

(٦) Thomas Fitzsimmons Country Survey servies Thailand, 1957. (٧) راجع الفصل الثالث عن برما.

(٨) ومع فرق ليس بسيطاً وهو أن رؤساء الوزارات في بانكوك هم قادة الجيش غير المنتخبين من الشعب والذين اغتصبوا السلطة من الملك.

(٩) حينها تخلت سيام عن كيده وعن ثلاث سلطنات أخرى صارت كلها جزءاً من فدرالية ملايا البريطانية. راجع الفصل التاسع فيما بعد.

وفي أيام حكم الملك راما الثالث (١٨٢٤ ـ ١٨٥١م) عقدت سيام اتفاقية تجارية (١٨٢٦م) مع شركة الهند الشرقية التي كانت تحكم الهند. وكانت الشركة تنوي تشجيع زراعة وتصدير الأفيون من هناك للصين غير أن ملك سيام ظل يرفض ذلك. وكانت الشركة الإنجليزية هذه، هي والتجار الأميركيون يتعاطون تلك التجارة علناً[١٠] مما أدّى أخيراً، وكما هو معروف، إلى حربٍ بين الصين والشركة مدعومة من الأسطول البريطاني من عام ١٨٣٩م وإلى عام ١٨٤٢م ربحها الإنجليز وتسمى تلك الحرب «حرب الأفيون».

وفي عام ١٨٢٨م احتلت سيام منطقة «فين تيان»[١١] في بلاد لاَوْس المجاورة.

وفي عام ١٨٣٣م عقدت سيام أول معاهدة صداقة مع دولة غربية وهي الولايات المتحدة. وفي المحادثات التي سبقت عقدها حاولت الولايات المتحدة الحصول على ما يسمى «حق الإعفاء القضائي» لمواطنيها إن تواجدوا في سيام، غير أن الملك راما رفض ذلك. وعَنَى ذلك أن الأمريكي وإن كان في بانكوك مثلاً وأجرم هناك لن يخضع لقانون وقضاء سيام بل يُسَلَّم للممثل أو السفير الأمريكي هناك لمحاكمته أو إحالته للولايات المتحدة للمحاكمة (أو عدمها) هناك. وكان هذا الامتياز من أمقت ما ابتدعه الاستعمار الغربي في العالم الثالث المُستَعْمَر[١٢].

على كل حال أُرْغِمَت سيام على قبول ذلك الامتياز للأوروبيين والأمريكيين في عام ١٨٥٥م. وكانت قد قبلته من قبلها دولة الصين في عام ١٨٤٤م ومن بعدهما دولة اليابان في عام ١٨٥٩م.

---

(١٠) يقول المؤرخ الأمريكي «كلايد» في كتابه «الشرق الأقصى» ١٩٥٨م:ـ

«وما إن جاء عام ١٨٣٨م حتى صارت أكثر من خمسين بالمئة من تجارة الإنجليز مع الصين بالأفيون. وكان أقوى منافسٍ لهم في تلك التجارة الأمريكيون». راجع أيضاً للمؤلف «التاريخ السياسي الحديث» في الفصل السادس.

(١١) وهي عاصمة لاوس اليوم.

(١٢) راجع للمؤلف «التاريخ السياسي الحديث» الفصل السادس.

ولما احتلت الشركة الإنجليزية شواطىء برما الجنوبية (شاطىء تَنَاسِرين) ومن بعدها أراضي الدلتا، أثر الحربين الأنجلو ـ برمية عام ١٩٢٦م وعام ١٨٥٢م أخذت معها أيضاً جزءاً من أراضي سيام المجاورة. وبعد ذلك أخذ الاستعمار الفرنسي بالامتداد شمالاً وغرباً وعلى حساب فيتنام ولاوس وسيام أيضاً. وأدى ذلك إلى حربٍ فرنسية مع سيام عام ١٨٩٣م. وخسرت الأخيرة الحرب واستعمرت فرنسا كل ما هي اليوم لاَوْس وفيتنام وكامبوشيا. والكثير من غربي تلك الأراضي كانت جزءاً من مملكة سيام. كإمارة «لُوانْج بْرَابَانْج» وإمارة «فِيِنْ تْيان» (وهما لاوس اليوم) ومعظم الأراضي الكامبوشية غربي بحيرة «تُونلْ سَابْ»[١٣].

وكانت بريطانيا حينها (بعد عام ١٨٥٧م وأخذ الدولة حكم الهند من يد الشركة الإنجليزية) تُشَجِّعُ ملوك سيام على مقاومة ومحاربة الفرنسيين ليس حبّاً بسيام بل لإنْهاك فرنسا، منافستها الرئيسية بالاستعمار إذ ذاك، ولاستعمار بريطانيا تلك الأراضي بعد ذلك.

على كل حال، وبعد أن وصل الاستعمارالفرنسي ضفاف نهر «مِيكُنْج» الذي يفصل أراضي لاَوْس الغربية عن أراضي تايلاند اليوم، كانت بريطانيا قد وصلت أيضاً إلى هناك قادمة من الشمال الشرقي من برما. وكل ذلك قَلَّص من حجم دولة سيام. بعدها وقعت فرنسا مع بريطانيا ما سمي «الاتفاق الأنجلو ـ فرنسي» عام ١٨٩٦م. فيه وعدت الدولتان بعضهما بإبقاء ما تبقى من سيام مستقلاً بعد أن اعترفا لبعضهما البعض ما قد صار مستعمراً من قبلهما. وجرى ذلك بالطبع ليس حبّاً بملوك سيام بل لتفادي نشوب حربٍ استعمارية بينهما. وهكذا نَجَت سيام (المقلصة حجماً) من الاستعمار الأوروبي.

وفي نفس العام (١٨٩٦م) أرغمت بريطانيا ملك سيام عل التعهد بأن لا يمنح أي امتياز في أراضيه لأية دولة غربية دون موافقتها. وجاء ذلك بعد أن راجت الإشاعات أيامها أن فرنسا كانت تنوي طلب امتياز من ملك سيام لحفر قنالٍ في

---

(١٣) راجع هول.

برزخ «كْـرا» من أراضي سيام مثـل القنال الذي أنجزته في مصر عام ١٨٦٩م. وبـالـطبع فإن صح ذلـك سَيؤثِّـر سلبياً، ولأقصى الحـدود على مرفأ سنجافورا الإنجليزي اقتصادياً واستراتيجياً وعلى المواقع البريطانية الاستراتيجية في مضيق مَلاَكا وفي جزيرة بينانج.

ولم تتمسّك بريطانيا أو فرنسا باتفاقهما عام ١٨٩٦م الذي وعدتا فيه الإبقاء على ما تبقى من سيام مستقلاً. حيث إن فرنسا ضمت عام ١٩٠٧م بعضاً من أراضي سيام لمستعمرتها لاوْس. كذلك استولت بريطانيا عام ١٩٠٩، وكما ذكرنا سابقاً على سلطنة «كيده» التابعة قبلاً لسيام وضمتها لمستعمرتها مَلايا.

ولما نشبت الحرب العالمية الأولى أعلن ملك سيام راما السادس[١٤] الحرب على ألمانيا وحليفاتها وإلى جانب دول الحلفاء. وساهمت سيام فعلاً بالحرب بإرسال مفرزة من جنودها إلى أوروبا وحاربت هناك. ومكافأة للملك راما أعلن الحلفاء المنتصرون بعد الحرب إلغاء امتياز الإعفاء القضائي في سيام.

وتسلم عرش سيام بعد موت راما السادس أخوه راما السابع. وأخذ هذا في تقليص موازنات الجيش وبالتقتير في مصاريف الدولة وألغى الكثير من مظاهر البذخ الذي كان أخوه الراحل يعيش فيها. كذلك طرد الكثير من المقربين قبلاً للبلاط الملكي. ومما أجبر الملك على التَّقتُر كان قدوم الكساد العالمي الذي عمَّ بعد عام ١٩٢٩م.

وقد أدى كل ذلك للتذمر في صفوف الجيش وعند الكثير ممن نعموا من قبل في ظل البلاط الملكي أيام حكم أخيه، كذلك بدأ الكثير من مُتعلمي البلاد بالمطالبة بالنهضة وبالإصلاحات وبدستورٍ مُدَوَّن. لذا، وفي أثناء زيارة للملك لأوروبا قام الجيش بانقلاب دستوري في ٢٤ تموز ١٩٣٢م واستلم كبار ضباطه زمام الحكم. وبعد تدوين دستورٍ للبلاد أرغمت قيادة الجيش الملك العائد من أوروبـا على قبـولـه. منها صار نظام الحكم في سيام «ملكياً ـ دستورياً» رسمياً ولكن

(١٤) حكم من ١٩١٠م إلى ١٩٢٥م.

صارت البلاد تحكم واقعياً من قبل قادة الجيش واحداً بعد الآخر وإلى يومنا هذا.

وكـان البـرنـامج الرئيسي للقيادة الجديدة بعد عام ١٩٣٢م الإسراع بالإصلاحات والتطور الصناعي وتعميم التعليم وبث روح الوطنية. كذلك أكدت القيادات الجديدة على النظافة في القرى والمدن (كالأوروبيين) وعلى الافتخار بتراث البلاد وبالدين البوذي[١٥]، وغيرت اسم البلاد أخيراً (عام ١٩٣٩م) من «سيام» إلى «تـايلند». أي بلاد التاي الأحرار. وعنوا بذلك الابتعاد عن الاسم القديم «الرومانتيكي» (سيام) الذي عرف الأوروبيون البلاد به وللتأكيد أيضاً بأن بلادهم ظلت حرة في وسط بحر من الاستعمار[١٦].

وصارت تايلاند طوال الثلاثينات من هذا القرن تتطلع إلى دولة اليابان كمثال أعلى لسرعة التطور والنهضة التي يمكن للآسيويين أن يحرزوها. وصارت بذلك أشد دول جنوب شرقي آسيا تعاطفاً وتقليداً لليابان واليابانيين فيما بين الحربين العالميتين. واتباعاً لذلك النهج أرسلت المئات والآلاف من طلابها لمدن اليابان وجامعاتها لكسب العلم. كذلك شجعت الشركات اليابانية على الاستثمار في البلاد ومنحها الامتيازات والعطاءات محبذة إياها على الشركات الأوروبية، لا بل وضع العقبات والعراقيل في طريق المستثمرين غير اليابانيين، وخاصة الصينيين منهم. وفي عام ١٩٣٢ رفضت تايلاند كعضو في عصبة الأمم التصويت ضد اليابان ورفضت بذلك فرض عقوبات عليها لاحتلالها مقاطعة مانشوريا الصينية في ذلك العام. وقد كانت الدول الأوروبية وعلى رأسها بريطانيا تحاول فرض تلك العقوبات وفرضتها. ولما نشبت الحرب العالمية الثانية بين اليابان وأمريكا وحليفاتها بعد ٧ كانون أول عام ١٩٤١م تعاونت تايلاند مع اليابان بسماحها للجيوش اليابانية دخول أراضيها وللوصول إلى برما وملايا البريطانيتين ومن بعدها جزر الهند الهولندية واحتلالها. وأخيراً وفي ٢٥ كانون ثاني عام ١٩٤٢م أعلنت

(١٥) وبدأ الضغط على البعثات المسيحية التبشيرية حتى تخرج من البلاد.

(١٦) ظلت لوحدها مستقلة في كل الشرق الأقصى.

تايلاند الحرب على الحلفاء (أمريكا وبريطانيا وغيرها) وإلى جانب دول المحور (اليابان وألمانيا وغيرها) .

الحرب العالمية الثانية وما بعد

احتلت اليابـان في أيلول عام ١٩٤٠م مستعمـرات فرنسا في جنوب شرقي آسيا، لاوْسْ، وفيتنام، وكامبدبا، والتي كانت تسمى في مجملها «الهند الصينية الفرنسية». وجرى ذلك الاحتلال بقبول دولة «فيشي» الفرنسية التي تعاونت هي أيضاً مع دول المحور وأعلنت الحرب على الحلفاء. بعد ذلك جرت مفاوضات بين تايلاند واليابان طالبت فيها تايلاند باسترجاع أراضيها التي أخذتها فرنسا منها في أواخر القرن التاسع عشر، وصارت، وكما ذكرنا جزءاً من لاوْسْ وكامبوديا الفرنسيتين. وقبلت اليابان بذلك في كانون أول عام ١٩٤٠م على شرط أن تبقى تايلاند «ميالة لليابان» فيما لو أعلنت الأخيرة الحرب على الحلفاء. ودخلت تايلاند تلك الأراضي في آذار ١٩٤١م واحتلتها.

وفي ٧ كانون أول ١٩٤١م هاجمت الطائرات اليابانية مرفأ اللؤلؤ» الأمريكي (Pearl Harbor) في جزر هاواي ومـرافىء إنجليزية في برمـا وملايا وفي سنجافورا، وبهذا بدأ حربها مع الحلفاء. بعد ذلك بيوم واحد اخترقت جيوش اليابان الأراضي التايلاندية في طريقها إلى برما وإلى ملايا الإنجليزيتين. وبعد ذلك بثلاثة عشر يوماً أمضت تايلانـد مع اليابـان معـاهـدة حلف عسكري. وفي ٢٥ كانون ثاني عام ١٩٤٢م أعلنت تايلاند الحرب على الحلفاء وصارت في صفوف دول المحور. وكـان حينهـا يحكم البـلاد جنـرال باسم «بيبُولْ سُنْجْرامْ». وكان هذا ممن قاموا بالانقلاب العسكري الدستوري عام ١٩٣٢م.

وقـد عارض إعـلان تايلانـد الحـرب على الحلفاء سياسي ممن ساعد في الانقلاب العسكري الدستوري المذكور أعلاه اسمه «بْرِدي بَانُومْ يُونْج»[17]. وتزعم هذا حركة معارضة سرية لحكومته ولليابان اشتد ساعدها بدعمٍ من الحلفاء من

(١٧) كانت مهنته في الأصل استاذ جامعة.

الهند. ولما انتهت الحرب بفوز الحلفاء صار رئيساً للحكومة بعد أن فاز حزبه . . حزب الشعب بالانتخابـات التي جرت في كانـون الثاني عام ١٩٤٦م. بعد ذلك اغتال أحدهم الملك ودارت الشبهات حول رئيس الحكومة وحول حزبه. ونتج عن ذلك انقلاب عسكري في تشرين ثاني عام ١٩٤٧م هرب على إثره الرئيس «بْرِدي» من البلاد[18]. وتزعم الجنرال «بيبُولْ» رئاسة الحكومة ثانية.

والغريب أنه وبعد أن جاء الجنرال «بيبول» ثانية لحكم تايلاند بعد الحرب صار هذا من أقرب المقربين للولايات المتحدة وأكثرهم تعاوناً معها من كل زعماء دول جنوب شرقي آسيا. ففي أيام دكتاتوريته التي طالت لمدة عشر سنوات (حتى عام ١٩٥٧م) تزعم «بيبول» محاولات تأسيس حلف «سِيتُو» الأمريكي (حلف جنوب شرقي آسيا) والذي تأسس أخيراً في ٨ أيلول ١٩٥٤م. كذلك صارت بانكوك مركز الرئاسة للحلف وصارت أمريكا تدعمه مادياً ومعنوياً وعسكرياً[19].

ويمكن التَكهُن أن «انقلاب» بيبول الفلسفي نتج عن خوفه وخوف بلاده من الصين الشعبية جارتـه. غير أن الأرجح أنـه كان انتهـازياً دخـل الحلف طمعـاً بالمساعدات الأمريكية العسكرية وغيرها. وقد عانت البلاد الكثير من دكتاتوريته وفساد نظامها مما أدى أخيراً إلى انقلاب عسكري على نظامه في ١٦ أيلول ١٩٥٧م قام به رئيس أركان الجيش الجنرال «سَارِيت تَامَارَاتْ». وهكذا صار يتداور الحكم في بانكوك رئيس أركان جيش تلو الآخر وعلى إثر انقلابٍ عسكري بعد الآخر، وكلها ظلت متحالفة مع الولايات المتحدة وكلها نعمت بالدعم المادي الأمريكي، كلها دكتاتوريات وأنظمة أحكام عرفية وعلى الإجمال أنظمة فاسدة حتى يومنا هذا.

وفي تلك الأثنـاء حظيت الـولايات المتحـدة باستعمـال الأراضي التايلندية وقواعدها العسكرية لضرب بلاد فيتنام ليل نهار طوال الحرب الدامية التي شنَّتْها أمريكا على تلك البلاد ومن عام ١٩٥٤م حتى عام ١٩٧٥م.

(١٨) وظهر البروفسور «بْرِدي» بعد سبع سنواتٍ في بيكنج عاصمة الصين.

(١٩) وهذا الوضع كان مثلاً آخر لمحالفة أمريكا للدكتاتوريات هنا وهناك في الحرب الباردة.

وبالطبع بعد أن توحدت فيتنام رغم كل التدخل والعدوان الأمريكي (والتايلندي)، وتوحدت بنَشْوة نصر لم تعرف لها دول آسيا مثيلاً منذ قرون، دَبَّ الرعب في قلب كل من آزر هناك أمريكا في عدوانها وعلى رأسهم جنرالات تايلاند.

حلف سِيتُو

ذكرنا في الفصل السابق أنه أصاب الولايات المتحدة شبه هستيريا أحلاف[٢٠] بعد الحرب العالمية الثانية وفي محاولتها لتطويق العالم الشيوعي الذي تزعمه الاتحاد السوفييتي. وازدادت تلك الهستيريا تأزماً بعد أن صارت الصين شيوعية عام **١٩٤٩**م. ونتج عن ذلك أن راح وزراء خارجية أمريكا يفتشون عن حلفاء ممكنة لتطويق الصين الشعبية أيضاً. وقد نجحت الولايات المتحدة في نيسان **١٩٤٩**م بتأسيس حلف شمال الأطلسي المسمى «ناتو»[٢١]. وفيما بين عام **١٩٥٢**م وعام **١٩٥٩**م، وكان ذلك أيام جان فُوسْتَر دَلَاسْ كوزير خارجية أمريكا، راح هذا يفتش عن حلفاء لأمريكا في كل أطراف المعمورة. ونجح دَلَاس في أيلول **١٩٥٤**م بضم الباكستان وتايلاند والفلبين في حلف أمريكي ـ بريطاني ـ فرنسي، سمي «حلف جنوب شرقي آسيا» (سيتو). وقد سمي كذلك مع العلم أن تايلاند والفلبين فقط كانتا الدولتان الوحيدتان من دول جنوب شرق آسيا اللتان قبلتا الدخول فيه.

وقد دخلت الباكستان الحلف بغية الحصول على أسلحة أمريكية تحارب بها الهند وليس لمحاربة الصين الشعبية أو غيرها. والواقع أن الباكستان صارت بعدها من الدول الصديقة للصين الشعبية وأكثرها تآمراً معها على الهند. كذلك ومع العلم أن الباكستان صارت عضواً في حلف أمريكي، ظلت بعد ذلك تتفوه باتباعها سياسة «عدم الانحياز» وحتى كانت من الدول الداعية لمؤتمر «باندنْج» عام **١٩٥٥**م والذي كان قمة تلك السياسة. وكل ذلك يؤشر على أن دخولها الحلف الأمريكي «سيتو» كان بدافع انتهازي.

---

(٢٠) هكذا سمتها جريدة نيويورك تايمز الأمريكية نفسها. . Pactomania أي جنون الأحلاف.

(٢١) ناتو هي كلمة مؤلفة من أول حروف «منظمة حلف شمال الأطلسي» بالإنجليزية.

أما عضوية تايلاند بحلف «سيتو» فيجدر تذكير القارىء أن تايلاند أعلنت الحرب على الولايات المتحدة أثناء الحرب العالمية الثانية وإلى جانب اليابان. لذا، فضمها هو نموذج من تحالف الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية مع كثير من الدكتاتوريات اليمينية النزعة وفي كل أطراف العالم الثالث وغيره.

ولربما رحب جنرالات تايلاند بالحلف مع أمريكا خوفاً من التيار الوطني الاشتراكي النزعة الذي عمَّ جنوب شرقي آسيا وخاصة في فيتنام، و لأنها تآمرت مع اليابان ضد جاراتها أثناء الحرب. وبالطبع لما دخلت الحلف الأمريكي هذه المرة عام **١٩٥٤**م صارت تعمل ثانية ضد جاراتها في المنطقة.

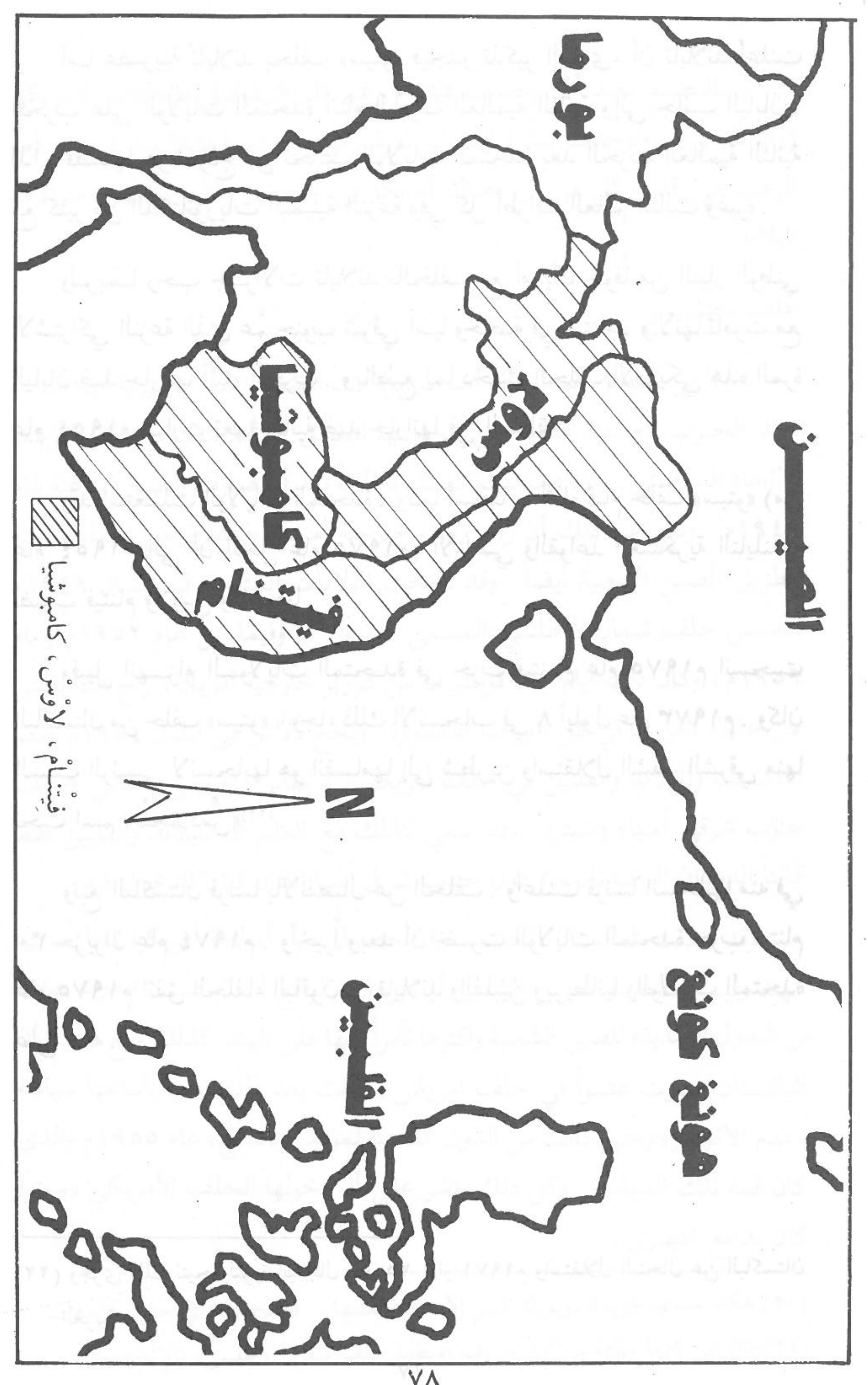
وقد استعملت الولايات المتحدة، وكما أسلفنا، أثناء قيام حلف «سيتو» **(من** عام **١٩٥٤**م إلى أن انحل عام **١٩٧٥**م) الأراضي والقواعد **العسكرية التايلندية** لضرب فيتنام ولاوس وكامبوديا.

وقبيل انهزام الولايات المتحدة في حرب فيتنام عام **١٩٧٥**م **انسحبت** الباكستان من حلف «سيتو». وجاء ذلك الانسحاب في ٨ أيلول عام **١٩٧٣**م. **وكان** السبب الرئيسي لانسحابها هو انقسامها إلى شطرين واستقلال **الشطر الشرقي منها** تحت اسم «بَنْجلادِشْ»[٢٢].

وتبع الباكستان فرنسا بالانفصال عن الحلف. وأعلنت فرنسا **انسحابها منه في ٣٠** حزيران عام **١٩٧٤**م. وأخيراً وبعد أن خسرت الولايات المتحدة **حرب فيتنام** عام **١٩٧٥**م اتفق الحلفاء الباقون. . تايلاند والفلبين وبريطانيا **والولايات المتحدة** على حله.

---

(٢٢) وجرى ذلك نتيجة لثورة البنجال بعد ٢٥ آذار **١٩٧١**م واستقلال البنجال عن **الباكستان** الغربية.



الفصل الخامس

الهند ـ الصينية الفرنسية

ألقت فرنسا على مستعمراتها الثلاث في جنوب شرقي آسيا . . فيتنام، لاوسْ وكامبوديا . . حتى عام ١٩٥٤م اسم «الهند ـ الصينية الفرنسية».

يقدر مجموع سكان تلك الدول اليوم بحوالي سبعين مليون نسمة[1] معظمهم فيتناميون. ويكثر السكان على السهول الضيقة على شواطىء أواسط فيتنام وعلى دلتا نهر «الأحمر» بشمال فيتنام ودلتا نهر «ميكُنْغ» في الجنوب والجزء الجنوبي الشرقي من كامبوشيا.

وتسيطر جبال «أَنَام» على طوبوغرافية الهند ـ الصينية، والتي تمتد من الشمال إلى الجنوب فتغطي معظم لاوس وتصل إلى الشواطىء في معظم أواسط وجنوب فيتنام حتى أن تصل دلتا ميكُنْغ بالجنوب وضواحي مدينة «هو شي مِنْه» (سايجون سابقاً). وتغطي معظم شواطىء كامبوشيا المطلة على خليج سيام «تلال الهال». أما باقي أراضي كامبوشيا فهي سهل كبير يمر به نهر مِيكُنْغ الكبير وتتوسطه بحيرة «تُونلْ سَاب» العذبة المياه.

تهطل أمطار موسمية غزيرة على جبال «أَنَام» المغطاة بغاباتٍ كثيفة من الساج والماهون وغيرها من الأشجار الشبه استوائية. وتكاد أن تخلو جبال أنَّام من الأهالي إلّا من بعض القبائل الرحَّلْ البدائية والتي تتعاطى نوعية الزراعة المسماة «نمط

(١) راجع جدول رقم (١) في المقدمة.

الكفـاف المتجـول»[٢]. ويُلقي الفيتنـاميون اسم «مُويْ» على تلك القبائل، أي «متوحشة» باللغة الفيتنامية.

ينبع نهر «الأحمر» الذي يصب في خليج «تون كِنْج» بالشمال من فيتنام من أراضي الصين الجنوبية. وتقع العاصمة «هانُوي» على رأس دلتا «الأحمر» وتبعد حوالي ثمانينَ كيلو متراً عن مصب النهر بالبحر وعن مرفأ «هاي فُونج» أكبر مرافىء فيتنام.

وينبع نهر «ميكنج» أيضاً في الجنوب الشرقي من الصين بالقرب من منابع نهـري الصين الكبيرين. . «بَـانْـجْ تْسِي» والنهـر «الأصفـر»، ومنابع نهري برما الكبيرين «إيروادي» ونهر «سَالْوين». ونهر ميكُنجّ هو أكبر نهر في كل جنوب شرقي آسيا ويشكل كل الحدود بين برما ولاوْسْ والكثير من حدود لاوْسْ مع تايلاند. وبعد أن يدخل أراضي كامبوشيا متوجهاً جنوباً غرباً يمر بمدينة «فْنوم بِنْه» عاصمتها ومن ثم يغير اتجاهه إلى مَسَار جنوبي شرقي حتى يدخل أراضي فيتنام. هناك تتوزع مياهه لتشكل دلتا عظيمة يزيد عرضها عند وصول مياهه بحر الصين عن مئة وستين كيلومتراً. ويعيش على تلك الدلتا أكثر من ثلث الفيتناميين، وتشكل هي مع دلتا نهر «الأحمر» بالشمال «سلة الخبز» (أو الرز) في فيتنام.

معظم أراضي كامبوشيا سهول يزرع فيها الرز على نطاقٍ واسع. ولا يوجد في لاوس إلاّ سهل صغير يقع إلى الشمال من «فِيَانْ تِيَانْ» عاصمة البلاد.

يتوسط أراضي كامبوشيا بحيرة «تُونل سابْ» («البحرة العظيمة» بلغتهم) وهي أكبر بحرة في كل منطقة جنوب شرقي آسيا، ومصدر كبير للسمك.

يختلف الشعب الفيتنامي تماماً عن الشعبين الآخرين في لاوْسْ وكامبوشيا ثقافة وحضارة. ومع العلم أن أصل ثلاثتهم هو من الصين. . إلاّ أن أهل لاوس وكامبوشيا تأثروا بالحضارة الهندية والتايلندية بينما التأثير الصيني على الفيتناميين

(٢) راجع الفصل الأول.

أقـوى وأَجَـدْ وهم أقرب لأهل الصين حتى بالشكل والملامح. ويعد الفيتناميون أنفسهم أرقى تلك الشعوب ثقافة وأنشطهم وأكثرهم ذكاءً.

كامبوشيا قبل الاستعمار الفرنسي

تعد الحضارة الكامبودية من أقدم الحضارات في كل المنطقة. وترعرعت هذه حول بحيرة«تونل ساب» التي تتوسط البلاد.

قبائل «فُونَانْ» هي أول القبائل التي وصلت إلى تلك الأراضي قادمة من جنوب الصين. ونـزحت هذه من الصين في القـرن الأول الميلادي واستـوطنت سهول كامبوديا. واحتـك بهم بعد ذلك تجار من الهند وتزاوجت طبقتهم الحاكمة منهم واعتنقوا بذلك المذهب الهندوسي.

وفي أواسط القرن السادس الميلادي ثار على أمراء «فونان» زعماء فخذٍ منهم اسمه «شِنْلاَ» واستلم هؤلاء حكم البلاد. وتسمى الحقبة من تاريخ كامبوديا فيما بين عام ٥٥٠م إلى ٨٠٠م «عهد شِنْلاَ». وكان اسم الزعيم المؤسس لمملكتهم «كامْبُو» وهكذا جاء اسم البلاد[٣].

ويبدأ بعد عام ٨٠٠م ما يسمى «عهد أَنْجْكَرْ» الذي طال حتى عام ١٤٣١م. فيه دخل البلاد موجة قبائل أخرى من جنوب الصين باسم قبائل «خْمِرْ»، وقضت على دولة شِنْلاَ. وأسس هؤلاء لهم دولة وحضارة مرموقة وبنوا لهم عاصمة عظيمة شمالي بحيرة تُونِلْ سابْ ما زالت آثار معابدها وقصورها قبلة للسواح من كل أنحاء العالم. وامتـد سلطان دولة «خْمِرْ» هذه ليشمل بعد عام ٩٠٠م معظم الأراضي الشرقية من تايلاند اليوم وبلاد لاوس والكثير من فيتنام من أواسطها حتى مدينة هو شي مِنْه في الجنوب. وقد اعتنق الخْمِرْ المذهب الهندوسي، لذا فالمعابد التي شيدوها في عاصمتهم «أَنْجْكَر تُومْ»[٤] هي معابد هندوسية. وتعد هذه من أضخم

(٣) David J. Steinberg Cambodia, 1959.

(٤) لذلك اسم العهد ـ «عهد انجكَرْ».

وأجمل المعابد الهندوسية في العالم وخاصة المعبد المسمى «أَنْجَكَرْ وَاتْ».

واجتاحت قبائل المنجول بلاد كامبوديا عام ١٢٨٧م مثلما اجتاحت تقريباً كل آسيا. وبعد عام من النهب والسلب تراجعوا من هناك. وفي إثر ذلك برزت في تايلاند العائلة المالكة التي تحكمها لليوم والتي امتد سلطانها ليشمل معظم كامبوديا ولاوس وجزءاً كبيراً من أراضي برما. وتقلصت مملكة «خِمِرْ» لتشمل فقط بعض الأراضي حول عاصمتها. أخيراً وفي عام ١٣٥٣م دخل جيش تايلندي مدينة «أَنْجكر توم» ونهبوها ومن بعد تركوها. وفي عام ١٤٣١م احتل التايلنديون «أنجكر توم» ثانية ودمروها، وتركها أهلها لتصبح خراباً لليوم. ومن نجا منهم من الغزو التايلندي رحلوا إلى الجنوب وأسسوا عاصمة لهم في بلدة «فنوم بِنْه» وهي العاصمة اليوم.

وفي أيام الاستعمار التايلندي أُجْبِر الكامبوديون على اعتناق البوذية بدل المذهب الهندوسي مذهبهم.

وفيما بين عام ١٤٣١م وعام ١٨٦٤م صارت كامبوديا هدف الاعتداءات المتتالية من جارتيها الشرقية والغربية، فيتنام وتايلاند. وصارت كل منهما تدعم أميراً من أمراء البلاد ليصبح موالياً لها ضد آخر تدعمه الدولة الأخرى. وأدى ذلك إلى عدة حروب بين فيتنام وتايلاند كانت تخاض على الأراضي الكامبودية. وبتلك الأثناء استولت الدولتان على كثير من أراضي كامبوديا المجاورة لها، والتي ما زالت الأخيرة تطالب بها. ويمكن القول إنه لما دخلت فرنسا كامبوديا عام ١٨٦٣م وعلى أساس «معاهدة حماية» وقعها حينها ملك كامبوديا نورودوم مع فرنسا، أن فرنسا أنقذت ما تبقى من أراضي كامبوديا من عدوان جارتيها. وبالطبع لم يدرك الملك نورودوم أن تلك الحماية ستصبح استعماراً طال تسعين سنة.

لاوس قبل فرنسا

ينحدر أهل لاوس من قبائل أصلها تايلندي نزحت لهناك أمام الغزو المنجولي

عام ١٢٨٧م، مثلها مثل قبائل استوطنت تايلاند[٥]. وأسست هذه لها مملكة صغيرة حول بلدة «لُوانْجْ بْرابانْجْ»[٦] في بداية القرن الرابع عشر. ومن القرن الثامن عشر وما بعد كان هناك إمارتان في لاوس، واحدة عاصمتها «لُوانج برابانج» والأخرى فِيان تيان. واحتلت سيام الأخيرة عام ١٨٢٨م وهرب أميرها «آنوا» إلى «هُوي» عاصمة فيتنام حينها يطلب المساعدة. ولما عاد على رأس حملة فيتنامية أسره التايلنديون ومات بسجونهم.

وظلت السيطرة على الإمارة الثانية نقطة خلاف بين برما وتايلاند طوال القرن الثامن عشر وما بعد. وأخيراً وفي عام ١٨٣٦م احتلتها سيام أيضاً وظلت تحت الاستعمار التايلندي حتى استعمرتها فرنسا عام ١٨٩٣م. وطال الاستعمار الفرنسي حتى عام ١٩٥٤م.

فيتنام قبل فرنسا

نزحت القبائل الفيتنامية من جنوب الصين حوالي القرن الرابع قبل المسيح واستوطنت ضفاف نهر «الأحمر». فظلت بعد ذلك النزوحات الصينية تضغط عليهم وأحياناً يصبحون تحت الهيمنة الصينية مما وَلَّد نفوراً بين الشعبين الصيني والفيتنامي وحذراً فيتنامياً من هيمنة الصين عليهم طال ليومنا هذا.

وفي القرن الثالث الميلادي جاءت موجة قوية من قبائل صينية أخرى نازحة للجنوب دفعت أمامها القبائل التي سبقتها من ضفاف «الأحمر» إلى أواسط فيتنام اليوم وفي ضواحي مدينة «هُوي». ولاقى هؤلاء هناك مملكة لقبائل «الشَّام» الماليسيين (مملكة شَامْبَا) الذين كانوا أصحاب البلاد. وجرى بعد ذلك ولمدة سبعة قرون تقريباً صراعٌ مستمر بين مملكة «الشام» والفيتناميين في الجنوب، وبين الفيتناميين ودولة الصين في الشمال. أخيراً وفي عام ٩٦٨م دفع زعيم فيتنامي اسمه

(٥) راجع الفصل الرابع.

(٦) تقع هذه إلى الشمال من العاصمة اليوم «فِيانْ تِيَانْ».

«دنْــهْ بُولاَنْ» الصينيين إلى الشمـال وأسس دولـة فيتنـامية مستقلة صار هو أول ملوكها(٧). لكن الصراع الفيتنامي مع دولة «شامْبا» طال لأكثر من خمسة قرون بعد ذلـك. وفي عام ١٤٧١م غلب على أمـر «شـامْبَا» (التي كانت مسلمة في ذلك الحين) واندثرت بعده حضارتها وهويتها العرقية(٨).

وبعـد أن قهرت «شامبا» انفسح المجال للفيتناميين للنزوح جنوباً واستيطان شرقي دلتا نهر مِيكُنْج. وفي تلك الأثناء كانت دولة كامبوديا قد غلبت أيضاً على أيدي التـايلنـديين وكما أسلفنا. وبذا انفسح المجال أكثر للفيتناميين لاستيطان جانبي دلتا «ميكُنج» وحتى الأراضي الغربية منها.

وفي أواخر القرن السادس عشر ميلادي جرى صراع على السلطة في فيتنام نتج عنه خلق دولتين فيتناميتين. . واحدة في الشمال عاصمتها «هانوي» وسميت «تُـونْج كِينْج»، وأخرى في الجنوب عاصمتها «هْوي» واسمها «كوشِنْ»، وحكم الـدولـة الشمـالية عائلة «تْرِنْهْ» المالكة وحكم المملكة الجنوبية عائلة «نْجوينْ» المالكة. وظلت الدولتان تتزاحمان وتحاربان بعضهما البعض مما فسح المجال للتـدخل الفرنسي هناك إثر حرب بينهما في القرن السابع عشر طالت لأكثر من خمسين سنـة (١٦٢٠م - ١٦٧٤م). وقـد بدأ الاحتكـاك بالفرنسيين في الأصل بواسـطة البعثات التبشيرية (الكاثوليكية) وانتهى أخيراً باحتلال فرنسا لكل فيتنام شمالاً وجنوباً في القرن التاسع عشر.

الاحتكاك بالبرتغاليين وقدوم الفرنسيين

وصلت البعثات التبشيرية البرتغالية إلى تلك النواحي في أوائل القرن السابع عشـر. وممـا أدى لاهتمام المبشرين البرتغاليين بفيتنام وغيرها في الشرق الأقصى هو فشلهم في بث دينهم وخروجهم من اليابان طرداً. وجرى ذلك كالتالي :-

(٧) «هول» نفس المرجع.

(٨) يوجد أقلية مسلمة صغيرة جداً في فيتنام لليوم.

افتتحت جماعة «جمعية المسيح» المعروفة أكثر باسم «الجزويت» أول مركز تبشيري برتغالي في اليابان عام ١٥٤٩م، وقد كانت اليابان حينها في عهد إقطاعي يحكمها نظام عسكري زعيمهم له لقب «شوجَنْ». وقد قاوم الحكام العسكريون ومنذ البداية قدوم البرتغاليين ورجال دينهم وقاوموا انتشار المسيحية على حساب دينهم الخليط من البوذية ومذهب «شِنْتُو» الياباني. غير أن البرتغاليين كانوا يملكون الأسلحة النارية التي لم تعرفها اليابان بعد.

ولما تكاثر عدد المسيحيين اليابانيين أخذ المبشرون البرتغاليون يحرضون من تمذهب من اليابانيين على عدم الالتزام بقوانين الدولة وبأوامر حكامها «البوذيين» (الكفّار). لذلك أخذ شوجَنْ «هَدايُوشِي»، وابتداءً من عام ١٥٨٧م بتضييق الخناق على مبشـري المسيحية وعلى رعيتهم من شعبـه. وتبـع تلك السياسـة حكـام عسكريون تلوا، مما أدى أخيراً إلى ما تسمى ثورة «شِمَابَارَا» المسيحية في عامي ١٦٣٧و ١٦٣٨ ميلادي. وقامت هذه ضد شوجَن «هِدَاتَايَا» الذي على إثرها طرد كل الجمعيات التبشيرية الأوروبية من جزر اليابان وانمحت المسيحية من هناك بعد ذلك.

ولهذا صارت البعثات التبشيرية المسيحية تفتش عن أراضٍ جديدة في تلك النواحي ولبث المسيحية فيها. وفي عام ١٦١٥م وصلت أول بعثة مسيحية برتغالية إلى مدينة «هْوي» عاصمة مملكة كُوشِنْ» (الفيتنامية). وفي عام ١٦٢٧م وصلت أول بعثـة مسيحية برتغـالية أيضـاً إلى مدينـة «هَـانُـوي» عاصمـة مملكة «تُونْجْ كِنْجْ» (الفيتنـامية). وطـردت هذه من هنـاك بعـد ثلاثة سنواتٍ فقط. ولم تتوقف البعثة البرتغالية في «هْوي» أكثر غير أنها ظلت تتعثر هناك لأكثر من مئتي سنة وقلَّ من تمذهبوا للمسيحية على يدها.

ووصـل أوائـل المبشرين الفرنسيين إلى كامبوديا ومملكتي «كوشِنْ» و«تُونْجْ كِنْجْ» في الستينات من القرن السابع عشر (١٦٦٠م وما بعد). غير أن الفرنسيين أهملوا بعثاتهم هذه وأغلقوا آخرها عام ١٦٩٣م(٩). ومما سبب ذلك كان اهتمامهم

(٩) هول، نفس المرجع.

الأكثر بالهند وبالتبشير وبالتجارة فيها ومعها. وقد طال الابتعاد الفرنسي عن هناك حتى انتهاء الحرب المسماة «الحرب الفرنسية ـ الهندية» أو حرب «السبع سنوات»، ١٧٥٦م -١٧٦٣م، والتي خسرتها فرنسا أمام الإنجليز. ونتج عن ذلك خروج الفرنسيين من الهند (ومن الأراضي الكندية في شمال أمريكا). لذلك تجدد اهتمامهم بأراضي الهند ـ الصينية (فيتنام وكامبوديا ولاوس)..

وباشروا أيضاً بالاهتمام بالشرق العربي بدءاً بسوريا وبمصر.

ففي عام ١٧٦٥م.. أي بعد سنتين من خروجهم من الهند.. وصل المبشر الفرنسي الكاثوليكي الأب «بيير بينُو» (Pigneau) [١٠] إلى مدينة «هْوي» حيث رحَّب به عاهل البلاد الجديد الملك «فُوكْ ثْوانْ» (١٧٦٥م - ١٧٧٧م حكم). ونجح الأب «بينو» نجاحاً ملحوظاً إذ تمذهب على يده الكثير من أهالي المدينة للكاثوليكية. ونتيجة لنجاحه هذا رفَّعه البابا في الفاتيكان إلى منصب «مطران» عام ١٧٧٦م.

وتَسَلَّم عرش «كوشِنْ» عام ١٧٧٧م ملك جديد اسمه «فُوكْ آنْ» (١٧٧٧م - ١٨٠٢م). وقامت في نفس السنة التي بدأ حكمه ثورة عارمة في الجنوب من البلاد وحوالي مدينة سَايْجون (هُوشِي مِنْه اليوم) كادت أن تطيح بالعائلة المالكة، عائلة «نْجُوينْ». وكانت هذه ثورة مزارعين ثاروا على الإقطاعية والإقطاعيين وعلى رأسهم العائلة المالكة. ولعب المطران الفرنسي «بينو» دوراً كبيراً في نصح الملك عن كيفية إخماد تلك الثورة. وهكذا صار المطران من أقرب المقربين للملك ومستشاراً خاصاً له.

وفي عام ١٧٨٤م قامت ثورة أخرى في سايجون وهي ثورة فلاحين أيضاً، تزعمها أخوان من عائلة اسمها «تايْ سُونْ» (وسميت الثورة بعد باسمهم) ونتج عنها هرب الملك «آنْ» ومعه المطران «بينُـو» إلى تايلاند المجاورة. من هناك توجه المطران مع نجلٍ من أنجال الملك واسمه «جِيا لُونْج» إلى فرساي مقر ملوك فرنسا

---

(١٠) وهو من مشاهير التاريخ الفرنسي.

ليقنعا الملك لويس السادس عشر بأن يتدخل عسكرياً إلى جانب الملكية في بلاد «كوشِنْ». وعقد المطران «بينو» وهو هناك، ونيابة عن الملك الفيتنامي «آن» معاهدة صداقة مع فرنسا في ١٧٨٧، حسبها تعهدت فرنسا بالمساعدة العسكرية للملك مقابل تخليه عن مرفأ «تُورِينْ» الواقع جنوبي «هْوي» وتخليه عن مجوعة جزر «كُونْ سُونْ» الواقعة قرب شواطىء دَلْتا ميكُنْج في الجنوب. وعلى ذلك الأساس توجهت حملة عسكرية فرنسية إلى «كوشِنْ»،. وبمساعدة مفارز من الجيش التايلندي أعادت الملك «آن» إلى عرشه. وبعد ذلك بسنة عاد المطران «بينو» إلى هْوي وإلى منصبه كمستشار للملك آن.

وبدأ الملك آن بعد ذلك بتدريب جيشٍ قوي له وبإشراف فرنسي. وما أن جاء عام ١٨٠٢م الذي تسلم فيه جْيَا لُونْج عرش كوشِنْ (وهو ابن الملك آن وحكم من ١٨٠٢ إلى عام ١٨٢٠م) حتى احتل جيش كوشن كل أراضي مملكة تُونج كِنْج إلى الشمال من كوشِن. وفي ١ حزيران عام ١٨٠٢م أعلن الملك جْيا لُونج نفسه «امبراطوراً» لفيتنام الموحدة. وهكذا بدأت آخر سلسلة من العائلات المالكة لكل البلاد، وهي عائلة «نْجُوينْ».. وبعد قرنين من انقسامها.

غير أن المساعدة الفرنسية في ذلك التوحيد برهن على أنه «الإسْفين» الذي أتى بالاستعمار الفرنسي لهناك.

وكان لمجيء الثورة الفرنسية والفوضى وحكم الإرهاب وبعده ظهور نابليون والحروب النابليونية (مع كل أوروبا) والتي امتدت حتى عام ١٨١٥م وانهزام فرنسا ونابليون فيها، كل ذلك صرف نظر الفرنسيين بالطبع عن أمور الهند ـ الصينية أو غيرها خارج أوروبا. لكن وبعد أن أعيد النظام الملكي لفرنسا عام ١٨١٥م أرسلت فرنسا قنصلاً لها إلى هْوي (عاصمة فيتنام الموحدة) عام ١٨٢٠م.. وليجدد الصداقة والتعاون الفرنسي ـ الفيتنامي الذي كان أيام المطران «بينو». لكن صدف أن جاء للمُلك في نفس السنة (١٨٢٠م) ملك جديد وهو «مِنْهْ مانْج» (١٨٢٠-١٨٤١م) ابن الملك الراحل جْيَا لُونْج. وكان هذا حريصاً على أن يحكم

بأمره وبدون تدخل أو إرشاد خاصة من الفرنسيين. ويقول المؤرخ «كيدي»[(١١)] إن الملك «مِنْه» اعتبر كل الأوروبيين «بربريين». . مثلما كانت أباطرة الصين جارته تعتبرهم. وصار حذره من الفرنسيين غضباً عندما اكتشف أن بعض مبشريهم وتجارهم يحرضون أهالي الجنوب وخاصة في مدينة سايجون على الثورة على النظام. بعد ذلك أمر بإبعاد كل الفرنسيين عن بلاده واتبع سياسة عزلة عن الأوروبيين واضطهادٍ للمسيحية والمسيحيين في بلاده.

واتبع سياسة الملك «مِنْه مانْج» هذه الملكان اللذان خلفاه في الحكم الملك «ثْيُو تْري» (١٨٤١ - ١٨٤٧م) والملك «تُو دَكْ» (١٨٤٨ - ١٨٨٣م).

ومما شجع أيضاً على انتهاج تلك السياسة في فيتنام ما كان يجري في امبراطورية الصين جارتها. حيث أنه ومنذ بدء القرن التاسع عشر وما قبل، صار الأمريكيون والإنجليز خاصة يتجرون بالأفيون وبيعه لأهل الصين. وما أن جاء العقد الثالث من ذلك القرن حتى أصبحت معظم التجارة الأوروبية مع الصين تجارة أفيون. ولما قام الامبراطور الصيني عام ١٨٣٩م وأمر بإحراق مستودعات الأفيون والحشيش الإنجليزية وغيرها في مرافىء بلاده أعلنت عليه بريطانيا الحرب التي سميت «حرب الأفيون» (١٨٣٩م - ١٨٤٢م). وربحت بريطانيا الحرب. بعد ذلك بدأ التَّهَتُّك الأوروبي السَّافر بالصين كإجبارها على فتح موانئها لتجارتهم مهما كانت ماهيتها وحتى استعمارهم تلك المواني (التي سموها «موانىء المعاهدات») وجمع الجمارك هناك بدلاً من دولة الصين، وباشروا بتقسيم الأراضي الصينية إلى ما سميت «دوائر نفوذ» وفرض ما سُمي «الإعفاء القضائي» للأوروبي وتشجيع الثورات داخل البلاد ضد النظام الامبراطوري وتشجيع أهل مقاطعة «تِبتْ» والقبائل المنجولية على الاستقلال من الصين وكل ذلك.

لذلك بدأ ملوك فيتنام بأخذ الحيطة والحذر من الأوربيين خوفاً من أن يحدث لبلادهم مثلما جرى للصين. غير أن حذرهم وعزلتهم لم تنقذهم من التيار

(١١) J. F. CaDY Southeast Asia, 1964.

الاستعماري الأوروبي الذي عَظُمَ اندفاعُه خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر[(١٢)].

ذكرنا سابقاً أن قيام الثورة الفرنسية وبعدها الحروب النابليونية (من ١٧٨٩ إلى ١٨١٥) سبَّب إرجاء التدخل الفرنسي في فيتنام وغيرها في الهند ـ الصينية. وبعدما رجعت الملكية لحكم فرنسا اهتمت هذه أولاً باستعمار الجزائر وشنت عليها حرباً استعمارية طالت من عام ١٨٣٠م إلى ١٨٤٧م. بعد ذلك بخمسة سنوات جاء نابليون الثالث لحكم فرنسا (١٨٥٢ - ١٨٧٠م). وكان هذا معتدّاً بنفسه وبقرابته لسلفه العظيم نابليون الأول (عمه) وراح يقلده محاولاً إعادة عظمة فرنسا في أيامه. وكان من نتائج غروره أن سبَّب في أوروبا «حرب القرم» الدامية (١٨٥٣م - ١٨٥٦م)[(١٣)] وقد صمم هذا على بناء امبراطورية جديدة لفرنسا وعلى حماية المذهب الكاثوليكي وحماية مصالحه أينما وجد. وقد اتخذ ذريعة لاستعمار فيتنام بعد عام ١٨٥٨م «اضطهاد النظام هناك المبشرين الفرنسيين».

وحدث أن سجن الملك الفيتنامي «تُودَكْ» أحد المبشرين الفرنسيين في عاصمته «هُوِي» عام ١٨٥٦م. بعده أرسل نابليون الثالث لائحة مطالب مُهينة لهناك. ولما رفضها ملك فيتنام أرسل نابليون أسطولاً فرنسياً محملاً بالعساكر واحتل مدينة «هُوِي» وضواحيها وهرب الملك «تودَكْ» إلى هانوي بالشمال. وهكذا بدأ استعمار فرنسا للهند ـ الصينية.

واغتنم ملك كامبوديا نُورُودُوم (١٨٦٠م - ١٩٠٤م) الوجود الفرنسي قربه وأعلن استقلاله التام عام ١٨٦٢م من الفيتناميين والتايلانديين، الذين كانوا، وكما أسلفنا يتدخلون كثيرا فيما يجري بكامبوديا ولأكثر من أربعة قرونٍ من قبل. على إثره

(١٢) سماه المؤلف في كتابه «التاريخ السياسي الحديث» «الجولة الثانية من الاستعمار» وعدد الأسباب التي أتت بها. راجع الفصل السابع هناك.

(١٣) نفس المرجع، الفصل السادس.

قامت ثورة في كامبوديا على نورودوم كان للملك الفيتنامي «تُودَكْ» إصبع فيها، مما نتج عن طلب الملك نورودوم الحماية الفرنسية عام ١٨٦٣م. وصارت تلك «الحماية» رسمية بعد أن وقّع نورودوم معاهدة حماية مع فرنسا عام ١٨٦٣م، مما سبب احتجاجاتٍ في كل من فيتنام وتايلاند. وطالت خاصة احتجاجات بانكوك حتى عام ١٨٦٧م. وقد كانت بريطانيا تشجع سرّاً ملك تايلاند راما الرابع على ذلك لأنها كانت هي قد باشرت باستعمار برما وكانت فرنسا أيامها أشد منافسة لها في حقل الاستعمار. وأخيراً أعطت فرنسا عام ١٨٦٧م الضوء الأخضر سرّاً لتايلاند لتحتل بعض الأراضي الكامبودية المحاذية لها(١٤)، وبهذا أوقفت تايلاند احتجاجاتها. وبإرضاء تايلاند، وبالطبع لكف التدخل البريطاني، أخذت فرنسا حريتها في كامبوديا.

وفي تلك الأثناء امتد الاستعمار الفرنسي من أواسط فيتنام وإلى جنوبها. لذا أرسل الملك «تودك» من هانوي رسالة إلى امبراطور الصين عام ١٨٦٧م يطلب منه المساعدة العسكرية لطرد الفرنسيين. غير أن الصين نفسها كانت حينها فريسة للأوروبيين وفي حالة يرثى لها من الاضطرابات وفي سبيل إخمادِ عدة ثورات عظيمة(١٥) كانت قائمة فيها وللأوروبيين أصابع فيها. لذلك لم يستجب الامبراطور الصيني للنداء الفيتنامي وظلت فرنسا تمتد شمالاً في فيتنام وصوب هانوي.

وقامت عام ١٨٨٠م ثورة في هانوي على الملك «تودَكْ» كان الفرنسيون من ورائها. على أثرها أرسلت الصين جيشاً لإخمادها ولدعم «تودك». ونتج عن ذلك إعلان فرنسا الحرب على الصين فيما بين عام ١٨٨٢م و١٨٨٥م، الحرب المسماة الحرب «الفرنسية - الصينية». فيها انتصرت فرنسا وأرغمت امبراطور الصين على إمضاء معاهدة «تِيِنْ سِنْ» ١٨٨٥م، التي اعترف فيها بأن الهند -

(١٤) المفترض أنها كانت تحت حمايتها.

(١٥) وكانت الصين قد أنهت أشدها، الثورة المسماة «تاي بِنْغ» حديثاً وقد طالت هذه من ١٨٥٠م إلى ١٨٦٤م وتعد أعظم وأدمى ثورة في تاريخ الصين.

الصينية أصبحت «محمية فرنسية». وقد مات الملك الفيتنامي «تُودَكْ» عام ١٨٨٣م والحرب ما زالت قائمة.

وبعد إعلان فيتنام «محمية فرنسية» ظلت المقاومة الوطنية هناك لفرنسا قائمة حتى عام ١٨٩٢م. وكانت فرنسا قد أعلنت عام ١٨٨٧م انضمام كامبوديا وفيتنام ولاوس في وحدة سمتها «الهند - الصينية الفرنسية»، وصارت مدينة هَانوي مقر الحاكم الفرنسي لها.

وأكملت فرنسا احتلال كل الأراضي التي صارت لاوس اليوم عام ١٨٩٣م حين وصلت ضفاف نهر ميكُنْغْ. وبعد ذلك بثلاث سنوات (١٨٩٦م) جرى «الاتفاق الأنجلو- فرنسي» الذي اعترفت فيه الدولتان فرنسا وبريطانيا بما صار مستعمراً منهما هناك وإبقاء ما تبقى من تايلاند مستقلاً وكدولة «حاجزة» بينهما.

سياسات فرنسا الاستعمارية ١٨٨٧م - ١٩٤٠م

حكمت فرنسا «وحدة الهند - الصينية» بواسطة حاكم عام عُيِّنَ من قبل وزارة المستعمرات في باريس. وكان مقر هذا وعاصمة «الوحدة» مدينة هانوي. ومع العلم أن فرنسا أبقت على الأمراء المحليين في كامبوديا وفي لاوس ليديروا بعض شؤون رعاياهم، إلا أن كلمة الحاكم العام في هانوي كانت لا يُعلى عليها. وبالطبع كان كل ما ينفذ في الوحدة تحت إشراف الحاكم العام وخاصة الأمور التي تتعلق بالأمن والاستقرار الاستعماري. كذلك فإن أي زعيم محلي أو أمير راودته نفسه بأن يتمرد على ذلك الوضع أو يتصرف تصرفاً وطنياً كان إما يزج في السجن أو يُنفى.

وقد وجدت دول الاستعمار إجمالاً فائدة في «الحكم غير المباشر» حيث أنه كان في الواقع محاولة لإيهام أهالي المستعمرات بأنهم مستقلون. كذلك كان ذلك الوضع أقل كلفة على المُسْتَعْمِر، وهي طريقة أيضاً لمعادلة «فَرِّقْ تَسُدْ» إذ تفرق الأهالي بين «المتعاونين» والوطنيين من زعماء ومن أفراد الشعب. وكانت فرنسا أقل قابلية من كل دول الاستعمار في صدد مَنْح بعض السلطات للزعماء المحليين

الذين تعاونوا معهم وحكموا بإمرتهم. كذلك كانت فرنسا أشدها رقابة على النخبة الوطنية أو المتعلمة في مستعمراتها.. هذا إن حصل وتعلم بعضهم. وكانت وجهات النظر المحلية، وإن سُمِح لها أن تُعرض، تعرض بواسطة «مندوبين عنهم» يُعينهم في العادة الحاكم العام الفرنسي نفسه. وحتى كان بعضهم يُرسَلُ إلى باريس ويجلس في مجلس الأمة الفرنسي وكأنهم انتخبوا انتخاباً حراً من شعوبهم. وعلى الإجمال كان هؤلاء يبدون وجهات نظرٍ هناك، ويتصرفون وكأنهم أكثر فرنسيين من الفرنسيين أنفسهم، وصاروا مثالاً «للوفاق» وعدم إبداء أي رأيٍ معارض لمصالح الاستعمار مما جعل حتى النواب الفرنسيين في مجلس الأمة يهزأون بهم وألقوا عليهم لقب «قبيلة نَعَمْ نَعَمْ» (Beni Oui Oui)!!

وجَزَّأت فرنسا أراضي الهند ـ الصينية إلى خمسة أجزاء إدارية وصنفوها على النحو التالي :ـ

١. «كوشن» (أي النصف الجنوبي من فيتنام)، وصنفوا هذه «مستعمرة» وتحكم رأساً من الحاكم العام.

٢. «أنـام» (وهي أواسط أراضي فيتنام)، وصنفوها محمية وحكمت حكماً غير مباشر. وقد أعطى الفرنسيون الاسم لتلك المنطقة بغية محو الهوية الفيتنامية. لذلك كان الاسم «أنَامْ» مرفوضاً تماماً عند الوطنيين.

٣. «تُونْج كِنج» (أي الأراضي الشمالية من فيتنام وحول مجرى نهر «الأحمر»)، وصنفوها «محمية» وتحكم حكماً غير مباشر.

٤. كامبوديا، «محمية» تحكم حكماً غير مباشر.

٥. لاوْس، «محمية» تحكم حكماً غير مباشر.

ومن السياسات الرئيسية للاستعمار الفرنسي كانت سياسة «الاستيعاب» (assimilation). حسبها أكَّد الفرنسيون على تعليم اللغة الفرنسية والدين والتاريخ والتصرف الفرنسي وتلقين الأهالي في فيتنام وغيرها كل عناصر الحضارة الفرنسية وعلى حساب بل وطمس الحضارات المحلية ودياناتها، فيتنامية أو غيرها. وقد نجح الاستعمار الفرنسي باستيعاب الكثير من المتعلمين في الجامعات والمدارس

المحلية والفرنسية، وكثير منهم من ظل في فرنسا وتجنَّسَ بجنسيتها أو تزوج هناك وبالطبع ضاعت فائدته لشعبه في المستعمرات. لكن القليل من هؤلاء قاوم «الاستيعاب» وصاروا من أشد المناهضين للاستعمار العسكري والحضاري الفرنسي.

وفي عام ١٩٠٧م تأسست جامعة هانوي. بعد ذلك بعام أغلقها الحاكم الفرنسي إذ أصبحت محور الشعب ضد الاستعمار. وظلت الجامعة مغلقة حتى عام ١٩١٧م. ولما فتحت أبوابها ثانية رَكَّزتْ برامجها على التدريب التقني وابتعدت عن تدريس العلوم السياسية والفلسفية وما شابه بقصد صرف نظر الطلاب عما يسبب الإخلال بالنظام والأمن الاستعماري[١٦].

وقد شهد القرن العشرون استثماراً فرنسياً كبيراً في زراعة الرز وتصديره خاصة للصين وبتطوير مزارع عظيمة الجحم من الشاي والرز والمطاط. ومما أنشأت فرنسا من طرق مواصلات كان هدفها تسهيل تصدير ما أنتجته البلاد. ومد الفرنسيون خط حديد واحد من مدينة سايجون (هوشي منه) في الجنوب و حتى حدود الصين بالشمال. وحفروا عدة قنالات في دلتا مِيكُنج ونهر الأحمر بالشمال وكلها لتسهيل تصدير الرز والشاي والمطاط إلى الخارج.

(١٦) كِيدِي، نفس المرجع.

الفصل السادس

الوطنية واستقلال دول الهند ـ الصينية

الوطنية في لاوس

لم يلاق الاستعمار الفرنسي مقاومة له تذكر في بلاد لاوس. إذ ظل أهلها خارج تيار الوطنية القوي الذي جرى ضد فرنسا في فيتنام. وقد حدثت فيما بين عام ١٩٠٠م وعام ١٩٠٧م اضطرابات ضد فرنسا في جبال لاوس ولكن لم تكن لأسباب وطنية(١).

الوطنية في كامبوديا

ذكرنا أن ملك كامبوديا نُورُودُومْ قد وقَّع معاهدة حماية مع فرنسا لإنقاذ ما تبقى من بلاده من الهيمنة التايلندية من جهة والفيتنامية من جهة أخرى. وصارت تلك «الحماية» استعماراً فرنسياً طال حتى عام ١٩٥٤م.

وقد أبقت فرنسا نُورُودوم (حكم ١٨٦٠م ـ ١٩٠٤م) ملكاً صورياً على بلاده. ولما أيقن هذا أن سلطته الملكية ضاعت منه أخذ بالتذمر، مما حدا بالفرنسيين على إرغامه إمضاء معاهدة «حماية» أخرى عام ١٨٨٤م حرمته مما تبقى من سلطاته. على إثرها قامت مظاهرات في العاصمة «فْنوم بِنْهْ» قمعها الجيش الفرنسي بالصرامة

(١) يقول كيدي إن من سبب هذه كان تجار العبيد هناك الذي كانوا يختطفون الفيتناميين ويبيعونهم كعبيد في الجبال. وقد استنكر هؤلاء إعلان فرنسا حينها تحريم العبودية ومنعها، كيدي، نفس المرجع.

والعنف المعروفة عنه لدى المستعمرين. وبعد ذلك بثلاث سنوات، أي ١٨٨٧م، ضمت فرنسا مستعمراتها هناك.. فيتنام ولاوس وكامبوديا فيما سمتها «وحدة الهند ـ الصينية». منها صار الحاكم الفرنسي العام في هانُوي هو ذات السلطة الحقيقية في الوحدة. وأصبحت كامبوديا، مثلها مثل لاوس تكاد تكون مهملة من فرنسا حيث أنها وجهت كل اهتمامها هناك إلى فيتنام والاستثمار فيها ومنها.

الوطنية الفيتنامية

اقتصر الضغط الوطني ضد الاستعمار الفرنسي في الهند ـ الصينية على الوطنية الفيتنامية تقريباً. حيث أن فيتنام هي أكثر تلك البلدان عدداً وأكثرهم دهاءً وتقدماً واحتكاكاً بالصين وبثقافتها العريقة. لذلك كان أهلها أطول من قاوموا الاستعمار في بادىء الأمر وأقلهم قابلية للترويض وأولهم ثورة على فرنسا.

وقد تركزت المقاومة الوطنية في فيتنام في شِماليها، وطالت بعد أن أعلنت فرنسا ما سمته «وحدة الهند ـ الصينية» عام ١٨٨٤م. وقابلت فرنسا تلك المقاومة بأشرس أنواع القمع. وما أن جاء آخر القرن التاسع عشر حتى كان معظم زعماء البلاد الوطنيين ومفكريها إما قد أعدموا أو في السجن أو المنفى، أو قد هربوا خارج البلاد خاصة صوب الصين.

ولقد كان لما كان يجري في الصين وفي اليابان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تأثير قوي على مسيرة الوطنية في فيتنام. ففي اليابان بعد عام ١٨٥٣م وبعد أن أجبرها الأسطول الأمريكي فيه على فتح أبوابها ومرافِئِها للتجارة الأمريكية(٢)، جرت هناك نهضة ثقافية وصناعية وعسكرية لم يشهد لها التاريخ مثيلاً. وقد كانت اليابان قبل عام ١٨٥٣م ما زالت في عهد إقطاعي تماماً وكأنها في القرون الوسطى الأوروبية. لكن، وما إن جاءت أواخر الثمانينات من ذلك القرن.. أي بعد ثلاثة عقودٍ من «افتتاحها».. حتى أصبحت اليابان قوة صناعية وعسكرية مرموقة بين الدول العظمى. وأكبر برهان على ذلك أنها صارت بعدها،

(٢) راجع للمؤلف التاريخ السياسي الحديث.

مثلها مثل دول أوروبا العظمى، تطالب بنصيبها من الاستعمار. وكما أسلفنا صارت الصين في القرن التاسع عشر ضحية للاستعمار الأوروبي بما فيه إرغامها قبول تجارة الأفيون التي كان يتعاطاها خاصة الإنجليز والأمريكيون، وتجزؤها إلى «دوائر نفوذ» أوروبية وانتهاشها وتزعزع أمْنها عن طريق الثورات الداخلية التي كان للأوروبيين إصبع كبير فيها.

ومن غريب الأمور أن اليابان التي ساهمت هي أيضاً في انتهاش الصين وأصبحت أكبر خطر حقيقي على كيانها الإقليمي صارت، ومع ذلك، نموذجاً لكثير من الوطنيين في كل آسيا وحتى في الصين نفسها. حيث أن نهضتها العلمية والتقنية ـ الصناعية والعسكرية كانت ولا شك مصدراً للإعجاب وحتى الذهول في الأواسط الوطنية الآسيوية. وصار المئات من طلاب الصين نفسها يتوافدون إلى طوكيو في أواخر القرن التاسع عشر طلباً للعلم والفنون المدنية والحربية. وقد كان من هؤلاء زعيم ثورة الصين على أباطرتها الدكتور «سَنْ يَاتْ سِنْ»(٣) ففي عام ١٨٩٤م أسس الدكتور «سِنْ» هذا مع جماعة من رفاقه في مدينة «كانتون» في جنوب الصين جمعية سرية ضد النظام الإمبراطوري سموها «جمعية تطوير الصين». وتعددت الجمعيات الثورية في الصين بعد ذلك وكلها تطالب بالنهضة «مثل اليابان» والتخلص من الاستعمار ومكايده. وكل هذه توحدت تحت اسم «كُوو مِنْ تَانْجْ» (أي الحلف الصيني الثوري) وأخذت من مدينة طوكيو عاصمة اليابان قاعدة لها.

وصارت الصين الثورية بدورها نموذجاً للفيتناميين الثائرين على استعمار فرنسا. والكثير من هؤلاء من هرب من بطش فرنسا ولجأ لمدينة «كانتون» خاصة في الصين ودخلوا حتى عضوية حزب «كُوو مِنْ تَانْجْ».

وقد حاول حزب «كُوو مِن تَانْجْ» ثورة جمهورية على امبراطور الصين عام ١٩٠٦م ولم تفلح. لكن في ١٠ تشرين أول عام ١٩١١م (ولذلك سميت «ثورة العَشرتَيْن») نجحت ثورتهم برئاسة الدكتور سِنْ متكاتفاً مع جنرال في الشمال

(١٣) عاش بين عام ١٨٦٦ إلى ١٩٢٥م.

بالعاصمة بيكِنْجْ اسمه «وَانْ شِي كَايْ». بعدها تنازل الإمبراطور الطفل «هنري بُويِيْ» عن العرش وصارت الصين جمهورية. غير أن حرباً أهلية دارت بعد ذلك بين الجنرال المذكور وبين الدكتور سَنْ ومناصريه في الجنوب وعمت الفوضى في الصين فيما بين عام ١٩١١ وعام ١٩٢٧م حتى أن توحدت البلاد ثانية.

وكل ما جرى في الصين جعل الثوريين في فيتنام، والذين تطلعوا للصين كقدوة لهم صاروا يتطلعون أكثر للثورة البلشفيكية في روسيا بعد عام ١٩١٧م كمثالٍ أحسن يحتذون به. وبالطبع، ولتزايد الاضطهاد الفرنسي(٤) لهم في بلادهم اعتنق الكثير منهم المذهب الشيوعي. وكان للدعايات البلشفيكية كإعلانها «الحرب على الاستعمار» وعلى الرأسمالية التي تجر الاستعمار أثر كبير في نفوس العديد من زعماء العالم الثالث المُستَعمَر، وليس فقط على من ناهض الاستعمار في فيتنام. فما أن جاءت الثلاثينات من القرن العشرين حتى تحولت الحركة الوطنية في فيتنام، وخاصة في شماليها، إلى حركة شيوعية وطنية. ومنها كان زعيم تلك الحركة «هوشي مِنْه».

هوشي منه ١٨٩٣م - ١٩٦٩م

يعود الفضل الأكبر لانتشار الشيوعية في فيتنام خاصة للسياسات الفرنسية الصارمة، التي كما ذكرنا رفضت الإصغاء لأية مطالبٍ وطنية هناك مهما كانت تلك معتدلة. وأسلفنا أيضاً أن العديد ممَّنْ قاوموا الاستعمار الفرنسي قابلتهم السلطات الفرنسية بأعنف أنواع التعذيب والسجن والمنفى وحتى الإعدام. لذلك لم تجرؤ أية جماعة فيتنامية، حتى ١٩٢٨م على المطالبة بأي أمرٍ إصلاحي أو غيره من السلطات الفرنسية.

وفي عام ١٩٢٨م شكلت جماعة من المتعلمين في مدينة هانُوي ندوة سموها «حزب تُونْج كِنْج». وبعد أشهر من ذلك قدَّم هؤلاء بعض المطالب المعتدلة

(٤) وفرنسا كعادتها رفضت السماع لأي مطالب وطنية في مستعمراتها مهما كانت معتدلة، وبالعكس سجن وتعذيب من طالبوا بها.

للحاكم الفرنسي (بيير باسْكوين) ورفضها هذا. على إثرها انحل الحزب عام ١٩٢٩م. وفي نفس السنة تأسس حزب «شباب أَنَّام الثورة» وطالب ببعض الإصلاحات السياسية. ولاقى هذا نفس الرفض ولاقى أفراده المراقبة والمطاردة أكثر مما لاقاه أفراد حزب «تُونْج كِنْج». وبعد عام من ذلك تأسس الحزب الشيوعي الفيتنامي، ليس في فيتنام بل في مدينة هُونْج كُونْج الصينية (الإنجليزية). والسبب في ذلك كان الخوف من المطاردة الفرنسية الأكيدة لو تأسس في فيتنام. وكان من مؤسّسيه زعيم فيتنام المستقبلي «هُوشي مِنْه».

وبعد أشهر من تأسيس الحزب قامت ثورة «ينْ بِيْ» (١٩٣٠م) ضد الاستعمار الفرنسي. وقد ساهم العديد من أفراد الحزب الشيوعي في تلك الثورة. واستعمل الفرنسيون كل أنواع العنف وقمعوا الثورة وبعدها أخذوا في مطاردة كل من له ومن ليس له فيها إصبع، وعلى رأسهم كل من اشتبهوا به أنه شيوعي.

وظل الحزب الشيوعي يعمل سراً وبإرشاد وتوجيه من هوشي منه المقيم في هونج كونج حتى عام ١٩٣٣م. وفي غيابه ترأس الحزب الشيوعي وعلى أرض الواقع رجل اسمه «فُو جْيَابْ» برهن مع الزمن بأنه داهية عسكرية، وخصوصاً في فنون حرب العصابات التي بواسطتها حرر بلاده من فرنسا ومن بعدها من أمريكا عام ١٩٧٥م.

ولد هُوشي مِنْه حوالي عام ١٨٩٣م(٥). واسمه هذا هو اسم الشهرة. أما اسمه الأصلي فهو «نْجُوينْ آيْ كْوَاكْ». وبدأ هُوْ حياته العملية كعامل على إحدى السفن الفرنسية عام ١٩١١م. ومن عام ١٩١٣ وإلى ١٩١٧م اشتغل كعامل في لندن. هناك تعرَّف على بعض الاشتراكيين الماركسيين واعتنق فلسفتهم. بعد ذلك راح إلى باريس وصار عضواً في الحزب الاشتراكي الفرنسي عام ١٩٢٠. وأسس وهو هناك نادياً شيوعياً أعضاؤه طلاب من بلاده فيتنام كانوا يتلقون العلم في فرنسا. وفي عام ١٩٢٠م ارتحل إلى موسكو لِيَتَلَقَّنَ عن كتب الفنون الثورية من لينين وأعوانه

(٥) عام ولادته غير مؤكد. بعض المراجع تسجل عام ١٨٩٠م وأخرى ١٨٩٤م.

في زعـامة روسيا البلشفيكية . وفي أيلول من ذلك العام ساهم في مؤتمر «بَاكُو» المسمى رسمياً «مؤتمر الشعوب الشرقية»(٦) . وكان هذا أول مؤتمر سوفييتي رسمي اعتنى ببَثِّ الـدعاية السوفييتية في بلدان العالم الثالث المستَعْمَرة قوامها محاربة الاستعمـار والرأسمالية . واجتمع هناك أكثر من الفي شخص يمثلون العديد من شعوب آسيا(٧) . وخطب فيهم مِمَّن خطب رئيس «دائرة الشيوعية العالمية» الروسي جريجـوري «زِنُـوفْييفْ» الـذي حرضهم على إعلان «الجهاد»(٨) ضد الاستعمار الأوروبي وضد دول أوروبا الرأسمالية التي استعبدتهم وسخرتهم، وأن يقفوا صفاً واحداً مع روسيا السوفييتية في حرب تطالب بالعدالة والحرية والمساواة . وكما ذكرنا كان هوشي مِنْه من أعضاء ذلك المؤتمر . وبعده عاد «هو» إلى موسكو ودخل في عضوية «دائرة الشيوعية العالمية» التي كان مركزها موسكو.

وأصبح هوشي منه نتيجة لنشاطه في درجة من الاحترام في روسيا مما جعل موسكو توفده عام ١٩٢٥م إلى الصين كمستشار «سوفييتي»(٩) للدكتور سَنْ يَاتْ سِنْ في سبيل توحيد الصين تحت أمرة حزب كْوو مِن تانْجْ ، حزبه . وقد كانت الصين حينها في حالة حرب أهلية بين مؤيدي الدكتور سن يان سِنْ في الجنوب ومؤيدي جماعة الجنرالات التي كانت تحكم في العاصمة بيكنجْ . ومات الدكتور سَن عام ١٩٢٥م وأخذ مكانه في زعامة حزب كْوو مِن تانْجْ شانج كاي شِكْ . ووحد هذا البلاد وبمساعدة الخبراء السوفييت بما فيهم هوشي منه عام ١٩٢٧م . بعدها

(٦) انعقد هذا من ١ أيلول وإلى ٨ أيلول عام ١٩٢٠م.

(٧) وليس إفريقيا مثلاً، حيث إن إفريقيا كانت في حالة تخلف أشد من آسيا، ولم تنتشر بها الوطنية بعد.

(٨) وقد استعمل زنوفييف فعلًا كلمة «جهاد» لأن العديد من المشتركين كانوا مسلمين. خطابه الكامل يوجد في كتاب Xenia J. Eudin and R. North Soviet Russia and The East, 1957.

(٩) وقد راح قبله يهودي أمريكي شيوعي اسمه ميخائيل بُورُودِينْ كمستشار «سوفييتي» للدكتور سَنْ ومن بعد موته للجنرال شانج كاي شِكْ. وكان برفقته يهودي سوفييتي آخر اسمه الجنرال «جوفا».

قام وطرد هؤلاء الخبراء من بلاده خوفاً من انتشار الشيوعية فيها بواسطتهم(١٠) .

وذهب هوشي منه من الصين إلى مدينة «هُونج كونج» المستعمرة من بريطانيا . ومن هناك أخذ يعد العدة للثورة ضد فرنسا واستعمارها في بلاده فيتنام .

ولما قامت ثورة «يِنْ بي» عام ١٩٣٠ والتي ذكرناها سابقاً اعتقلته السلطات البريطانيـة وزجته بالسجن . وبعد قضاء عامين بالسجن البريطاني هرب منه ودخل بلاده سراً . هناك أسس في الغابات نواة جيش غير نظامي لمحاربة فرنسا . وكان ساعده الأيمن في تلك المهمة الجنرال فُو جْيَابْ .

وعـاد هوشي منـه إلى موسكو ثانية عام ١٩٣٦م . ومنه هناك أرسلته الإدارة السوفييتية ثانية للصين ليساعد مَاوتْسي تُنْجْ هذه المرة والحركة الشيوعية للاستيلاء على الحكم هناك وطرد شانج كاي شك من زعامة الصين . وفي عام ١٩٤٠م ألقت شرطة شانج القبض عليه وألقته في السجن وظل هناك حتى عام ١٩٤٢م حين هرب من السجن وعاد سرًّا إلى بلاده .

وكما أسلفنا في الفصل عن تايلاند . احتلت اليابان في أيلول عام ١٩٤٠م مستعمرات فرنسا في جنوب شرقي آسيا وبموافقة حكومة «فيشي» في فرنسا التي تعاونت مع دول المحور بما فيها اليابان وأعلنت الحرب على الحلفاء . وعلى أثر دخـول اليابانيين فيتنام قامت حركة مقاومة فيتنامية وطنية ضد الاستعمار الياباني الجديد سمت نفسهـا حركة «فِيتْ مِنْه» . وضمت هذه في صفوفها وطنيين على جميع أنـواعهم وعقائدهم . ولما عاد هوشي منه إلى بلاده عام ١٩٤٢م صيَّر هُو وزميله الجنرال «فو جْياب» من مقاتلي حركة فيتْ مِنْه قوة غير نظامية أبلت بلاءً حسناً في مقاومة الاستعمار الياباني أثناء الحرب العالمية الثانية . فما أن جاء عام ١٩٤٤م حتى صارت معظم أراضي البلاد الداخلية في أيدي قوات فِيتْ مِنْه . ونتج عن الصـرامـة التي حكم بهـا اليابانيون كل البلدان الآسيوية التي احتلوها أثناء الحرب، وليس فقط فيتنام ، أن تعاظمت حركات المقاومة ضدهم . والجدير بالذكر

(١٠) ويقال أن لزوجته ضلع كبير في طرد الخبراء السوفييت.

هنا أن بعض الفيتناميين استبشروا خيراً من قدوم اليابانيين الآسيويين مثلهم وكبادرة تحرير لهم من الاستعمار الفرنسي. لكن سرعان ما خابت آمال هؤلاء وانضموا هم أيضاً إلى صفوف حركة فِيت مِنْهْ. كذلك يجدر تذكير القارىء هنا أن قوات فيت مِنْه أصبحت بعد ٧ كانون أول عام ١٩٤١م حليفة لأمريكا وحلفائها.. أي بعد اليوم الذي هاجمت فيه الطائرات اليابانية القواعد الأمريكية والبريطانية في المحيط الهادي بما فيها «مَرفأ اللؤلؤ» الأمريكي في جزر هاوايْ ومرفأ سنجافورا البريطاني. لذا أخذت القوات الأمريكية والبريطانية ومن مواقعها في شمال الهند وشمال برما تمد قوات فيت مِنْهْ بالأسلحة والذخيرة بواسطة الجو ولمحاربة اليابانيين.

وموجز ما جرى في الحرب في الشرق الأقصى أن اليابان بدأت تخسرها للحلفاء معركة تلو الأخرى ومن أوائل عام ١٩٤٥م حتى أن انهارت عسكرياً تماماً في شهر آب ١٩٤٥م. لذلك، ولما رأت اليابان نفسها خاسرة لا محالة أعلنت في ٩ آذار ١٩٤٥م «استقلال فيتنام وكامبوديا ولاوس». وبالطبع كان ذلك الاستقلال وهمياً في أحسن الأحوال. وموجز ما فعلته اليابان كان تنصيب ملوك وأمراء في تلك البلدان.. أشخاص عفى الدهر عنهم أيام الاستعمار الفرنسي.. ملوكاً «مستقلين». ففي فيتنام مثلاً اكتشفت اليابان آخر امبراطور فيتنامي كانت فرنسا قد عزلته، وباسم «بَاوْدَايْ»، ونادت به امبراطوراً على فيتنام. وكان هذا قد عاش معظم أيامه في باريس عيشة لهو وترف. وبالطبع لم يخدع هذا «الاستقلال» أي فيتنامي، وخاصة أفراد حركة فيت مِنْه. وظلت تلك الحركة تحارب اليابانيين حتى أن خرجوا فعلاً من البلاد في أوائل شهر آب ١٩٤٥م. بعدها أعلن هوشي منه فيتنام «جمهورية ديموقراطية» وأعلن نفسه رئيساً لها.

ولقد اتفق الحلفاء الرئيسيون في مؤتمراتهم قرابة نهاية الحرب (وهم الولايات المتحدة، بريطانيا، الاتحاد السوفييتي والصين الوطنية)، وكجزء من الترتيبات الفورية بعد استسلام جيوش اليابان في الشرق الأقصى أن تحتل الجيوش البريطانية شواطىء فيتنام الجنوبية ومن مدينة «هْوي» حتى مدينة سَايجون (هوشي منه بعد). كذلك تحتل الجيوش الصينية (جيوش شانج كاي شِك)

الشواطىء الشمالية من فيتنام ومن مدينة هْوي حتى حدود فيتنام مع الصين. وهذا ما جرى بعد انهيار الجيوش اليابانية. غير أن قوات فِيتْ مِنْه كانت تسيطر على معظم البلاد في الداخل. وبالطبع كان هوشي منه ورفاقه يأملون أن حلفاءهم أثناء الحرب سيتركون البلاد لهم بعد تحريرها. ولكن صارت فرنسا المحررة (تحت حكم الجنرال دي جول بعد آب ١٩٤٥م) تطالب هي أيضاً باسترجاع مستعمراتها في الشرق الأقصى لها.

وكانت وجهة النظر البريطانية تميل بقوة صوب إعادة فيتنام (ولاوس وكامبوديا) لفرنسا وعدم منحها استقلالها تحت زعامة هوشي منه[١١] ومما سبب ذلك كان خوف بريطانيا أنه وإن أحرزت فيتنام (أو غيرها) استقلالها سيعكس ذلك سلبياً على استعمارها هي وفي الهند خاصة أن يشجع ذلك أهل الهند على المطالبة باستقلالهم أيضاً. لذلك أخذت بريطانيا تقنع الولايات المتحدة في صحة تلك السياسة وأخيراً أقنعتها، مع العلم أن الكثير في وزارة الخارجية الأمريكية كانوا يميلون لإعطاء البلاد لأهلها. وهكذا بدأت ما برهنت مع الزمن واحدة من أعظم الأخطاء التي ارتكبتها أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية. ومما أكثر من المأساة سخرية أن بريطانيا خرجت على كل حال من الهند وبعد سنتين فقط من انتهاء الحرب. غير أن أمريكا ظلت تسير في ذلك النهج المأساوي وظلت تتخبط في مستنقعات فيتنام وفي مطبات رفضها الاعتراف بحق تقرير المصير للفيتناميين حتى أن هلك أكثر من ثلاثة ملايين فيتنامي وكامبودي وأكثر من ثلاثمائة وأربعين

(١١) وقد لعب الجنرال البريطاني دوجلاس جريسي (Gracey) دوراً قذراً في فيتنام بعد انهاء الحرب. فلقد أرسله الحلفاء لسايجون في آب ١٩٤٥م لينزع السلاح مما تبقى من جيش اليابان المهزوم. وبدلاً من إنجاز مهمته هذه قام وأطلق سراح الآلاف من الفرنسيين الذي كانوا بالسجن وسلحهم من تلك الأسلحة، وحتى سلح بعض اليابانيين وكلها لمحاربة قوات فيت منْهْ.. حليفته أثناء الحرب.

راجع فريدريك شومان العلاقات الدولية ١٩٦٩م (بالإنجليزية). ونقل شومان هذه المعلومات من صحفي أمريكي شاهد عيان اسمه ديفد شونبروم (Schoenbrum).

ألف جندي أمريكي(١٢) وبعد ذلك خسرت. . عداك عن خراب معظم ما كان في الهند ـ الصينية وهدر مئات البلايين من الدولارات في حرب صارت أطول حرب خاضتها أمريكا في كل تاريخها وأول حرب خسرتها.

أما شانج كاي شِكْ زعيم الصين الوطنية فقد اتجه أولاً إلى تأسيس نظام في فيتنام يكون مستقلاً عن فرنسا ولكن موالياً له وللصين الوطنية. ويجدر التذكير هنا أن شانْجْ كان من أَلَدِّ أعداء الشيوعية في الصين والتي تزعم حركتها مَاوْ تْسِي تُنْجْ(١٣). لذا لم يكن متعاطفاً مع شيوعي مثل هُوشي مِنْه أو يَوَد أن تصبح جارته الجنوبية فيتنام في أيدي الشيوعيين. وقد حاول شانج أن يُسلِّم الحكم في فيتنام لجماعة من الفيتناميين مدعومة منه ومن نظامه اسمها «دُنْجْ مِنْه هُوي». غير أن الاعتراض البريطاني الشديد لتلك الخطوة جعله يحجم عن ذلك. وقد استاء شانج الكثير من بريطانيا لذلك والتي توجهت وكما أسلفنا صوب إرجاع فيتنام لفرنسا الحرة. على كلٍّ، ولشدة استياء شانج للموقف البريطاني قام وأمر جيوشه بالتخلي عن الأراضي الشمالية من فيتنام التي كانت تحتلها قوات هوشِي مِنْه. . فيت مِنْه.

وكانت وجهة النظر الأمريكية كالتالي:ـ مالت وزارة الخارجية الأمريكية لإعطاء هوشي منه استقلاله واستقلال فيتنام. حيث أنه برهن، هووجيشه غير النظامي على أنه حليف قوي ضد اليابان. كذلك كان من الواضح أن هوشي منه هو الزعيم المعترف به وذات الشعبية عند قومه. غير أن بريطانيا أقنعت الساسة الأمريكيين عن العدول عن دعم هوشي منه. وقد اعترضت الولايات المتحدة، مثلما اعترضت بريطانيا على مشروع شانج الذي يقضي بتسليم زمام الحكم في فيتنام لجماعة

(١٢) هذه الأعداد ما كانت ترددها الجرائد الأمريكية. ويذكر الباحث الأمريكي Duchacek الأرقام التالية: حتى تاريخ كانون ثاني ١٩٧٣م قتل وجرح ٨,٤٠٦. . ٣,٠ فيتنامي وقتل وجرح ٣٤٩,٥٤٩ أمريكي. ولم يذكر أعداد الإصابات في كامبوديا ولاوس.

H. Duchacek Nations and Men, 1980.

(١٣) واستلم مَاوْ حكم الصين بعد طرد شانج كاي شِك وجيشه من كل الأراضي الصينية إلاّ جزيرة تايوان حيث استقر شانج ونظامه هناك لليوم.

«دُنْجْ مِنْه هويْ» المدعومة منه. وكان العديد في وزارة الخارجية الأمريكية من أخذ ينفر من شانج كاي شِكْ ويعارض مساندة الولايات المتحدة له لأمرين:ـ أولاً لأن نظام شانج قد أضاع شعبيته في الصين لتفشي الفساد فيه وقلة الإصلاح الذي أنجزه وكثرة انهزام جيشه أمام اليابانيين ومنذ أن احتل هؤلاء المقاطعة الصينية الكبيرة والعظيمة الموارد في الشمال. . مقاطعة مانشوريا عام ١٩٣٢م. بعد ذلك تتالت انهزامات جيش شانج أمام اليابانيين بعد أن اجتاحوا كل الشواطىء الصينية واحتلوها بعد ١٩٣٧م. وزاد من استنفار الأمريكيين من شانج رفضه التعاون مع مَاوْ تْسِي تُنْجْ وجيشه غير النظامي في سبيل محاربة اليابان وإيقافها عند حدها في الشرق الأقصى الأمر الذي كانت تنصح به وزارة الخارجية الأمريكية. كذلك كان شانج متصلباً في الرأي إزاء استراتيجة الحرب. فقد كان يلح على أن يهاجم الحلفاء (حلفاؤه بريطانيا وأمريكا) اليابانيين من ناحية البحر، أي إنزال جيوش على شواطىء الصين التي احتلها اليابانيون منذ عام ١٩٣٧م، بدلاً من محاربتهم من الخلف، أي من ناحية شمال برما والهند. . الجبهة التي صارت تسمى أثناء الحرب العالمية الثانية «جبهة برما»(١٤).

على كل حال، وما قد جرى بعد ذلك، قامت فرنسا في شباط ١٩٤٦م وعقدت صفقة مع شانج فيها وعدته أنها وإن استرجعت مستعمراتها في الهند الصينية ستعامل الأقلية الصينية فيها معاملة خاصة(١٥). بعدها بدأت الجيوش الصينية الوطنية تخرج من الشمال من فيتنام وبدأت الجيوش الفرنسية تنزل على شواطئها(١٦). وبهذا بدأت المناوشات وبعدها الحرب الضروس بين الفرنسيين وقوات فِيتْ مِنْه.

(١٤) وقد كانت الطائرات البريطانية والأمريكية تضربُ المواقع اليابانية في الصين وتغير عليها من شمال برما والهند، وينزلون بالمظلات مساعدات عسكرية لقوات شانج الملتجأة لداخل البلاد في الصين وقوات فيت مِنْه في فيتنام.

(١٥) هُولْ، المرجع نفسه.

(١٦) والكثير من القوات الفرنسية جاءت على ظهر سفن بريطانية وأميركية.

ومن أجـل تخدير الوطنيين في فيتنام وعدت فرنسا في ٦ آذار ١٩٤٦م أنها ستمنح البلاد استقلالها ضمن «فدرالية هند ـ صينية» تكون مرتبطة بما سمته فرنسا «الوحدة الفرنسية». ولقد أعلنت فرنسا تأسيس تلك «الوحدة» في نفس ذلك العام وعلى غرارِ ما يُسَمى ولليوم «الكـومنولث البريطاني». وعلى هذا الأساس بدأت مفـاوضـات بين هُوشِي مِنْـهْ والفـرنسيين. فيهـا صمم الفرنسيون على أن الجزء الجنوبي من فيتنام هو ليس منها بل هو بلاد «كُوشِنْ». وهو الاسم التاريخي لتلك الأراضي قبل أن تتوحد البلاد عام ١٨٠٢م[١٧]. ورفض هوشي مِنْهْ ذلك الادعاء الفرنسي رفضاً باتّاً.

والواقع أن فرنسا وفي محادثاتها مع الفيتناميين كانت تماطل لتكسب الوقت من أجل وصول جيوش فرنسية أكثر عدداً لتحارب بهم قوات فِيتْ مِنْهْ. وبنفس الوقت كانت تتفاوض سراً مع بعض الفيتناميين الموالين لها ولاستعمارها.. ومعظمهم من المتمذهبين للدين المسيحي الكاثوليكي.. لتأسيس دولة عميلة لها في الجنوب في فيتنام. ونتج عن ذلك إعلان من الحاكم الفرنسي العام الأميرال «دَارْجِنلُو» في ١ حزيران ١٩٤٦م بقيام دولة «كوشن» وعاصمتها سَايجون، وبرئاسة فيتنامي اسمه الدكتور «نْجُوينْ فَانْ ثِنْكْ». ولربما أدرك هذا جسامة خيانته لأمته إذ أعدم نفسه بعد ستة أشهر من ذلك، أي في تشرين الثاني من نفس العام[١٨].

وبعد إعلان الحاكم الفرنسي قيام دولة «كُوشِنْ» بدأت المناوشات بين قوات فِيتْ مِنْه والقوات الفرنسية. وما أن جاء آخر ذلك العام حتى صارت هذه حرباً عامة.

ولم يجـد الفـرنسيون إطلاقاً أي ترحيب من قبل الفيتناميين، وخاصة طبقة المـزارعين، باستثنـاء معـظم الأقلية الكاثوليكية التي كانت تقطن إجمالاً المدن وخاصة مدينة سايجون. لذلك كانت السلطة الفرنسية متواجدة فقط في المدن. أما

(١٧) راجع الفصل السابق.

(١٨) وقد كتب اعترافاً بهذا الصدد قبل أن أعدم نفسه. هُول، نفس المرجع.

الريف فكان من بادىء الأمر تحت سلطة فيت مِنْهْ وكان معظم أفراد الجيش غير النظامي (فيت منه) من أبناء الريف.

وفي تلك الأثناء صار الفرنسيون يستعملون الأسلحة الأمريكية في حرب فيتنام والتي كانت الولايات المتحدة تمنحها لفرنسا فرضياً للدفاع عن غربي أوروبا من الخطر السوفييتي. وصارت تلك الأسلحة سيلاً عارماً بعد أن تشكل في ٤ نيسان ١٩٤٩م ما سمي حلف «شمـال الأطلسي (نَاتُو[١٩])» ومع كل ذلك ظلت فرنسا تخسر الحرب في فيتنام.

وفي ٢٠ آذار ١٩٤٨م، وفي محاولة ثانية لأن تخدع الفيتناميين أو تُموِّه عليهم قامت فرنسا وأعلنت كل فيتنـام «مستقلة» وبـزعـامـة جنـرالٍ عميل اسمه «فَانْ إكْسُـوانْ». وقـد ترأس هذا من قبل ما سمتها فرنسا دولة «كُوشِنْ» بعد أن أعدم الدكتور فَانْ ثِنْكْ نفسه عام ١٩٤٦م. ولم تفلح فرنسا أكثر بعد ذلك الإعلان حيث أن الجنرال المذكور كان ذات سمعة رديئة في سايجون ومعروف عنه أنه كان يتاجر بالمخدرات والدعارة. لذا، وبعد عامٍ من تنصيبه رئيساً لفيتنام «المستقلة» قامت فرنسا وطردته من منصبه وَنَصَّبت مكانه في آذار ١٩٤٩م الامبراطور «باو دَايْ»[٢٠]. وهذا هو نفس الامبراطور الذي نصَّبته اليابان في آذار ١٩٤٥ «امبراطوراً» على فيتنام وقبـل انهـزامها التام على أيدي الحلفاء. وبالطبع كل ذلك لم يخدع أحداً في فيتنام، بل دمَّرت أكثر شخصية «باو دَايْ» وهو آخر العائلة المالكة لتآمره وتعاونه في الأصل مع اليابان ومن بعد تعاونه مع الفرنسيين. ونتج عن ذلك كله تعاظم شعبية هوشي مِنْهْ وشعبية قواته فيت منه وتزايد روح الوطنية والنضال عند الفيتناميين ضد الاستعمار الفرنسي ومن خلفه التدخل الأمريكي إلى جانب فرنسا.

(١٩) وبعد أن هزمت فرنسا في فيتنام تحولت تلك الأسلحة لتحارب الجزائريين الذين باشروا بالثورة على الاستعمار الفرنسي عام ١٩٥٤م.

(٢٠) ونفذت فرنسا في لاوس وفي كامبوديا نفس السياسة، إذ أعلنت في ١٩ تموز ١٩٤٩م لاوْسْ ملكية مستقلة، وأعلنت في ٨ تشرين ثاني ١٩٤٩م كامبوديا ملكية مستقلة. وكلها بالطبع «مستقلة» اسماً فقط.

ولما نجح ماو تْسي تُنج بالسيطرة على كل الصين في أواخر عام ١٩٤٩، عزز ذلك من وضع هو شي منه ووضع قواته عسكرياً ومعنوياً ويقول الباحث «دُوكْ بَارْنِتْ» (Barnett) (٢١) :-

> لقد باشرت الصين الشعبية (الشيوعية) رأساً بإمداد القوات الفيتنامية، فيت مِنْه بكل أنواع الأسلحة والفنيين العسكريين بعد وصول ماوتسي تنج للسلطة. وازدادت تلك الامدادات كمّاً ونوعاً بعد إعلان الهدنة في الحرب الكورية عام ١٩٥٣م مما أمكن قوات فيت مِنْه أن تتحول من حرب عصابات إلى حربٍ ميكانيكية عامة قهرت فيها فرنسا تماماً في أيار ١٩٥٤م.

وقد اعترف ماو تْسي تنج بدولة هوشي منه في كانون ثاني ١٩٥٠م وتبعه في ذلك معظم الدول الشيوعية. وكل ذلك دفع الولايات المتحدة على أن تقف في صف الاستعمار الفرنسي أكثر وأكثر على أساس أن ذلك هو لمحاربة الشيوعية العالمية. لذلك أعلنت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا اعترافهما بالأنظمة التي خلقتها فرنسا في الهند الصينية. وهكذا أصبحت المنطقة محور نزاعٍ رئيسي بين دول رأس المال (أي دول الاستعمار) والدول الشيوعية فيما سميت بعد الحرب العالمية الثانية «الحرب الباردة». غير أن ما جرى في فيتنام وغيرها هناك لم يكن «بارداً» أبداً. وما أن جاء أيار عام ١٩٥٤م (تاريخ معركة «دِينْ بِينْ فُو» الحاسمة بين فرنسا التي خسرتها وقوات فيت منه المنتصرة) حتى كانت أكثر من ثمانين بالمئة من تكلفة وأسلحة فرنسا في فيتنام من الولايات المتحدة. أي أن الفيتناميين كانوا يحاربون الولايات المتحدة حرب «وكالة»، موكلة عنها فرنسا.

وفي أواخر عام ١٩٥٣م كانت قوات فيت مِنه قد حرَّرتْ معظم بلادها وانتشرت أيضاً في أراضي لاوْسْ وكامبوديا المجاورتين. هناك نظَّم الجنرال فُوجْيابْ وأعوانه قواتٍ غير نظامية محاربة مثل قواته للتخلص من الاستعمار الفرنسي. وسُميت حركة

(٢١) نفس المرجع.

المقاومة في لاْوسْ «بَاتت لاَوْ»، وسُميت في كامبوديا حركة «خْمِرْ إِسَارِكْ» (كامبوديا الحرة).

وجاءت المعركة الفاصلة بين فرنسا والفيتناميين في أيار عام ١٩٥٤م وحول حصن «دِينْ بِينْ فُو». ويقع الحصن هذا الذي بنته فرنسا في الشمال الغربي من مدينة هانُويْ. وقد حاصرته القوات الفيتنامية بقيادة فو جياب ولمدة ستة وخمسين يوماً، بعدها استسلم كل ما تبقى من القوات الفرنسية فيه على قيد الحياة وعددهم حوالي خمسة عشر ألف جندي(٢٢). وتُعد معركة دِينْ بينْ فُو من المعارك الشهيرة في التاريخ الحديث، وأصبح فو جياب من بعد انتصاره فيها من أشهر العسكريين. وبعدها ارتحلت فرنسا تماماً من كل الهند ـ الصينية.

اجتماع جنيفا ١٩٥٤م

لقد كان من المقترح، ومنذ انتهاء الحرب الكورية وبدء الهدنة هناك في شهر تموز ١٩٥٣م أن يعقد اجتماعٌ أوروبي ـ آسيوي شامل لدراسة وحل المشاكل الآسيوية إجمالاً وعلى رأسها وحدة كوريا ومصير فيتنام. وأخيراً عُقد لذلك الغرض اجتماع في جنيف سويسرا في ٢٦ نيسان ١٩٥٤م. وجاء انعقاده قبيل انهزام فرنسا في معركة دِينْ بين فُو. واجتمع هناك مندوبون عن فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي والصين الشعبية ولاوْسْ وكامبوديا والجزئين الشمالي والجنوبي من فيتنام. وجاءت أخبار معركة دِينْ بينْ فو والمؤتمر منعقد في جنيف مما أضعف موقف فرنسا ومن آزرها هناك كالولايات المتحدة وبريطانيا. ويقول المؤرخ فْريدريك شومان إنه:

«كان بإمكان هوشي منه أن يصمم على توحيد البلاد بعد تلك المعركة

(٢٢) ويضاهي هذه المعركة في الأهمية معركة دموية أخرى جرت قبلها وفي عام ١٩٥٠م قرب الحدود الصينية تسمى معركة «دُونْغ خِيْ». فيها انتصرت أيضاً قوات فيت مِنْه على الجيش الفرنسي وقتلت منه أكثر من ستة آلاف مقاتل معظمهم من عرب شمال إفريقيا. راجع
Julian K. Prescott A History of the Modern Age, 1971.

وينجح في ذلك غير أن وزير خارجية الاتحاد السوفييتي «مولوتوف» ووزير خارجية الصين الشعبية «شاوْ إن لاَيْ» ضغطاً على مندوب هوشي مِنْه في جنيف ليقبل حلولاً وسطاً مما برهن على أنه خطأ عظيم وخاصة لمستقبل فيتنام وما قد جرى بَعْدُ فيها»[٢٣].

وموجز ما اتُّفِقَ عليه في جنيف[٢٤] كان :-

أولاً :- تقسم فيتنام مؤقتاً إلى شطرين يكون الحد الفاصل بينهما خط العرض (١٧)[٢٥]. . القسم الشمالي يستقل بزعامة هوشي مِنْه والجزء الجنوبي تبقى فيه القوات الفرنسية لمدة عامين. بعد ذلك أي في تموز ١٩٥٦م تجري في كل فيتنام انتخابات حرة حول الوحدة الفيتنامية.

ثانياً: لا يحق لأي طرف من الأطراف المتحاربة إدخال أسلحة جديدة إلى أي من الشطرين الشمالي والجنوبي أو السماح لدخول جيوش من الخارج.

ثالثاً:- تمنح لاوس استقلالها وتتبع سياسة الحياد في الحرب الباردة.

رابعاً: تمنح كامبوديا استقلالها وتتبع سياسة الحياد في الحرب الباردة.

وكما ذكرنا، لقد قبل هوشي منه تقسيم بلاده المؤقت استجابة للنصيحة والضغط السوفييتي - الصيني ليبدي الاعتدال خاصة أنه كان على ثقة أنه وإن أُجريت انتخابات حرة بعد سنتين سيفوز هُو وحركته (فيت منه) أصوات جماهير شعبه شمالاً وجنوباً. دون أنه لم يُدرك مدى تصميم الولايات المتحدة خاصة وتصميم قلم مخابراتها السري (سي آي إي) على عرقلة جهوده في سبيل توحيد بلاده واستقلالها. وبالطبع لم تدرك الولايات المتحدة مدى تصميمه على تحرير بلاده من التدخل الأجنبي ومن الاستعمار.

---

(٢٣) العلاقات الدولية المرجع نفسه.

(٢٤) انفض الاجتماع أخيراً في ٢١ تموز ١٩٥٤م.

(٢٥) ويقع هذا شمالي مدينة هْوي ببضع كيلومترات.

ويجدر الذكر هنا أن الولايات المتحدة لم توقِّع أبداً على اتفاقيات مؤتمر جنيف هذه. غير أن مندوبها صرَّح عند اختتام المؤتمر بأن الولايات المتحدة «لن تتصرف بعكس ما اتُّفِقَ عليه»[٢٦].

---

(٢٦) راجع John Stoessinger Why Nations go to War, 1975

الفصل السابع

الهند الصينية بعد اجتماع جنيف

فيتنام

أصبحت ما سميت[1] «فيتنام الشمالية» مستقلة بعد عام ١٩٥٤م يتزعمها هوشي منه وحركته الشيوعية. وأخذ الاتحاد السوفييتي خاصة بامدادها مادياً وعسكرياً. وصارت هي بدورها تدعم جيشاً غير نظامي داخل «فيتنام الجنوبية» سمي بعد عام ١٩٥٤م «حركة فِيتْ كُونْج». وقد كان الكثير من أفراد تلك الحركة من إعداد حركة فيت منه قبل انقسام البلاد. وظلت حكومة فيتنام الشمالية تعلن براءتها من دعم حركة فِيتْ كُونْج طوال أيام حربها مع الولايات المتحدة التي تلت وطالت حتى عام ١٩٧٥م.

كذلك دعمت هَانُوي الثوار الشيوعيين في كل من لاوس.. حركة بائِتْ لَاوْ. وفي كامبوديا.. حركة خْمِرْ إِسَارِكْ.

وقد قام هوشي منه في داخل بلاده بالإصلاح في ملكية الأراضي إذ أمّم معظمها ووزع ما تبقى على المزارعين المعدومين من ملكيتها من قبل وأمم المصانع والمزارع الفرنسية الكبيرة. وهاجر من شمال فيتنام وإلى جنوبها بعد أن استلم الحكم أكثر من مليون شخص معظمهم من كبار ملاكي الأراضي من قبل وأكثرهم من الفيتناميين المسيحيين الذي تمذهبوا أيام فرنسا للكاثوليكية. وظل

(١) حتى عام ١٩٧٥م حين توحدت.

هوشي منه إلى أن مات في ٣ أيلول ١٩٦٩م بطلاً لشعبه شمالاً وجنوباً ويعد بعد ذلك من أعظم رجالات القرن العشرين.

وظلت هانوي بعد مؤتمر جنيف تنتظر الانتخابات الموعودة بعد سنتين من انفضاضه.

أما ما جرى في فيتنام الجنوبية فكان كالتالي :-

بقي الامبـراطـور بَاوْدَايْ الذي نصبته فرنسا على عرش فيتنام عام ١٩٤٩م امبـراطـوراً في سايجون بعد عام ١٩٥٤م. وقد انعدمت شعبية هذا خاصة بعد مشاركته للجنرال «إكْسُوانْ» (الذي ذكرناه في الفصل السابق) في عالم الفساد.

وعيَّن الامبـراطـور (أو بالأحرى فرنسا التي ظلت هناك) عام ١٩٥٤م رئيساً لوزرائه رجلاً كاثوليكياً اسمه «نْجو دِنْه دِيِمْ». وكان هذا من العائلات التي نزحت من الشمال بعد انقسام البلاد والتي كانت تملك أراضٍ زراعية كبيرة في أواسط البلاد قرب مدينة هْوي. وقد تعلم دِيِمْ القانون في المعاهد الفرنسية، واشتغل في العشرينـات والثلاثينـات في مناصب حكومية فرنسية حتى أصبح حاكماً لأحد الأقـاليم في أواسط فيتنام. ويقال إنه أُقيل من منصبه عام ١٩٣٣ لإلحاحه على الفرنسيين على إنجاز بعض الاصلاحات في بلاده قبل أن يتفاقم أمر الشيوعية والوطنية هناك. لذا قيمته حركة فيت منه منذ ذلك الحين كعميل فرنسي - ياباني. وقد قتلت تلك الحركة واحداً من إخوته أثناء حكم اليابان للبلاد على أساس أنه عميل ياباني. كذلك اختطَفتْه هو عام ١٩٤٥م بقصد اعدامه غير أنه نجح بالهرب من أيديهم. وفي عام ١٩٤٦ راح دِيِمْ للولايات المتحدة لإقناع المسؤولين في وزارة الخارجية بواشنطن بأن يضغطوا على فرنسا لكي تتجاوب مع مطالب الوطنيين في بلاده قبل أن تصبح البلاد كلها موالية لحركة فيت منه وللشيوعية. لذلك قيمته حركة فيت منه أيضاً عميلاً أمريكياً بعد ذلك.

وبعد أن فشل في مساعيه في واشنطن أقام دِيِمْ في باريس حتى أن انتهت

الحرب الفرنسية الفيتنامية عام ١٩٥٤م.. أي بعد معركة دِيِنْ بِيِنْ فو وخروج فرنسا من هناك.

وكـان من أسباب فشله في واشنطن أنه جاء لوزارة الخارجية الأمريكية أيام الـرئيس الأمريكي «هاري تْرومان» جماعة انصب اهتمامها الرئيسي على أوروبا ومشاكلها وكيفية «إنقاذها من الحظر الشيوعي». وفسح ذلك المجال لكل من فرنسا وبريطانيا وهولندا التخبط في أخطائهم الاستعمارية، ليس فقط في جنوب شرقي آسيا بل في مناطق أخرى من العالم الثالث. ودليل على ذلك أنه لما صارت الصين تحت نظام شيوعي بعد ١ تشرين أول عام ١٩٤٩م مثلاً، أفاق الكثير من ساسة أمريكا لما سموه «ضياع الصين» وأخذوا يتهمون بعضهم البعض بـ«إضاعتها»!!

وهكـذا بدأ «ضياع الهنـد الصينية» أيضاً للشيوعية ولكن بنتائج أدمى بكثير وأفدح كلفة بالأرواح الفيتنامية خاصة ودمار معظم ما كان في الهند الصينية ودمار سُمْعة أمريكا وضياع البلايين من دولاراتها.

اتصل الفرنسيون بعد انتهاء مؤتمر جنيف بالامبراطور بَاوْدَايْ الذي كان حينها يعيش في فرنسا ليعود إلى منصبه في حكم «فيتنام الجنوبية». واتصل هو بدوره بـ نْجو دِنْه ديم الذي ذكرناه والذي كان أيضاً يعيش في فرنسا وكلفه برئاسة الحكومة في سايجون وعاد الإثنان إلى هناك.

ولاقى دِيِمْ في سايجون مشاكل لا عد لها. إذ كانت تلك المدينة خاصة معقلاً لعصابات تهريب وزراعة المخدرات وبيعها وبؤرة لجميع أنواع الفساد في السوق وفي الدوائر الحكومية. وكان ممن سيطر على الكثير من ذلك عصابة اسمها «كَاوْ دَايْ» وأخرى اسمها «هاوْ هَاوْ». وكان للجنرال إكْسُوانْ الذي نصبته فرنسا مرتين رئيساً لفيتنام قبل عام ١٩٤٩ اصبعاً كبيراً في الفساد المتفشي في المدينة. وحاول دِيِمْ تحقيق بعض الإصلاح، غير أن الامبراطور نفسه أخذ يعارضه وبدأت علاقات الاثنين تـتردى. وجـاء المـوقف الفاصل بين دِيِمْ وإمبراطوره بعد أشهر قليلة من رجوعهما للحكم. وجرى ذلك لما أمر الرئيس دِيِمْ رئيس أركان جيشه الجنرال «فان

هِنْهْ» بالاستقالة لتورطه بالفساد القائم في سايجون ومشاركته الجنرال إكْسْوانْ في ذلك. وكان إكْسْوانْ حينها ما زال رئيساً لشرطة المدينة. ورفض الجنرال هِنْهْ الاستقالة وبدعم خفيٍّ من الامبراطور الذي أخذ يغار من تقارب دِيِمْ للأمريكيين ولقلم مخابراتهم السري.. سِي آي إِي. وأخيراً وبعد ضغط أمريكي شديد على الامبراطور وعلى ما تبقى من السلطة الفرنسية هناك أجبر الجنرال هِنْهْ على الاستقالة من منصبه في تشرين ثاني ١٩٥٤م.

بعد ذلك صارت السلطات الفرنسية ومعها الامبراطور تكره التدخل الأمريكي وصاروا يتعاملون مع دِيِمْ والأمريكيين الذين يدعمونه بكل جفاءٍ واستنكار. وفي آذار ١٩٥٥م قامت مظاهرات صاخبة في سايجون دبرها الفرنسيون ورئيس شرطة العاصمة إكْسْوان ضد الرئيس دِيِمْ[٢]. على إثرها دخل الجيش الذي ظل مُوالياً للرئيس دِيِمْ شوارع سايجون وفرق المتظاهرين ونتج عن ذلك أن دبَّر دِيِمْ بدوره استفتاءً شعبياً (وبالطبع بنصح من سي آي إي) في ٢٣ تشرين أول ١٩٥٥م عما يرغبه الشعب.. نظام امبراطوري أم جمهوري؟ وكان النجاح حليفاً لدِيِمْ والجمهورية. ففي ٢٦ تشرين أول ١٩٥٥م، أي بعد ثلاثة أيام من الاستفتاء المذكور تنازل الامبراطور عن عرش فيتنام ولآخر مرة. بعدها صارت فيتنام الجنوبية جمهورية وصار دِيِمْ (ومن خلفه أمريكا) يتصرف كيفما يشاء في البلاد. وبكلمات أهم جريدة في الولايات المتحدة نيويورك تايمز (عدد ٢٢ آب ١٩٦٣م):-

«لقد جاء دِيِمْ للسلطة التامة وبالدعم التام من قلم المخابرات السري الأمريكي سِي آي إي والذي كان يرأس فرعه في سايجون حينها الكولونيل إدوارد لاَنْزْدِيلْ».

وباشر ديم في أول سنتين من رئاسة الجمهورية في إنجاز بعض الاصلاحات، خاصة في ملكية الأراضي والاقتصاد. غير أن أكبر شاغل لنظامه بالطبع كان أمر وحدة شطري فيتنام. وصار هو بعد حادث «هِنْهْ» وتخلصه من الامبراطور يعتمد أكثر

(٢) راجع جريدة نيويورك تايمز الأمريكية عن الإصبع الفرنسي في تلك المظاهرات.

وأكثر على سفراء أمريكا في سايجون وقلم مخابرتها سِي آي إي. وكان هو نفسه رجلاً مجهولاً عند شعبه قبل رئاسته الدولة، أو بالأصح ما عُرف عنه كان معاداته لحركة فِيتْ مِنْهْ ومحاولته مبكراً إقناع فرنسا ومن بعدها أمريكا تقديم بعض الاصلاحات في فيتنام خاصة لإضعاف شعبية هوشي مِنْهْ وشعبية حركته الشيوعية التي حاربت الاستعمار الفرنسي والياباني من بعده ورفعت راية الوطنية في فيتنام. ولكونه مسيحياً في بلاد أكثريتها الساحقة بوذيين قَلَّل هذا من دعم الشعب له. ولاعتماده الزائد على أمريكا صار الشعب يعتبره عميلاً أمريكياً.

طالب دِيِمْ الفرنسيين رأساً بعد حادثة هِنْهْ في تشرين ثاني ١٩٥٤م بالتفاوض معه حول انسحاب قواتهم من قواعدهم ومعسكراتهم في البلاد. وبالمفاوضات التي جرت بعد ذلك، وبحضور مبعوثين أمريكيين، وعدت فرنسا أخيراً الخروج من هناك بعد تدريب جيش جنوب فيتنام لتمكنه من محاربة ثوار «فيت كُونْج». واتفق حينها أن تُسلَّم المساعدات المادية والعسكرية رأساً لدول الهند - الصينية.. لاوس، كامبوديا وجنوب فيتنام.. وليس بواسطة فرنسا. وفي ختام تلك المفاوضات أعلن دِيِمْ لشعبه في ٧ تموز ١٩٥٥م أنه:-

«وبعد المحادثات الطويلة والشاقة مع الفرنسيين يمكننا أن نعلن لشعبنا أن فرنسا أعادت لنا زمام الحكم التام في كل الأمور المدنية.. كذلك في مجال الدفاع الوطني أعيدت لنا السلطة في كل أقاليم البلاد»[٣]

بعد ذلك بدأ الجيش الفرنسي انسحابه من فيتنام الجنوبية وخرج آخر نفر منه في ٣١ أيار ١٩٥٧م. وصادف أن كان دِيِمْ في زيارة رسمية للولايات المتحدة حينها.

تعود العلاقات الأمريكية الفيتنامية الرسمية إلى شباط عام ١٩٥٠م، حين أعلنت الولايات المتحدة اعترافها باستقلال فيتنام تحت سلطة الامبراطور بَاوْ دَايْ.

(٣) مقتبسة من Russell H. Fifield، The Diplomacy of Southeast Asia, 1958.

وقويت تلك العلاقة بعد قدوم دِيمْ للحكم وخاصة بعد تمكن الأخير من التخلص من الامبراطور وبإرشادٍ ودعم من سي آي إي. كذلك تضخمت المساعدات الأمريكية لنظام دِيمْ بعد ذلك وصارت الولايات المتحدة وبواسطة سفرائها وقلم مخابراتها في سايجون تسيطر (أو تحاول أن تسيطر) على كل مجريات الأمور في البلاد. وبعد مرور عامين من اتفاقيات جنيف[4]، أي في تموز ١٩٥٦م، والتي تقضي بإجراء انتخابات في كل فيتنام حول توحيدها أو رفضه شجعت الإدارة الأمريكية دِيمْ على رفض إجرائها. وسبَّب ذلك يقين دِيمْ ويقين الولايات المتحدة بالخسارة أمام شعبية هوشي منه في كل فيتنام شمالاً وجنوباً. وقد اعترف بذلك الرئيس الأمريكي حينها دْوايْتْ ايزنهاوَر والذي دوَّن في مذكراته لاحقاً إنه:

«لو أجريت الانتخابات حينها لحصل هوشي منه على ما لا يقل عن ثمانين بالماية من أصوات كل فيتنام»[5].

ومقابل رفض ديم الانتخابات بدأت المساعدات الأمريكية له ولنظامه تتضاعف. مقابل ذلك أخذت المساعدات الصينية الشعبية والسوفييتية تتضاعف لنظام هوشي منه ولقوات فيت كونج في جنوب فيتنام. واستجابة لذلك صار الرئيس دِيمْ يضطهد الأقلية الصينية الموجودة في بلاده[6].

وهكذا بوشرت حرب جديدة في فيتنام الجنوبية بين الجيش وقوات فِيتْ كُونْج. وانتشرت هذه ليس فقط فوق الأراضي الفيتنامية الجنوبية بل تعدتها لتشمل الأراضي الكامبودية المجاورة. وبالطبع كانت قوات فيت كونج قواتٍ غير نظامية مثلما كانت قوات فيت مِنْه. وكانت هذه ذات شعبية قوية خاصة في الريف. وبالطبع كلما طالت الحرب الأهلية وازداد الدعم الأمريكي للحكومة كلما قلت هيبة نظام دِيمْ وبدا لشعبه وكأنه دمية في يد أمريكا ويد قلم مخابراتها. كذلك كلما

(٤) راجع البند الأول من تلك الاتفاقات في آخر الفصل السابق.

(٥) في كتاب مذكراته. Mandate for Change, 1963.

(٦) Fifield نفس المرجع.

ازدادت المساعدات الأمريكية كلما ازداد الفساد وازدادت السرقات منها في سايجون[7].

وللتمكُّن من التسلط على أهل الريف ومنعهم من دعم الثوار قام دِيمْ عام ١٩٦١م (وبنصح من سي آي إي) ورحَّل الآلاف من أهالي القرى الحدودية وجمعها في معسكرات كبيرة (agrovilles) أقرب ما تكون من مخيمات أسرى حرب. حينها قامت ضجة كبيرة، حتى في الصحافة الأمريكية ضد تلك الإجراءات التعسفية الدكتاتورية وضد تورط أمريكا في تلك المجريات، ولكن بدون جدوى. وما أن جاء عام ١٩٦٣م حتى صار دِيمْ في شبه عزلة عن شعبه وعن العديد ممن آزروه قبلاً من قادة جيش أو متعلمين أو مسيحيين مثله. لذلك جرى في ١٠ تشرين ثاني ١٩٦٠م محاولة عسكرية لقلب نظامه وفشلت، ولكثرة نكسات جيشه في الميدان أمام قوات فيت كونج أمر الرئيس الأمريكي جون كَنَدي مفارز من الجيش الأمريكي التدخل إلى جانب حكومة دِيمْ. وبدأ كَنَدي بذلك، أي بعد عام ١٩٦١م سلسلة من الأخطاء الأمريكية أدت إلى الكوارث التي جنتها فيما بعد.

وبالطبع، وبعد أن بدأت القوات الأمريكية بالتدخل عسكرياً إلى جانب دِيمْ ازداد اقتناع شعبه بأنه عميل أمريكي.

وجرى في ٢٧ شباط ١٩٦٢م حركة انقلاب عسكرية ضد دِيم وفشلت. وصار دِيم يعتمد الكثير على أخٍ أصغر منه وعلى زوجة هذا[8] (واسمه دِنْه نُو وعرفت زوجته فقط بلقب «مدام نو») أخذا يتصرفان تصرفاً دكتاتورياً في البلاد. وكان دِنْه

(٧) راجع مثلاً نموذجاً عن ذلك الفساد وتلك السرقات في مقالة لجريدة نيويورك تايمز الأمريكية عدد ١٨ آذار ١٩٦٢م، ومثل تلك كثير حتى في الصحافة الأمريكية.

(٨) وقد صارت كل عائلة ديم إيامه في مناصب قيادية. فأخوه نو كان رئيس الشرطة السرية، وزوجته صارت السيدة الأولى للدولة حيث أن الرئيس ديم كان أعزباً، وأخوه الثاني كان حاكماً في أحد الأقاليم، والثالث كان رئيس اساقفة هُوي (كاثوليكي)، وكلهم يملكون أراض شاسعة في البلاد.

نو هذا رئيساً للشرطة السرية التي اشتهرت أيامه لاستعمالها كل أنواع القسوة والتعذيب لمن اشتبه بهم كمعارضين للنظام.

وَجرت أخيراً سلسلة من الأحداث بدأتها ما سميت «حادثة البوذيين» أدت في مجملها إلى القضاء على نظام دِيِمْ وجرى ذلك كالتالي :-

في أوائل عام ١٩٦٣م أصدر الرئيس دِيِمْ أمراً يمنع البوذيين من الاجتماعات من دون تصريح شرطي، ومنعهم أيضاً من رفع أعلامهم الدينية على معابدهم في البلاد. وبالطبع فالبوذيون هم الأكثرية الساحقة في البلاد. وكان التَّعْليل لذلك الإجراء أنه وفي تلك الاجتماعات أخذ الثوار، فيت كُونْج، يَتسللون فيها ويبثون دعاياتهم ضد النظام وحتى ينجزون بعض الأعمال التخريبية في المدن. ولربما كان هنالك بعض الصحة في ذلك، غير أنه وبالمقابل لم يصدر أي أمرٍ مماثل يمنع المسيحيين (الكاثوليك) مثلاً من الاجتماعات. وكما أسلفنا، فقد كان دِيِمْ نفسه مسيحياً كاثوليكياً. وكان رد الفعل عند معظم الشعب عنيفاً للغاية لذلك القرار، خاصة عند رؤساء الديانة البوذية. وجرت في ١٦ تموز ١٩٦٣م مسيرة بوذية (غير مرخصة من الشرطة) فيها أطلقت الشرطة النار على المتظاهرين العُزَّلْ وقتلت منهم تسعة أشخاص. ومما أثار غضب الشعب أكثر من المذبحة نفسها كان ادعاء النظام أن من قتلهم كان أفراد ثوار فيت كُونْج(٩). بعد ذلك عمّ البلاد الاضرابات والمظاهرات. وفي إضرابٍ يوم ١٦ تموز ١٩٦٣م قام راهب بوذي واحرق نفسه حتى الموت في إحدى ساحات سايجون الرئيسة. وتبع ذلك عدة انتحاراتٍ مماثلة مما جلب أنظار العالم كله لما يجري في فيتنام الجنوبية. وأخذ دِيِمْ ونظامه في تعذيب وطرد وسجن أكثر وأكثر من الأهالي مما نتج عن عدة التماسات عالمية له لَيُلطِّف من سياساته القمعية ولكن بدون جدوى. وكان من أحد تلك الالتماسات رسالة من البابا بولص السادس لديم في ١٨ آب ١٩٦٣م يرجوه إرضاء شعبه. وبعكس ما ارتجاه البابا كان أخ دِيِمْ واسمه «دِنْه نُوكْ» والذي كان حينها رئيس أساقفة

(٩) حتى جريدة نيويورك تايمز الأمريكية هزأت من ذلك الادعاء وشككت في صحته. راجع عددها في ١٨ آب ١٩٦٣م مثلاً.

هُوِيْ يطالب أخاه ديم باتباع الشدة أكثر لقمع وتطويع البوذيين.

ونتيجة للضجة العالمية التي جرت، أخذت الولايات المتحدة نفسها تحاول الابتعاد عن دِيِمْ. لذا أمر الرئيس الأمريكي جون كَنَدي وفي ٢١ آب ١٩٦٣م سفيره في سايجون فْرِيدرِيكْ «نُولْتِنْج» بالعودة إلى واشنطن. وكان نولتنجْ هذا ممن حرض دِيِمْ (هو وقلم المخابرات الأمريكي سي آي إي) استعمال عنفٍ أكثر لقمع مظاهرات البوذيين. واستبدل هذا بشخصية معروفة في أمريكا وهو هنري كابُوت لُودْجْ الذي أعطاه كَنَدي الصلاحية بأخذ موقفٍ «أكثر حزمٍ» مع دِيِمْ. وبعد فترة قصيرة من وصول لودْجْ وصل لسايجون وزير الدفاع الأمريكي روبرت «مَاكْنَمارا» في جولة «استقصاء الحقائق» في فيتنام. بعدها أعلن ماكْنَمارَا في تقرير نشر في ٢ تشرين أول ١٩٦٣م(١٠):-

إن الوضع في فيتنام الجنوبية خطير للغاية. ولقد أعربت الولايات المتحدة قلقها الشديد لما يجري هناك وأبدت اعتراضها للأعمال القمعية التي تتخذها حكومة دِيِمْ. وبالطبع فكل ذلك، وإن لم يتوقف سيُؤثِّر سلبياً على الوضع العسكري في المستقبل.

وفي تلك الأثناء صار الرئيس الفرنسي شارلز دي جول من أشد المنتقدين لسياسات الولايات المتحدة في فيتنام. وبالطبع كان هدف الولايات المتحدة من التدخل في فيتنام «إنقاذ» فيتنام الجنوبية من الشيوعية ومن تزعم هوشي منه لها أيضاً خاصة بعد ما سماه الساسة الأمريكيون «ضياع الصين للشيوعية عام ١٩٤٩ . م وخلافاً لما هدفت له أمريكا وسبلها في تحصيله أو تحقيقه اقترح دي جولْ في ٢٩ آب ١٩٦٣م «عدم التدخل الأجنبي في فيتنام» وتوحيدها وتحييدها في الحرب الباردة إن أمْكَنْ.

واستجاب هوشي منه رأساً لاقتراح دي جول بالقبول والترحيب(١١). لكن

(١٠) نشر في جريدة نيويورك تايمز.

(١١) وقد نشر رد هوشي منه بالجرائد العالمية في ٣٠/ آب ١٩٦٣.

الولايات المتحدة أبدت استياءها الشديد لاقتراحه واعتبرته «تَدَخُّلاً» فرنسياً. وغنيٌّ عن التذكير أن فيتنام كانت مستعمرة فرنسية ولربما يحق لفرنسا إبداء رأيها فيما يجري في فيتنام.

وجرى في ١ تشرين ثاني ١٩٦٣م انقلاب عسكري في سايجون أطاح أخيراً بحكم دِيَمْ وحكم عائلته. وقد أعدم العسكريون دِيَم وأخيه «نو» بعد يومٍ من الانقلاب وبظروفٍ غامضة مما حدا بمدام نو، والتي كانت في زيارة للولايات المتحدة حينها، بأن تتَّهم الولايات المتحدة ورئيسها جون كندي بجريمة قتلهما[١٢].

واستلم الحكم بعد ذلك جنرال (بوذي) اسمه دونْجْ فانْ مِنْه عرف بالنزاهة بعد أن أبلى بلاءً حسناً في تطهير سايجون من عصابات المخدرات التي تعاملت مع الجنرال إكْسُوان. ولم تطل زعامة الجنرال دونْجْ حيث جرى ضده انقلاب عسكري آخر في ٣ شباط ١٩٦٤م وأخذ مكانه جنرال اسمه نْجوينْ خانْ. ويظهر أن قلم مخابرات أمريكا السري سِي آي إي كان له يد في تنصيب خانْ هذا إذ بان لهم أن الجنرال الذي سبقه كان ذات ميولٍ «حيادية»[١٣].

وتسارعت الأحداث بعد ذلك حيث كثفت قوات فِيتْ كونْجْ هجماتها على المواقع الحكومية. ونتج عن ذلك دخول القوات الأمريكية بأعداد أكبر وأكبر، وخاصة بعد مقتل رئيس الولايات المتحدة جون كَنَدي واستلام نائبه لِنْدُن جونْسُون الحكم بعده في ٢٢ تشرين ثاني ١٩٦٣م[١٤]. وصار العديد من الأمريكيين

---

(١٢) تدل الدلائل على أن لقلم مخابرات أمريكا السري.. سي آي إي أصبع في قتلهما داخل سيارة نقلٍ، ولربما لإسكاتهما للأبد عما كان ذلك الجهاز السري يتصرَّف بالبلاد. وهنالك بعض الإشاعات إن لمقتل الرئيس الأمريكي جون كندي بعد ذلك بقليل علاقة بمقتل الرئيس دِيَمْ في فيتنام الجنوبية من قبل.

(١٣) أي يود تقليل الاعتماد على أمريكا.

(١٤) وجاء ذلك بعد أقل من شهرين من مقتل ديم/وأخيه نُو في سايجون. والرئيس جونسون من ولاية تكساس، يميني النزعة يعرف استعمال القوة أكثر من معرفته بالعلاقات الدولية.

الجامعيين خاصة، وحتى من أعضاء الكنجرس يبدون الاعتراض الشديد لما سموه هم «العدوان الأمريكي» على فيتنام. وقد لجأ جونسون للكذب وللتمويه على الكونجرس الأمريكي وشعبه في سبيل تبرير إرسال أعداد أكثر من الجيش الأمريكي إلى فيتنام وشحن المعدات لهناك.. وبالطبع كل ذلك «لإِنْقاذ فيتنام من الشيوعية». ففي ٢ آب ١٩٦٤م مثلاً أصدرت وزارة الحربية الأمريكية البيان التالي:ـ

«جرى صباح اليوم عدوانٌ في خليج تُونْجْ كِنْجْ على طَرَّادين أمريكيين، أحدهما الطراد «مَادُوكْس» والآخر «تِيرْنَرْ جُويْ» ومن قبل سُفُنٍ حربية تابعة لفيتنام الشمالية»[١٥].

وطالب البيان بعد ذلك رأساً الشيخ الأمريكي ولْيَمْ فُلْبْرايْتْ (Fulbright) رئيس لجنة العلاقات الدولية في مجلس الشيوخ ببرهان على ذلك من وزارة الحربية ولم يجده. لذلك أعلن هو بعدها «أن تلك الطرادتين لم تهاجم أبداً من أَحَدْ»!!

على كل حال، وبعد البيان بيومين أمر الرئيس جونسون بضرب مرافىء ومدن فيتنام الشمالية. وبعد هذا بثلاثة أيام صوت ٥٣٣ عضواً من أعضاء المجلسين في الكنجرس الأمريكي وعددهم ٥٣٥ تأييداً للرئيس جونسون وخلاصته إعلان الحرب على فيتنام الشمالية.

ويعلق الباحث الأمريكي المعروف في دراسات العلاقات الدولية، فريدريك شومان:ـ

«أن حرب جونسون تلك لم يكن لها مثيل في التاريخ إلّا ما عمله هتلر من قبل وأكثر بما فيها استعمال الغازات السامَّة وقنابل «النِّيبالْمْ» المحرقة وتسميم الأراضي الزراعية وإزالة أوراق الغابات بالمبيدات السامة وضرب المدن والقرى ليل نهار بدون هوادة وترحيل الأهالي والمجازر التي لا عد

---

(١٥) مقتبسة في كتاب فريدريك شومان العلاقات الدولية.

لها في كل فيتنام شمالاً وجنوباً»[16].

ومع كل ذلك ظل الفيتناميون يحاربون وظل جونسون يفقد شعبيته في بلاده مما أرغمه على سحب اسمه من الترشيح للانتخابات الرئاسية عام ١٩٦٨م. وظلت الحرب دائرة على أشدها بعد أن جاء ريتشارد نِكْسُون للرئاسة. وفي ٣ تشرين ثاني ١٩٦٩م أعلن هذا بدء ما سماها «سياسة التَّفتنُم» (Vietnamization). وما عَنَى نِكسون بذلك هو البدءُ بانسحاب القوات الأمريكية تدريجياً وتدريب ومَدُّ الجيش الفيتنامي الجنوبي أكثر بالأسلحة ليقدر على الوقوف أمام قوات فِيت كونج الثائرة.

وبدأت القوات الأمريكية فعلاً بتخفيض أعدادها هناك. وصارت ترتكز أكثر على سلاح الجو لضرب مواقع فيت كونْج ومدن وقرى فيتنام الشمالية. كذلك صارت تستعمل المطارات الحربية في تايلاند أكثر وأكثر لذلك الغرض. غير أن حسم المعارك ظل يجري في صالح حركة فيت كُونج وجيش فيتنام الشمالية حتى جاء الانهزام الأمريكي وانهزام جيش فيتنام الجنوبية المدعوم من الولايات المتحدة في صيف ١٩٧٥م.

ومن السخرية القاسية في كل ما جرى من مذابح وخراب لفيتنام ولاوس ولكامبوديا وضياع لهيبة الولايات المتحدة.. وكل ذلك كان فرضياً من أجل «انقاذ فيتنام الجنوبية من الشيوعية».. إنه وبعد عام ١٩٧٥م أصبحت كل دول الهند ـ الصينية شيوعية وتحت هيمنة هانوي!!

كذلك أخذ العالم كله يرمق فيتنام الموحدة بعين الإعجاب والتقدير. كذلك أخذت تايلاند خاصة، والتي تعاونت مع الولايات المتحدة الكثير في محاربة هانوي، تنظر قلقة صوب فيتنام الموحدة والمنتصرة. وحتى الصين الشعبية ارتبكت لانتصار هانوي أولاً لأن فيتنام صارت وبحكم انتصارها على الولايات المتحدة دولة ذات ثقل عسكري إقليمي كبير يبعث القلق حتى من الصين، وثانياً لأن الصين بعظمتها ما انفكّت، ومنذ عام ١٩٤٩م (ولليوم) دولة مشطورة غير موحدة بفضل

(١٦) نفس المرجع.

حماية الولايات المتحدة لجزيرة تايوان وحكومتها التي تسمي نفسها «الصين الوطنية». وكل ذلك سبَّب وما زال يُسبِّب الارتباك في بيكِنْج. وقد انعكس ذلك على العلاقات الصينية ـ الفيتنامية بعد عام ١٩٧٥م وبشكل سلبي. وموجز ما جرى في ذلك الصدد أن الصين، وفي مشادَّاتها الفلسفية والدعائية وتوتر علاقاتها مع الاتحاد السوفييتي بعد عام ١٩٥٥م حاولت جر فيتنام (هانوي) إلى صفها وأن تُهيمن عليها. غير أن فيتنام المنتصرة صارت بعد عام ١٩٧٥م أكثر من مستقلة في الرأي ومهيمنة هي على إقليمها ولم تكن على استعداد أن تأتَمِرَ من أحد. وأدى ذلك إلى توتر شديد في العلاقات الصينية ـ الفيتنامية نتجت عن حوادث اعتداءات حدودية وإلى حرب قصيرة بينهما في عام ١٩٧٩م.

ومن السبل التي اتخذتها الصين لإزعاج هانوي كان دعمها بعد عام ١٩٧٦م نظام الدكتاتور «بُولْ بُتْ» في كامبوديا المجاورة. وكان بول بُتْ هذا من أقسى القادة في التاريخ الحديث وأكثرهم قتلاً وتعذيباً لشعبه. غير أن بيكنج دعمته ولربما من أجل ذلك اشتدت معارضة هانوي لنظامه. وأخيراً قامت فيتنام واحتلت كامبوديا احتلالاً عسكرياً وطردت بول بُتْ من منصبه ونصبت مكانه عميلاً لها.

عنـدمـا دخلت فرنسـا أراضي لاوس عام ١٨٩٣م لاقت فيهـا إمارتين تحكمهما عائلتان ذات قرابة لبعضهما متنازعتان على السلطة. وقد تمركزت إحداهما في بلدة «لُوانْج بْرَابَانْج» الواقعة شمال عاصمة اليوم «فِيَانْ تْيانْ»، والأخرى عاصمتها بلدة «شَـامْبَـاسَـاكْ» في أقصى شمال البلاد. وقد حافظت فرنسا على تلك الإمارتين وشجعت خلافاتهما ليسهل لها التسلط على تلك الأراضي الجبلية الوعرة وعلى مبدأ المعادلة الاستعمارية «فرق تسد». وبالطبع كانت السلطة الحقيقية فقط في أيدي الحاكم الفرنسي في هَانُويْ. وظل الوضع كذلك حتى عام ١٩٤٠م.

وانضم في عام ١٩٤٠م الكثير من امراء وأفراد الامارة الشمالية شَامْبَاسَاكْ إلى قوات فِيتْ مِنْهْ الفيتنامية الثائرة على فرنسا وعلى اليابان التي استلمت السلطة في الهند ـ الصينية منها. وبسبب ذلك ضم السلطات اليابانية اراضي شَامْبَاسَاكْ إلى امـارة لُوانْـج بْرابـانْ ونادت بأميرها «ملكاً» على كل لاوس. الملك سِيسَافَانْج فُونْـج. وتـأسست في إثـر ذلـك حركـة مقاومة في الشمال سُمّيت «لاوْإسّارا» تزعمها أميرها المعزول فِيت سَارَاتْ يساعده ابن عم له اسمه سُوفَانُو فُونْجْ. وتعاونت هذه الحركـة مع قوات فِيت مِنْـهْ التي دعمتهـا بالمـال والعتاد وبالتدريب العسكري وأصبحت قوة ثائرة لا يستهان بها في الجبال.

ولما اندحرت اليابان في الحرب العالمية الثانية وخرجت من الهند ـ الصينية (وغيرهـا) في أواخـر آب ١٩٤٥م دخلت قوات لَاوْ إِسَّارا العـاصمـة فِيانْ تَيانْ واستلمت الحكم. وبعد أن هرب من هناك الملك فونج التجأ لتايلاند. ولما عادت فرنسا إلى مستعمراتها بعد الحرب وبفضل الدعم البريطاني الأمريكي الذي تحدثنا عنـه سابقـاً أعادت الملك فونج إلى عرشه في لاوْس. ورجعت حركة لاو اسارا لمحاربة النظام الملكي هذا ثانية.

وانقسمت الحركة في عام ١٩٤٨ إلى قسمين، جماعة تزعمها الأمير سُوفَانُو فُنْجْ تريد التعاون وحتى الانضمام التام إلى قوات فِيت مِنْهْ في محاربة الاستعمار

الفرنسي وأخرى أكثر اعتدالاً تزعمها أمير اسمه سُوفَانَا فُومَا آثر بقاء الحركة مستقلة ولربما التداول مع فرنسا من أجل استقلال بلاده. وبعد أن انضم الأمير سوفانُو فُنج وأعوانه لحركة فيت مِنْه سُميت حركته «باثِتْ لَاوْ».

وكما اسلفنا أعلنت فرنسا في عام ١٩٤٧م بلدان الهند ـ الصينية «مستقلة» ضمن فدرالية هنـد ـ صينية مرتبطة ب «الوحدة الفرنسية»[١٧]. وقبل الامير سوفانو فومـا، زعيم القسم المعتـدل من حركـة لاو إسَّارا بذلك وعفى عنه الملك فونْجْ وانحلت حركة لاوْإسَّـارا بذلك. غير أن حركة باثِتْ لَاوْ ظلت تحارب مع القوات الفيتنامية الثائرة، حتى إنتصارها على فرنسا عام ١٩٥٤م. كذلك حاربت مع حركة فيت كُونج حتى أن انتصرتا على الولايات المتحدة عام ١٩٧٥م. حيث إنه وبعد اجتماع جنيف وما تمخض عنه من استقلال لِلَاوْس، ظلت الحكومة الملكية ترفض مشاركة حركة باثِتْ لَاوْ في السلطة خوفاً من قوة شخصية زعيمهـا الأمير سُوفَـانُو فونْج. ومما شجعها على ذلك الرفض كان قلم مخابرات الولايات المتحدة السري. . سي آي إي[١٨]. ففي عـام ١٩٥٩م مثلاً، حرضت ال سي آي إي ملك لاوس على عدم تعيين الأمير المعتدل سوفانا فُوما رئيساً للوزراء بعد أن فاز هذا وجماعته في الانتخابات التي جرت في البلاد بنصف مقاعد البرلمان. ومما سبَّب ذلك كان قلق الولايات المتحدة أن سوفانا فوما، ولما عُرِف عن اعتداله سيدعو باثِتْ لَاوْ التي اتهمتها أمريكا بالشيوعية لتشارك في حكم البلاد. وفي الواقع قطعت أمريكا مساعداتها المالية لِلَاوْس بعد تلك الانتخابات ولم تعد لصرفها إلاّ بعد أن تأكدت أن الملك لن يعين الأمير فومَا رئيساً للوزراء[١٩].

---

(١٧) راجع الفصل السابق.

(١٨) راجع عن ذلك مقالاً مطولاً لـ. . .
Roger M. Smith "Laos in Prespective"
في المجلة الرباعية Asia Survey عدد كانون ثاني ١٩٦٣م.

(١٩) وقد وصلت المسـاعـدات الأمريكية للاوس حينها لأكثر من مئتي مليون دولار أمريكي سنوياً. وبالطبع فهذا مبلغ ضخم لدولة صغيرة وفقيرة مثل لاوس. راجع مقال
Thomas E. Enis "Operation Survival in Laos" in Current History March 5, 1961.

لذا ظلت حركة باثتْ لاوْ وأميرها فوما تحارب النظام الملكي المدعوم من أمريكا وظلت تحارب مع ثوار فِيتْ كونج إلى أن خرجت أمريكا من كل الهند ـ الصينية واستلمت هي الحكم في لاوس عام ١٩٧٥م وألغت النظام الملكي ونادت بلاوْسْ «جمهورية ديموقراطية شعبية».

كامبوديا

ذكرنا في الفصل الرابع عن تايلاند أن اليابان سمحت لها في كانون أول ١٩٤٠م احتلال مناطق كامبودية حدودية كانت تايلاند تطالب بها منذ أن احتلتها فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر. وأسبقنا أيضاً وفي الفصل السادس من هذا البحث أن اليابان احتلت في أيلول ١٩٤٠م مجمل مستعمرات فرنسا في جنوب شرقي آسيا بما فيها لاوس وفيتنام وكامبوديا وباتفاقٍ مُسبق مع دولة «فيشي» الفرنسية. وأبقت اليابان على النظام الملكي في كامبوديا أيام احتلالها البلاد. وفي نيسان ١٩٤١م تنازل ملك كامبوديا «سُورَا ماريتْ» عن عرشه لابنه «نُورُودُومْ سِهَانُوكْ». وبقي الوضع هادئاً في البلاد أثناء الحرب.

وفي آذار ١٩٤٥م أعلنت اليابان من جانب واحد «استقلال» بلدان الهند ـ الصينية بما فيها كامبوديا. وكان ذلك بالطبع بهدف تخدير شعوب المنطقة خوفاً من ثورتها عليها كون اليابان صارت مقبلة على انهزامٍ لا شكَّ فيه أمام الحلفاء. وانهزمت اليابان وكما هو معروف في آب ١٩٤٥م وخرجت من كامبوديا وغيرها هناك. غير أن جيوش فرنسا بدأت تعود إلى الهند ـ الصينية بعد ذلك ودخلت كامبوديا في كانون ثاني ١٩٤٦م. وبدلاً من أن يحارب الملك سِهَانُوكْ فرنسا من أجل استقلال بلاده أخذ يفاوضها في ذلك. ونتجت تلك المفاوضات في ٩ تشرين ثاني ١٩٤٩م عن منح كامبوديا «حكماً ذاتياً» فقط. وظلت الأمور التي تتعلق بالاقتصاد والسياسة الخارجية في أيدي الفرنسيين.

وقامت في كامبوديا بعد ذلك حركة معارضة ضعيفة للملك سِهَانُوك ولطرقه السلمية سمت نفسها «خِمِرْ إسَّارِكْ». غير أن ذلك لم يسفر عن شيء، بل بالعكس قام مجلس الأمة الكامبودي في حزيران ١٩٥٢م وأقر للملك مطلق الصلاحيات لإدارة البلاد كما هو يشاء.

وكانت من نتائج مؤتمر جنيف عام ١٩٥٤م أن منحت كامبوديا استقلالها على شرط أن تصبح محايدة في الحرب الباردة. وعلى أثرها أخذت قوات فِيت مِنْهْ

(الفيتنامية) تنسحب من الأراضي الكامبودية الحدودية.

بعد عام من ذلك (أي في عام ١٩٥٥م) تنحى الملك سِهانوك عن العرش ليرأس حزباً سماه «مجتمع الشعب» ليخوض الانتخابات التي جرت في نفس السنة. فيها ربح حزبه كل مقاعد مجلس الأمة وصار هو رئيس وزراء لكامبوديا وأعاد والده إلى عرشه. وظل الوضع كذلك حتى توفي الملك الوالد عام ١٩٦٠م وتسلم سهانوك العرش ثانية. وبقيت كامبوديا في نظام ملكي إلى أن حدث انقلاب عسكري في آذار ١٩٧٠ وصارت كامبوديا جمهورية ولليوم.

وحاول الملك سهانوك ومن قبله والده الإبقاء على حياد كامبوديا ولكنهما لم يفلحا في ذلك ـ حيث إن قوات فيت كُونْغ التي حاربت حكومات فيتنام الجنوبية المدعومة من الولايات المتحدة ظلت تدخل وتخرج من كامبوديا من عام ١٩٥٤م وحتى أن انتهت الحرب الفيتنامية ـ الأمريكية عام ١٩٧٥م. كذلك ظل قلم المخابرات السري الأمريكي يتدخل في شؤون بلاده وظلت تايلاند أيضاً تتآمر على كامبوديا وعلى حيادها. وفي كانون ثاني عام ١٩٦٤م قامت طائرات فيتنامية جنوبية (أمريكية) وقصفت قرية كامبودية حدودية مما أسفر عن مقتل تسعة عشر شخصاً. بعدها أعلن الملك سهانوك قطع علاقاته الدبلوماسية مع كل من الولايات المتحدة وتايلاند وفيتنام الجنوبية. كذلك أخذ الملك سهانوك يتقرب من الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية ومن حركة فيت كونج التي اعترف لها رسمياً عام ١٩٦٧م وأسس بعدها علاقات دبلوماسية مع فيتنام الشمالية. وكل ذلك وضع الملك سهانوك على قائمة الأشخاص الذين يجب التخلص منهم عند قلم المخابرات السري الأمريكي.. سي آي إي. وهكذا جرى انقلاب عسكري على سهانوك وعلى النظام الملكي في ١٨ آذار ١٩٧٠م وفي أثناء زيارة رسمية له للصين الشعبية. وقام بذلك الانقلاب رئيس وزرائه حينها الجنرال «لُونْ نُولْ» وبالطبع بدعم قوي من سي آي إي. ونادى هذا بكامبوديا «جمهورية خمِرْ». وخمِرْ هو الاسم التاريخي لقبائل كامبوديا الأوائل. وسرعان ما تحسنت العلاقات الكامبودية بالطبع مع الولايات المتحدة ومع فيتنام الجنوبية ومع تايلاند والتي اعترفت كلها بالجنرال لون نول

ونظامه رأساً بعد الانقلاب. كذلك أعطى لون نول الحرية للقوات الفيتنامية الجنوبية وللقوات الأمريكية الدخول لأراضيه لملاحقة ثوار فيت كُونج الذين كانوا يلجأوون إليها من الضغط الأمريكي، وموجز القول هو أن كامبوديا الجديدة صارت في صف الولايات المتحدة بعد ذلك وصارت بذلك مسرح معارك رئيسية في الحرب الأمريكية ـ الفيتنامية. ومكافأة للجنرال لون نول بدأت المساعدات الأمريكية المادية والعسكرية تتضخم، له ولبلاده.

وظل لون نول ينعم بذلك الدعم الأمريكي وتلك المساعدات حتى انهزام أمريكا في فيتنام عام ١٩٧٥م. وفي تلك الأثناء شكل الملك سهانوك حكومة في المنفى مركزها ببِكِنْغ عاصمة الصين الشعبية، وتزعم أيضاً حركة مقاومة للنظام الجديد بدأت تعمل داخل كامبوديا سُميت حركة «خُمِرْ الحُمُرْ». وظلت هذه تحارب لون نُول ونظامه إلى أن أطاحت به عام ١٩٧٥م ونادت بسهانُوك رئيساً للدولة. وبعد عام من ذلك غيرت البلاد اسمها من كامبوديا إلى «كامبوشيا الديموقراطية».

ولم تطل رئاسة سهانوك للدولة إذ جرى انقلاب عليه في عام ١٩٧٦ واستلم السلطة شيوعي متطرف اسمه «بُولْ بُوتْ». وبان فيما بعد أن الصين الشعبية كانت من وراء ذلك الانقلاب إذ دعمت بول بوت ونظامه دعماً تامًّا. وباشر هذا في تأميم كل شيء تقريباً في البلاد وبترحيل عشرات الآلاف من أهالي الريف بالقوة من قراهم وضمهم في مجمعات سكانية كبيرة لتسهيل الرقابة عليهم وعلى تحركاتهم. وكل من رفض ذلك أو قاوَمَ النظام تعذب أو أُعْدِم. وقد استعمل بولْ بوت كل أنواع القسوة في سبيل تحويل كامبوشيا إلى نظام شيوعي صرف وبين يوم وليلة، وصار نظامه من أبشع الأنظمة الدكتاتورية في العصر الحديث، وأفظعها سمعة. والكثير من المصادر المطلعة تذكر أنه وفي خلال الثلاثة أعوام التي حكم بها بول بوت كامبوشيا أهلك هذا أكثر من ثلاثة ملايين كامبودي ومن عدد سكان في البلاد قدِّر عام ١٩٨٢م بستة ملايين نسمة فقط.

وتعددت أيام تسلطه على كامبوديا الخلافات والاعتداءات الحدودية بينه وبين

فيتنام الموحدة (بعد ١٩٧٥م). مما دل على أن للصين الشعبية إصبع في ذلك. حيث إنه وفي تلك الأثناء كانت الصين وفيتنام على طرفي النقيض فلسفياً وغيره وصارت العلاقات بينهما في أشد التَّوتُّر. ونتج عن ذلك كله إرسال فيتنام جيشها واحتل كامبوشيا تماماً عام ١٩٧٩م وهرب بُولْ بُوتْ إلى الأراضي التايلاندية المجاورة. ونصبت هانوي مكان هذا رجل اسمه «هِنْج سَمَارِنْ» رئيساً للبلاد. وظل الجيش الفيتنامي متمركزاً في كامبوشيا يدعم سَمارِن ولأكثر من عشر سنواتٍ بعد ذلك، وظلت الصين الشعبية تهدد وتوعد وتحتج في كل المحافل الدولية على الاحتلال الفيتنامي لكامبوشيا و حتى عام ١٩٨٩م. بعده خرجت جيوش فيتنام من هناك وكما وعدت هيئة الأمم المتحدة ولكن بعد أن تثبت نظام سَمارِن في الحكم.

ونتيجة لتوتر العلاقات بين الصين وفيتنام قامت الأولى وهاجمت الثانية عسكرياً في ١٧ شباط ١٩٧٩م واحتلت بعض أراضيها الحدودية[٢٠]. وظلت بيكنج لليوم تدعم بول بوت وسهانوك في مواقعهم خارج البلاد واللذان اتفقا بعد ذلك على محاربة النظام في كامبوشيا. وهذا هو الوضع لليوم.

---

(٢٠) وللسخرية جاء الاعتداء الصيني على فيتنام أثناء وجود وزير خارجية الهند في بيكنج في زيارة لبحث الخلافات بينهما بعد أن احتلت الصين أيضاً أراضي هندية حدودية عام ١٩٦٢م ورفضت الخروج منها.

الفصل الثامن

مستعمرات مَلاَكا ومَلاَيا

الجغرافيا والسكان

تسمى ملايا اليوم «فدرالية ماليسيا». وتتكون هذه مما يسمى «غرب ماليسيا» وهي شبه الجزيرة التي كانت تسمى قبل أيلول ١٩٦٣م «مَلاَيَا»، و«شرق ماليسيا» المكون من إقليم «صَبَاحْ» في أقصى الشمال الشرقي من جزيرة بُورْنيُو وإقليم «سَرَاوَاكْ» الذي يشمل معظم أراضي بورنيو الشمالية المقابلة لبحر الصين وخليج سيام.

عاصمة البلاد هي «كُوَالا لَمْبُور»، ويبلغ عدد سكانها اليوم حوالي خمسة عشر مليون نسمة.

يحد الجزء الغربي من ماليسيا شمالاً بلاد تايلاند. وتقع إلى الغرب منها وعلى الجانب الآخر من مضيق «مَلاَكا» جزيرة سمطرا الأندونيسية. وقد ظل الأوروبيون يسمون البلاد «مَلاَكا» حتى أوائل القرن العشرين.

تبلغ مساحة ماليسيا حوالي واحد وخمسين ألف ميل مربع بما فيها عدة جزر تابعة لها في مضيق مَلاَكا سماها البريطانيون «مستعمرات مَلاَكا».

تتسلط ماليسيا كون أراضيها الغربية واقعة على مضيق مَلاَكا على واحد من أهم المواقع الاستراتيجية البحرية في العالم، الأمر الذي حدا ببريطانيا إنشاء مرفأ سنجافورا على مدخل المضيق من الجنوب ليصبح أيام الامبراطورية البريطانية من أهم مرافئها الحربية ومن أكثر الموانىء حركة وازدحاماً في العالم كله. وما يزال

كذلك لليوم. ويمر في مضيق مَلَاكا كل سفينة في العالم متوجهة من الشرق وإلى الغرب وبالعكس. ونتج عن ذلك أن تَطَّور الجانب الغربي من شبه الجزيرة الماليسية أكثر من الجانب الآخر.

أراضي ماليسيا جبلية وكلها استوائية. والبلاد مغطاة بالغابات الاستوائية الكثيفة. وتوجد أكبر سهولها إما في الشمال من شبه الجزيرة أو الجنوب الشرقي منها. وأكبرها يوجد إما في ولاية «كِيَده» من الفدرالية أو في ولاية كِلَنْتانْ أو بيَراكْ.

تقع شبه الجزيرة الماليسية شمالي خط الاستواء بقليل فيما بين خط (٢) وخط (٧) شمالاً. فيها تهطل الأمطار الغزيرة تقريباً يومياً، لذا فهي دوماً حارة ورطبة. وتتراوح كمية الأمطار اليومية في معظم الأحيان ما بين ٢٥ مليمتر ومئة مليمتر، وتزيد في بعض الأيام عن ثلاثمائة مليميتر. وقد سجل في ٢٧ كانون أول عام ١٩٢٦م هطول أكثر من ثلاثمائة وخمسة وسبعين مليمتر على بلدة كِيَمَامَانْ في ولاية «تِرِنْجانُو» في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة[1].

وتكثر أصناف الطيور والحيوانات في غابات مَلَايا. ويذكر أنه يوجد أكثر من ستمائة صنف طيور هناك، كذلك يوجد فيها الفيلة والنمور وكل أنواع السحليات والأفاعي السامة وغيرها ومعظم أنواع القردة. وتنتمي أصناف حيواناتها وطيورها لتلك التي توجد في جبال الهِمَلَايا في شمال الهند. ومما يذكر أن بعض عصافيرها وحشراتها لها صلة قرابة بتلك الموجودة في غربي إفريقيا[2].

يبلغ عدد سكان ماليسيا حوالي خمس عشرة مليون نسمة، قرابة نصفهم من أصل ماليسي يتكلمون لغة «بَهَاسا» وهم أهل البلاد الأصليين. وحوالي أربعين بالمئة من السكان هم من أصل صيني وفدوا للبلاد أيام الاستعمار البريطاني. ويوجد أقلية هندية تشكل حوالي عشرة بالمئة من السكان. وكان لتنجيم معدن القصدير ولزراعة المطاط على نطاقٍ واسع من قبل الإنجليز الفضل لقدوم الأقليتين

(١) Sir Richard Winstedt Malaya and its History, 1950

(٢) المرجع السابق.

الهندية والصينية لهناك. وقد شجع المستعمرون هؤلاء لأن للصينيين خاصة خبرة بتنجيم القصدير ولما عُرِفَ عنهم من المثابرة في العمل. وكان الصينيون يستنكفون عن العمل بمزارع المطاط لكراهة رائحته، لذا جاءت الأقلية الهندية لتعمل فيه. وتعاطى الكثير من الهنود، وبعد أن جمع بعضهم بعض المال. بالصرافة وبالربا الفاحش مما صيرهم مكروهين أكثر من الصينيين عند أهل البلاد. وبالطبع يلوم الماليسيون لليوم قدوم الأقليتين على بريطانيا وعلى استعمارها.

ماليسيا هي مهد الحضارة الماليسية التي تعود لما يقارب الألفين سنة قبل الميلاد[3]. وقد جاءت في الأصل القبائل الماليسية من جنوب الصين. ونزحت هذه لجنوب شرقي آسيا ودفعتها بعدها قبائل أخرى حتى أن وصلت إلى شبه جزيرة مَلَايا. ومن هناك انتشرت إلى جزر أندونيسيا التي شملت تحت اسمها القديم.. جزر الهند الشرقية، جزر الفلبين.

وكما ذكرنا في الفصل عن كامبوديا، امتدت دولة «فُونَانْ» الكامبودية لتشمل حوالي القرن الثاني بعد الميلاد الأراضي الماليسية. حينها تمذهب الماليسيون للهندوسية وهو دين «فُونَانْ». وازداد التأثير الهندي عليهم مع تزايد اتصالاتهم التجارية وتزاوجهم مع الهنود في القرنين الرابع والخامس الميلادي.

وانتشر الدين الإسلامي في تلك الأراضي حوالي القرن الحادي عشر الميلادي وبواسطة التجار الفرس والعرب الذي اتجروا معهم بالبهارات. ولما وصلت طلائع البرتغاليين إلى هناك في أوائل القرن السادس عشر الميلادي كان الدين الإسلامي هو دين معظم الماليسيين وكما هو دين الدولة الرسمي اليوم. أما الأقلية الصينية هناك فهم بوذيون والأقلية الهندية هندوسية.

الموارد الطبيعية

وصلت شجرة المطاط إلى ملايا بواسطة الإنجليز في السبعينات من القرن

(٣) J. Kennedy History oF Malaya, 1962.

التاسع عشر الميلادي. كذلك بدأ تنجيم القصدير وعلى نطاق واسع منذ تلك الأيام. ولقد جلب البرتغاليون، ومن بعدهم الهولنديون والإنجليز شجرة المطاط إلى جزر الهند الشرقية قبلاً ومن البرازيل. كذلك جاء الأوروبيون بشجرة القهوة من الجزيرة العربية إلى البرازيل ومن بعدها إلى أراضي جنوب شرقي آسيا.

يعتمد الاقتصاد الماليسي اليوم كثيراً على تصير القصدير والمطاط والبترول وخشب الماهون والساج وكلها مواد ثمينة، مما يصيرها من أغنى دول جنوب شرقي آسيا إن لم تكن أغناها. وتنتج ماليسيا حوالي ثلث قصدير العالم وتصدر معظمه لليابان وللولايات المتحدة. كذلك تصدر أكبر كمية من المطاط الطبيعي في العالم. وما زال هذا يُنتج في مستعمرات الزراعة الكبيرة التي أسسها الإنجليز أيام استعمارهم وساهم كثيراً في ذلك الأمريكيون. وما زال الكثير منها يملك منهم. ويوجد في ماليسيا ثروات طبيعية أخرى كالحديد والسمك وزيت النخيل وجوز الهند والرز وغيره.

تاريخها

يتعلق معظم تاريخ ماليسيا وقبل وصول الأوروبيين إليها في القرن السادس عشر وما بعد في تاريخ دولتين أندونيسيتين بَسَطَتا سلطانهما على أراضيها قبل ذلك، وهما دولة «سْرِفيجَايا» ودولة «مَجَابَاهِيتْ». وكان مركز السلطة لدولة سْرِفيجايا بلدة بَالْمِبانْج الواقعة في الجنوب الشرقي من جزيرة سمطرا. وازدهرت هذه الدولة فيما بين عام ٦٠٠م وإلى ١٠٥٠م. بعدها زالت دولة سْرِفيجايا وسادت عليها وعلى غيرها دولة مَجاباهِيتْ التي برزت في جزيرة جَاوَا الأندونيسية وطالت أيامها حتى حوالي ١٤٠٠ ميلادي. في أيامها انتشر الدين الإسلامي فيها ومنها لمعظم جزر الهند الشرقية. وكانت إمارة «مَلَاكا» في شبه جزيرة ملايا من أوائل من استقل من دولة المجاباهيت. وكان ذلك حوالي عام ١٤٠٠م. ويعد هذا الحدث بداية تاريخ ماليسيا.

ولقد طال استقلال وازدهار مَلَاكَا حتى عام ١٥١١م يوم وصلها أول

البرتغاليين. وكان لملاكا مركز رئيسي في تجارة البهارات قبل البرتغاليين حتى إنه كان يقال عنها مثلما كان يقال عن روما أيام عظمتها الامبراطورية «إن كل الطرق تؤدي إلى مَلَاكا». وقد كانت في أيامها همزة الوصل بين التجار العرب والفرس والصينيين والهنود وسلاطين وتجار جزر الهند الشرقية كلها، وخاصة للاتجار بالبهارات. وهكذا صارت مَلَاكا مركزاً لانتشار الدين الإسلامي لكل جزر الهند بما فيها جزر الفلبين اليوم. ويقول المؤرخ هول(٤)، إن أول أمير لملاكا، والذي استقل بها عن دولة المجاباهيت واسمه بَارَا مِسْوَارا كان من الأهمية لدرجة أن دولتي الصين والهند نشدتا صداقته. ولما مات هذا عام ١٤١٤م وخلفه ابنه اسْكندر شاه في الحكم امتد سلطان مَلَاكا على معظم شواطىء مَلَايا ومرافىء التجارة في سمطرا المقابلة لملاكا. وظل هذا الوضع كذلك حتى جاء البرتغاليون عام ١٥١١م.

ومن الجدير بالذكر أنه ومنذ أيام السلطان اسكندر شاه انتشرت الأسماء العربية وكذلك اللغة العربية في مَلَاكا وأراضيها(٥).

وصول البرتغاليين:

وصل القبطان البرتغالي فاسْكُو داجَامَا الهند عام ١٤٩٨م. وفي عام ١٥١٠ غزا أمير البحر البرتغالي أَلْفُونْس «أبو القرق» إقليم «جُوَا» في أواسط الشواطىء الغربية من الهند واحتلّها وجعل منها بعد ذلك مركزاً لغزواته في الشرق الأقصى. وبعد عام من ذلك، أي في ١٥١١م وصل أبو القرق مدينة مَلَاكا مع جيش كبير وحاصرها وأخيراً دخلها وسلب ودَمَّر ما فيها، وهرب سلطانُها السلطان محمود إلى داخل البلاد(٦). ويذكر المؤرخ الإنجليزي وِنْسْتِدْ إنه بعد أن دخل أبو القرق مَلَاكا «أهلك أهاليها المسلمة عن جنب وطرف وحتى قبورها نبشها ونهب ما فيها»(٧).

---

(٤) هُولْ نفس المرجع.

(٥) هول.

(٦) راجع كيدي، نفس المرجع.

(٧) وِنْسْتِدْ نفس المرجع.

ويجدر التذكير هنا أن البرتغاليين . . ومن بعدهم الإسبان جاءوا في الأصل بهدف محاربة العرب والإسلام أينما وجدوا واغتصاب تجارة البهارات منهم وبروح صليبية تأصلت عندهم منذ أيام الحروب الصليبية عامة وأيام محاربتهم هم والإسبان العرب في شبه جزيرة إيبيريا للتخلص من السيادة العربية هناك . وبتلك النزعة صاروا ينظرون لكل مسلم وكأنه عربي وكل عربي كمسلم ، وكلاهما وجب محاربته وهلاكه .

وكان لدمار مَلاَكا على يد البرتغاليين وبتلك الوحشية رد فعل قوي وسلبي في المنطقة كلف البرتغاليين الكثير طوال القرن الذي فيه سيطروا أو حاولوا أن يسيطروا على جزر الهند الشرقية . حيث أثار ذلك روح مقاومة وجهاد عند الأهالي تزعمها سلاطين سمطرا وجزيرة «مَكَسَّرْ» المسلمتين طوال ذلك القرن ومن بعده[8] .

ولقد أضاعت مَلاَكا أهميتها الاقتصادية بعد دخول البرتغاليين فيها . ففي أول خمسة عشر عاماً من استعمارها ظل السلطان محمود يحاربهم من الداخل إلى أن طوعوه عام ١٥٢٦م . بعد ذلك اتبع البرتغاليون سياسة احتكار تجارة البهارات مما أبعد عنها من كان يوردها لمَلاَكا من التجار المحليين وأخذ أهالي الجزر في إهمال أشجارها ورفض بيع ما تنتجها للبرتغاليين . وقد ساهم في انحطاط تلك التجارة كثرة الرشوة والفساد الذي تفشَّى عند المسؤولين البرتغاليين . وقد شهد في ذلك الأب البرتغالي فرنسيس «كزيفير» (Xavier) الذي اشتهر كداعية للدين المسيحي (الكاثوليكي) في الشرق الأقصى . ففي رسالة أرسلها هذا حينها للبلاط الملكي في لشبونة قال :-

«إن ممثلي عرشكم في مَلاَكا وصلوا إلى درجة سفلى من الجشع والفساد والانحطاط الأخلاقي وقبول الرشوة ، وإن المدينة (ملاكا) أصبحت بؤرة للأعمال المنافية للدين ومنحطة تماماً»[9] .

(٨) من بعده ضد الاستعمار الهولندي . والجزيرتان هما في دولة أندونيسيا اليوم .

(٩) كيدي . وقد عاش الأب كْزِيْفيرْ في ملاكا من عام ١٥٤٠م إلى عام ١٥٤٦م ، وبعد رحل منها واتجه لليابان استياءً لما كان يجري فيها .

وبعد أن أنهى البرتغاليون محاربة السلطان محمود دخلوا في عدة حروب مع سلاطين آشِنْ في سمطرا وسلاطين مَكَسَّرْ ، وطوال القرن السادس عشر والذي برزت دولتهم فيه . ويسمى ذلك القرن في تاريخ أوروبا «القرن البرتغالي» . وقد كانت آشِنْ في معظم تلك الحروب هي المبادرة بالهجوم وفي حملات بحرية لتحرير مَلاَكا المسلمة وطرد البرتغاليين منها أهمها حرب عام ١٥٣٧م وأخرى عام ١٥٤٨م وثالثة عام ١٥٦٨م ورابعة عام ١٥٧٤م . وجاءت الأخيرة قبيل زوال دولة البرتغال نفسها كدولة مستقلة . ففي عام ١٥٨٠م صارت بلاد البرتغال جزءاً من امبراطورية إسبانيا ، حيث ورث عرشها الملك الإسباني فيليب الثاني إذ ذاك . بعدها أصبح ممثلوهم وتجارهم في جزر الهند الشرقية بدون سند حكومي مما أرغمهم على عقد صلح مع سلطنة آشِنْ في عام ١٥٨٧م ومنها يمكن القول إن النشاط البرتغالي ، تجارة واستعماراً زال من الصورة في الشرق الأقصى .

وقد اهتمت إسبانيا حينها باكتشافاتها وباستعمارها القارتين الأمريكيتين وبنهب وسلب حضاراتها وأهملت الشرق الأقصى وما فيه . ومما زاد من تراجع أهمية مَلاَكا وانحطاطها كان قدوم الهولنديين إلى تلك النواحي في أوائل القرن السابع عشر . إذ أخذ هؤلاء يغيرون من مواقعهم خاصة في جزيرة جاوا على ما تبقى من نشاط برتغالي - إسباني في الاتجار بالبهارات وتحويل تلك التجارة إلى مرافئهم في جاوا . لذلك لم يكترث الهولنديون حتى في طرد بقايا البرتغاليين من مدينة مَلاَكا أو باحتلالها حتى عام ١٦٤١م . حينها أرسلت شركة الهند الشرقية الهولندية حملة عسكرية ترأسها أمير بحرهم إِدْرِيَانْ «أَنْتُونِزْ» لأخذ ملاكا .

وكان لمناعة حصنها الذي بناه البرتغاليون بعد عام ١٥١١م وسموه «الشهير»[10] الفضل الأكبر لصعوبة دخولها . فقد طال حصارها لأكثر من خمسة أشهر وقتل من الطرفين أكثر من ألف مقاتل . كذلك ولولا تعاون قوات سلطان آشِنْ من سمطرا وقوات سلطان «جُهورْ» في أقصى شبه جزيرة ملايا مع الهولنديين لكان

(١٠) سموه "A Famosa".

دخولها أصعب على الهولنديين. وقد كانت تلك السلطنتين من ألدِّ أعداء البرتغاليين في تلك المناطق.

وتراجعت أهمية ملاكا أكثر بعد أن احتلها الهولنديون، إذ جعل هؤلاء من عاصمتهم «بَاتِيفْيَا» في غربي جزيرة جاوا مركزاً لنشاطهم التجاري والاستعماري. وقد كان هناك في شبه جزيرة ملايا عدة سلطنات غير سلطنة مَلَاكا أيام وصول البرتغاليين إلى تلك النواحي. وقد بقيت تلك على ما كانت عليه من التخلف بعد ذلك إذ لم تكترث لا دولة البرتغال ولا الشركة الهولندية من بعد في الاتصال بهم أو في إزعاجهم. وقد اهتم بعض الهولنديين بالاتجار بالقصدير الذي كان يستخرج بدائيّاً في سلطنتي «بيَراكْ» و«كيده» في شمالي شبه جزيرة ملايا. دون ذلك كادت تكون كل مَلَايا خارج مدينة مَلَاكا وضواحيها وخارج بعض الجزر الواقعة في مضيق مَلَاكا غير موجودة بالنسبة للأوروبيين حتى أن بدأ الاهتمام الإنجليزي بها في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي.

قدوم الإنجليز

ذكرنا في الفصل الثاني أنه ما إن جاء عام ١٦٢٨م حتى طرد الهولنديون أصحاب شركة الهند الشرقية المتحدة، طردوا الإنجليز والبرتغاليين من جزر المُلوكا، جزر البهارات وتسلطوا هم على بهاراتها. بعد ذلك ارتدت الشركة الإنجليزية إلى الأراضي الهندية للتجارة فيها ومن بعد استعمارها.

وظل الوضع كذلك حتى انتهاء الحرب المسماة «حرب السبع سنوات ١٧٥٦ ـ ١٧٦٣م» بين فرنسا وبريطانيا[١١]. فيها انتصرت بريطانيا وأخرجت الفرنسيين من أمريكا الشمالية (من كَنَدا) ومن الهند وحسب معاهدة باريس عام ١٧٦٣م. وكان من محصلات تلك الحرب أن أصبحت بريطانيا بعدها ولا شك سيدة البحار مما مَكَّنها من وصول قمة العظمة في أوروبا وغيرها. كذلك ساهم في بروز بريطانيا سَنُّ

(١١) وتسمى أيضاً «الحرب الفرنسية ـ الهندية».

البرلمان الإنجليزي عدة قوانين دعمت التجارة الخارجية وشركاتها ودعمت السياسات الامبريالية.

وفي تلك الأثناء كانت الشركة الهولندية المتسلطة على جزر الهند الشرقية تكاد تكون مفلسة مما ساعد الشركة البريطانية في الهند على توسيع رقعة نفوذها في جنوب آسيا، وخاصة في ملايا.

ومن نتائج بروز بريطانيا كدولة عظمى كان تكاثر أعدائها. حيث إنه لما قامت الثورة على بريطانيا في مستعمراتها بأمريكا الشمالية فيما بين عام ١٧٧٦ وعام ١٧٨٣م سارعت فرنسا في دعم تلك الثورة وأعلنت الحرب على بريطانيا عام ١٧٧٨م. وتبعتها إسبانيا وأعلنت الحرب عليهاعام ١٧٧٩م وتبعتهما هولندا وأعلنته عام ١٧٨٠م.

وكما هو معروف نجح الأمريكيون في أخذ استقلالهم من بريطانيا إثر تلك الثورة. غير أن شوكة هولندا البحرية خاصة انكسرت بعدها وبعد أن هُزمت في عدة معارك بحرية مع الإنجليز أهمها معركة «دُوجَرْ بَانْكْ» (Dogger Bank) عام ١٧٨١م حطم فيها الأسطول البريطاني معظم الأسطول الهولندي. منها صار الأسطول البريطاني يصول ويجول في عرض البحار ومن ورائها. كذلك وفي أثناء الثورة الأمريكية احتل البريطانيون عدة مواقع هولندية وإسبانية في جنوب شرقي آسيا بما فيها مانيلا بالفلبين، غير أن بريطانيا أعادت معظم هذه للدولتين وحسب معاهدة فرساي عام ١٧٨٣م التي ختمت حربها مع الأمريكيين وبشرط مهم وهو اعتراف الدولتين (هولندا وإسبانيا) أن للسفن البريطانية حرية التجارة في كل جنوب شرقي آسيا. ويعلق هاريسون على ذلك بقوله:ـ

«بذلك زال أخيراً احتكار الهولنديين التجارة في مياه جنوب شرقي آسيا»[١٢]. وعادت بريطانيا وبواسطة شركتها المستعمرة في الهند اهتمامها في منطقة جنوب

(١٢) نفس المرجع.

شرقي آسيا حتى قبيل الثورة الأمريكية. ففي عام ١٧٧١م راح أحد القباطنة الإنجليز واسمه فرنسيس «لايْت» (Light) من الهند إلى سلطنة «كِيدَه» في الشمال في شبه جزيرة ماليسيا اليوم وعقد مع سلطانها معاهدة «استئجار» لجزيرة «بينانْج» التابعة له والواقعة قرب شواطىء كيده الغربية في مضيق مَلاَكا. واستأجر لايْت هذه لصالح شركة الهند الشرقية (الإنجليزية) في مَدْراسْ. ولما كان إنجاز ذلك بدون تفويض له من الشركة رفضت الشركة ما اتُّفِقَ عليه وأُهمل الأمر. غير أن ذلك الاتجاه الإنجليزي السلبي تغير بعد انتهاء الثورة الأمريكية. ففي عام ١٧٨٤م أرسلت الشركة رسميا هذه المرة القبطان «لايْت» نفسه إلى سلطان كِيدَه لتجديد ما اتفق عليه عام ١٧٧١م. وأخيراً انجز لايْت ما أُرسل له عام ١٧٨٦م وصارت جزيرة بينانْج بعد ذلك «إنجليزية»[١٣].

وقد كانت سلطنة كيده في تلك الأيام تعترف بسيادة ملوك تايلاند عليها. لذلك لما علمت بانكوك بما جرى بين سلطان كيده ومندوب الشركة الإنجليزية لايْت احتجت احتجاجاً شديداً للشركة وأنذرت السلطان للتراجع عن اتفاقه. ولما رفض الأخير ومن بعده ابنه في السلطة السلطان أحمد تاج الدين[١٤] ما طالبت به تايلاند أرسلت الأخيرة حملة عسكرية لهناك واحتلت كيده. وظلت كيده بعد ذلك تابعة لتايلاند حتى عام ١٩٠٩م حين ضمتها بريطانيا لفدرالية مَلاَيا. غير أن جزيرة بينانْج بقيت إنجليزية. ومن هناك أخذت بريطانيا وبواسطة شركتها في الهند، تبسط نفوذها التجاري على كل جزر الهند الشرقية. ففي عام ١٧٩٥م ،و أثناء الحروب النابليونية استلمت الشركة الإنجليزية جزر المُلُوكا من ملك هولندا اللاجىء حينها إلى لندن[١٥]. وفي عام ١٨١٠م احتلت الشركة الإنجليزية جاوا الهولندية عسكرياً.

ولنعرض هنا موجزاً لما جرى في فرنسا وفي أوروبا إجمالاً بعد الثورة الأمريكية

(١٣) فقد كان «الاستئجار» طريقة أخرى للاستعمار عند الإنجليز.

(١٤) كذلك اشتبهت تايلاند فيه بالتعامل سرّاً مع ملك برما وضد مصالحها مما حفز تايلاند لاحتلال سلطنته وطرده من الحكم. راجع كندي المرجع نفسه.

(١٥) وكما سنشرح فيما بعد عندما نعرض تاريخ أندونيسيا.

مما له بالطبع تأثير على مجريات الأمور في جنوب شرقي آسيا وغيرها من العالم المستعمر.

قامت ثورة المستعمرات الأمريكية الإنجليزية على إنجلترا عام ١٧٧٥م وانتهت باستقلالها عام ١٧٨٣م. وكانت هذه فاتحة حركة الاستقلال من الاستعمار الأوروبي الحديث. وكان من نتائجها إضعاف الامبراطورية البريطانية ولو لأَمَدٍ قصير. ولكونها ثورة «جمهورية» شكلت خطراً على عروش أوروبا وللنظام الملكي السائد أيامها هناك. ففي أقل من عشرة سنواتٍ من نجاحها أصابت العدوى «الجمهورية» دولة فرنسا التي تقع في قلب القارة الأوروبية «الملكية». وبدأت هذه عام ١٧٨٩م ضد ملوك البُورْبُونْ. وعلى أثرها تحالفت في خاتم الأمر كل ملوك أوروبا ضدها وحاربتها وللإجهاز على الفكرة الجمهورية[١٦].

وقد أعلنت بريطانيا الحرب على فرنسا في ١ شباط ١٧٩٣م. بعدها قامت فرنسا رأساً واجتاحت هولندا الملكية وأكملت احتلالها عام ١٧٩٥م وبذلك تسلطت على الأسطول البحري الهولندي الكبير. غير أن بريطانيا ظلت مسيطرة على البحار طيلة الأعوام التي فيها سيطرت فرنسا، وبقيادة نابليون على كل القارة الأوروبية تقريباً.

ونتج عن السيطرة البريطانية على البحار أن أصبحت الامبراطورية الهولندية (والفرنسية والإسبانية) من وراء البحار تحت رحمة الإنجليز. وهكذا استولى هؤلاء على مستعمرة هولندا الواقعة على رأس الرجاء الصالح في إفريقيا ومستعمرة سيلان الهولندية (سري لانكا اليوم) وعلى جزر الهند الغربية الواقعة في بحر الكريب ومواقع عدة في جزر الهند الشرقية وكما سنعرض لاحقاً. وقد صارت كل هذه بريطانية بأمرٍ من الملك الهولندي وليم الخامس الذي كان يعيش في المنفى في

(١٦) تحالف ضد الثورة الفرنسية وقائدها نابليون كل ملوك بريطانيا وروسيا والنمسا وإسبانيا وبْروسيا والسويد وهولندا ومجموعة ملوك دويلات ألمانيا عدى بْروسيا وتبعهم في ذلك أخيراً سلطان الدولة العثمانية. وقد كانت جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية الجديدة الحليفة الوحيدة لفرنسا الجمهورية ولنابليون وبإعلانها الحرب على بريطانيا عام ١٨١٢م.

لندن أيام احتلال نابليون لبلاده. فمن هناك أرسل الملك وليم تعليماته لمندوبيه في حكم المستعمرات الهولندية يأمرهم التعاون مع الإنجليز وعدم مقاومتهم وبالترحيب بجيوشهم وسفنهم ومعاملتهم معاملة دولة حليفة وصديقة(١٧).

وعلى هذا الأساس وصلت عام ١٧٩٥م حملة إنجليزية مرسلة من قبل شركتهم الحاكمة في الهند مدينة مَلاَكا الهولندية ورُحِّبَ بها. وظلت الشركة الإنجليزية تدير شئون مَلاَكا حتى انتهاء الحروب النابليونية عام ١٨١٥م. وفي تلك الأثناء حول الإنجليز معظم ما تبقى من تجارة مَلاَكا إلى جزيرة بينانج التابعة لهم وهجروا المدينة تقريباً بعد أن دَمَّروا حصنها الشهير والمسمى «الشهير»، والذي بناه البرتغاليون من قبل. وقد أخذت أعمال التدمير عامين كاملين. وقد دَمَّره الإنجليز بنفس الدافع والقصد الذي دَمَّر فيه الجنرال الروماني «سْكِيبيُو» في العصور القديمة مدينة قرطاجنَّة(١٨). «وحتى لا تنافس مَلاَكا بعد ذلك بينانْج وللأبد». بعدها صارت بينانج مركز السلطة الإنجليزية في مضيق مَلاَكا وأرسلت الشركة الإنجليزية من الهند أحد موظفيها النشيطين واسمه طوماس سْتَامْفُورد «رَافِلْز» ليصبح أول حاكم لها. وكان رافِلْز في العشرينات فقط من عمره إذ ذاك. ومع ذلك كان قد بَرَّزَ في خدمة الشركة بالهند. وأصبحت بينانج أيام إدارته لها من أهم مرافىء بريطانيا الحربية والتجارية في كل الشرق الأقصى(١٩).

وبعد سنوات من وجود رافِلْز في بينانج اكتشف في جزيرة سنجافورا موقعاً استراتيجياً أحسن منها كونها تتسلط على مدخل مضيق مَلاَكا من الجنوب وأقرب من بينانج لجزيرة جاوا وجزر البهارات.. جزر الملوكا. ومن سنجافورا ومن بينانج ترأس رافِلْز

---

(١٧) وتسمى هذه التعليمات «رسائل كْيُو» وهي المنطقة في لندن التي كان يعيش الملك وليم الخامس فيها.

(١٨) دمر سْكِيبْيو قرطاجنة حتى لن تنافس روما بعد ذلك أبداً.

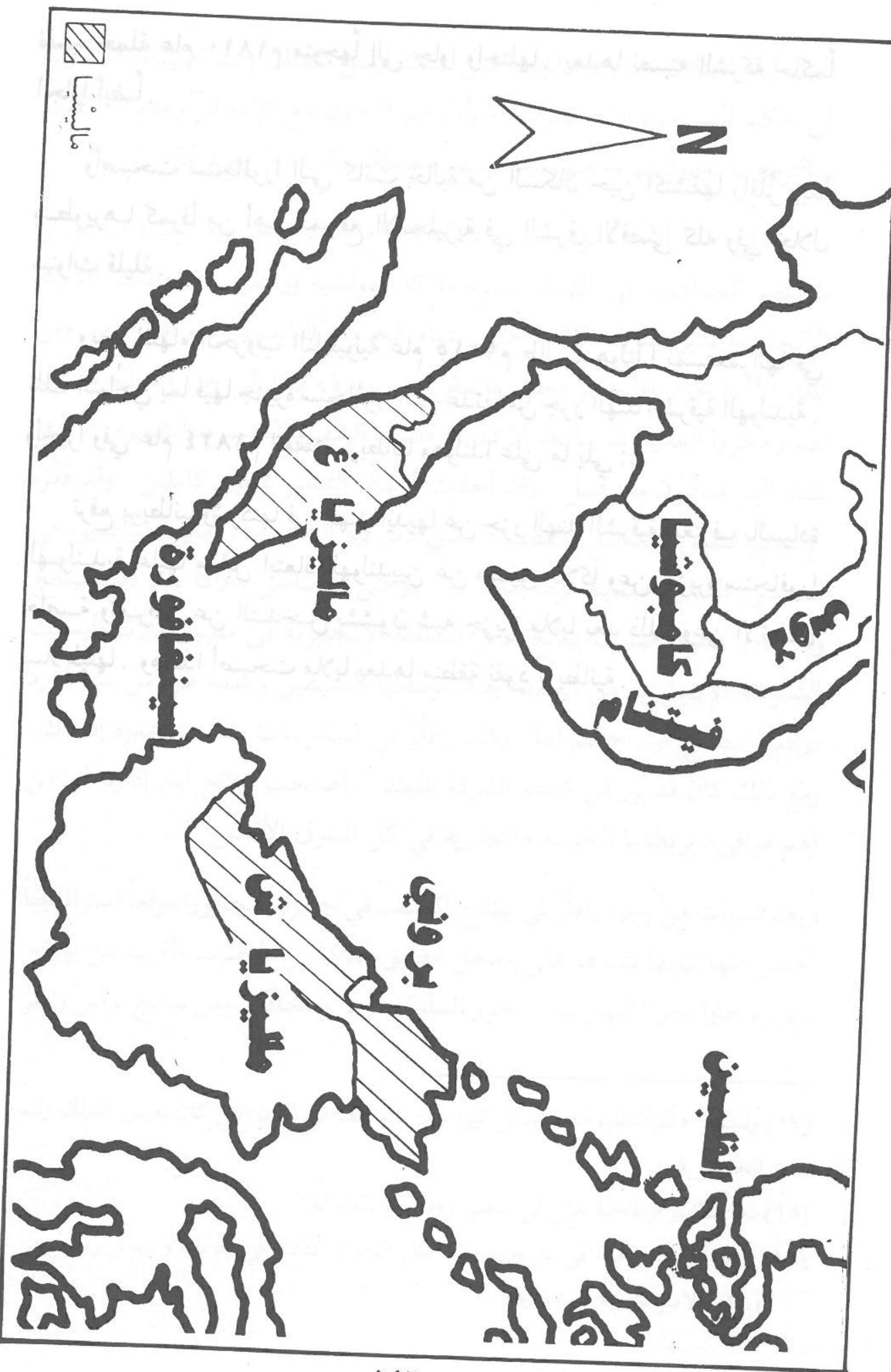
(١٩) ويعد الإنجليز هذا في تاريخهم مثله مثل الجنرال كِتْشِنْرَ في إفريقيا وسِيسِلْ رُودْس من «بنائي الامبراطورية البريطانية».

نفسه حملة عام ١٨١٠م متوجهاً إلى جاوا واحتلها. بعدها نصبته الشركة حاكماً لجاوا أيضاً.

وأصبحت سنجافورا التي كانت خالية من السكان حين اكتشفها رافِلْز وبدأ بتطويرها كمرفأ من أهم المواقع الإنجليزية في الشرق الأقصى كله وفي خلال سنوات قليلة.

وبعد انتهاء الحروب النابليونية عام ١٨١٥م طالبت هولندا بمستعمراتها في تلك النواحي بما فيها جزيرة سنجافورا التي عدتها من جزر الهند الشرقية الهولندية. وأخيراً وفي عام ١٨٢٤م اتفقت بريطانيا وهولندا على ما يلي:-

ترفع بريطانيا وشركتها في الهند أيديها عن جزر الهند الشرقية وتعترف بالسيادة الهولندية عليها مقابل ابتعاد الهولنديين عن مضيق مَلاَكا وعن جزيرة سنجافورا خاصة وتعرض عن التدخل بشئون شبه جزيرة ملايا بعد ذلك وعن الاتصال بسلاطينها. وهكذا أصبحت ملايا بعدها منطقة نفوذ بريطانية.



الفصل التاسع

التدخل الإنجليزي في ملايا واستعمارها

ظل الإنجليز من عام ١٨٢٤م ولبعد خمسين سنة من ذلك مقتنعين بتطوير تجارتهم ومرافئهم في مضيق مَلَاكا وفي الجزر الواقعة فيه التي سموها «مستعمرات مَلَاكا». وشملت هذه جزيرة بينانج وجزير سنجافورا ومرفأ مَلَاكا وعدة جزر صغيرة في المضيق. أما داخل البلاد فقد أهمله الإنجليز ولعدة عوامل :-

أولاً: لقد اهتم الإنجليز في ذلك الحين باستعمار برما مما أدى إلى الحربين الأنجلو - برميتين، الأولى عام ١٨٢٤م والثانية عام ١٨٥٢م.. وكما عرضنا في الفصل الثالث.

ثانياً: كون طبيعة الأراضي الداخلية في شبه جزيرة ملايا غير مشجعٍ مناخياً، وكان من الصعب التغلغل فيها لكثافة الغابات الاستوائية هناك وكثرة الحيوانات المفترسة الضارية والأفاعي والحشرات السامة فيها.

ثالثاً: كون تلك الأراضي غير مشجعة لوجود سلاطين وقبائل محاربة ومتحاربة فيها، الكثير منها ما زال في طور بدائي من الحضارة.

وقد باشرت الدولة البريطانية خاصة بعد عام ١٨٧٣م.. وكان ذلك بعد سنواتٍ من استلامها زمام الحكم في الهند وغيرها من أيدي الشركة الإنجليزية[١].. باشرت بجدٍ في التدخل بشئون ملايا وأخيراً استعمارها كلها.

---

(١) صارت الدولة تحكم الهند بدل الشركة وبعد قيام الثورة المسماة ثورة «سِيبوي» عامي ١٨٥٧ و١٨٥٨م، على الشركة.

وجاء ذلك للأسباب التالية :-

أولاً :- في عام ١٨٦٩م افتتحت قنال السويس وبذلك تضاعفت الملاحة العالمية والتجارة مع بلدان الشرق الأقصى وتضاعف اهتمام بريطانيا بكل ما يقع على طريق تلك الملاحة والتجارة .

ثانياً :- في عام ١٨٧١م توحدت ألمانيا وبدأت بمنافسة دول الاستعمار بما فيها بريطانيا في حقل التجارة والاستعمار أيضاً .

ثالثاً :- نشطت هولندا في إكمال استعمارها كل جزر الهند التي تسمى اليوم أندونيسيا مما أثار اهتمام بريطانيا باستعمار ملايا قبل أن تنافسها في ذلك إما ألمانيا أو هولندا .

رابعاً :- تجدد النشاط الاستعماري الفرنسي في تلك النواحي خاصة بعد أن جاء نابليون الثالث لحكم فرنسا عام ١٨٥٢م . وقد باشرت فرنسا «بحماية» كامبوديا مثلاً عام ١٨٦٣ وكما أسلفنا .

خامساً :- ازدياد الطلب العالمي على معدن القصدير المستخرج من مناجم مَلَايا .

سادساً :- إلحاح التجار الإنجليز (والصينيين) في سنجافورا وفي بينانج على الدوائر الرسمية في لندن لكي تتدخل لوقف ما سموه «القرصنة» في مضيق ملاكا من قبل الأهالي والسلاطين في شبه جزيرة ملايا وفي جزيرة سُمَطْرا .

ونتيجة لكل ذلك أرسلت بريطانيا عام ١٨٧٣م حاكماً جديداً لسنجافورا اسمه سِير أنْدرو كْلَارك (Clarke) مزوداً بالتعليمات «للتدخل» في مَلَايا . وكان أول عمل له استجابة لذلك دعم أحد زعماء سلطنة بيرَاكْ في شبه الجزيرة اسمه عبدالله للتوصل للحكم وطرد قريب له من السلطنة . وجرى ذلك رأساً بعد وصول كْلَارْكْ لهناك، أي في عام ١٨٧٣م . مقابل ذلك الدعم وقع السلطان عبدالله معاهدة «صداقة» مع بريطانيا في كانون ثاني ١٨٧٤م . وبالطبع كان المفهوم البريطاني

(١) عدد تلك الأسباب الباحث Rupert Emerson A Study in Direct and Indirect Rule, 1937.

«للصداقة» في تلك الأيام وخاصة مع زعماء العالم خارج أوروبا هو «الحماية» التي عنت الاستعمار .

بعد ذلك أرسل كلارك لسلطنة بيرَاكْ مندوباً عنه ضابطاً صغيراً اسمه جيمز «بيرْتْش» (Birch) يقول فيه المؤرخ ونْسْتِدْ[٢] :-

«لقد وصل هذا إلى بلاط بيراك وتصرف كأنه معلم أولاد من العصر الفكتوري، شديد الصرامة متأكد من فرض إرادته على الطلبة ومن تسيير كل ما يجري بالحزم» .

وراح بيرْتْش يتصرف رأساً وكأنه حاكم للبلاد، يفرض الضرائب ويأمر لمحو العبودية ويمسح حدود السلطنة وغير ذلك . ولم يطل الأمر حتى قام أحد الأهالي وقتله . وجرى ذلك في تشرين ثاني عام ١٨٧٤م، أي بعد أشهر فقط من وصوله لهناك .

بعدها أرسل كْلارك مندوباً آخر اسمه هْيُو لُو (Low) ومعه ألف جندي «لتأديب الجناة» . وكان ممَّن اشتبه به الإنجليز السلطان عبدالله نفسه وبعض زعماء السلطنة . وأخيراً أعدم لُو ثلاثة منهم ونفى السلطان عبدالله إلى جزر سِيشِلْ في المحيط الهندي . ونتج بالطبع عن إنجاز كل ذلك أن أدخل الإنجليز الرعب في قلوب كل سلاطين ملايا بعد ذلك . منها راح سلطان تلو الآخر يقبل «الحماية» البريطانية من سنجافورا . وما أن جاء عام ١٨٩٥ حتى شَملت تلك الحماية سلطنات بيرَاكْ وسَلِنْجورْ ونَجْري وسَلْمْبانْ وبِيهانْجْ، التي ضمتها جميعاً بريطانيا بما سمته «فدرالية مَلَايا» .

ويعود الفضل في تأسيس تلك الفدرالية للمندوب البريطاني في بيراك حينها فْرانْك سْوِتْنْهامْ (Swettenham) الذي «أقْنع» تلك السلاطين أنهم لن يفقدوا أياً من سلطاتهم . «وعلى هذا الأساس الزائف» حسب تعبير المؤرخ هُولْ «وقع السلاطين اتفاقية الفدرالية» التي صارت سارية المفعول في ١ تموز ١٨٩٦م . وصارت

(٢) نفس المرجع .

«كُوالاَلَمْبُور» عاصمة سلطنة سَلَنْجور عاصمة للفدرالية وصار سُوتنْهامْ المندوب السامي لكل الفدرالية بعد ذلك وصاحب السلطة الأكيدة هناك.

وفي عام ١٩٠٩م أسست بريطانيا مجلساً فدرالياً أعلى من ثمانية أعضاء ضم سلاطين ملايا الأربعة والوكلاء السياسيين الإنجليز الأربعة (Residents) المبعوثين لديهم. ومن صلاحيات المجلس هذا والمعلن عنها أن يدير شئون الفدرالية كلها. أما الواقع فقد اقتصرت صلاحيات السلاطين بعد ذلك على شئون الوقف والمحاكم الشرعية وليس إلاّ.

القصدير والمطاط

صار التطور الاقتصادي في شبه جزيرة ملايا أهم بكثير من التطور السياسي في الفدرالية. فقد كان معظم اقتصاد البلاد قبل عام ١٨٩٦م مقتصراً على تنجيم بدائي للقصدير معظمه في يد الصينيين. بعد ذلك دخل الرأسمال والاستثمار الإنجليزي في مناجم القصدير بشكل واسع وبتقنيات وآلات متطورة. ونتج عن ذلك وفود أعداد كبيرة من العمال الصينيين للعمل في المناجم الانجليزية ومن بعد استوطنوا البلاد.

وقد كان القصدير يستخرج في ملايا منذ القدم[٣]. وفي القرون الوسطى كان التجار الهنود والعرب يصلون إلى هناك ويتجرون به. وبدأ الصينيون يصلون إلى ملايا لنفس الغرض منذ القرن العاشر الميلادي. ولما جاء البرتغاليون لهناك في أوائل القرن السادس عشر فرضوا الجزية على كل من نَجَّم أو تاجر بالقصدير. ومن بعدهم باشر الهولنديون بالاتجار به وبتصديره إلى أوروبا. ومن ثم صار التجار الإنجليز ومن مركزهم في جزيرة بينانج ومن بعدها سنجافورا يتجرون به ويشجعون سلاطين ملايا المجاورة لمواقعهم على تنجيمه وبيعه لهم.

ولما دخلت بريطانيا أراضي شبه جزيرة ملايا بعد عام ١٨٧٤م تضاعفت

(٣) يقول ونستد إن القصدير استُخرِج من هناك عدة قرون قبل المسيح، نفس المرجع.

كميات القصدير المنتجة. وقد كان الصينيون ما زالوا العامل الأكبر في استخراجه. وبعد عام ١٨٩٥م، أي بعد تأسيس «فدرالية ملايا» تحت الاستعمار البريطاني تضاعفت أكثر كميات القصدير المنتجة هناك وفي خلال عشرة أعوام فقط بعد إعلان الفدرالية. ففي عام ١٨٨٩م، وعلى سبيل المثال، كانت كمية الانتاج «الصيني» من القصدير هناك حوالي ستة وعشرين ألف طن. وبعد دخول الرأسمال الإنجليزي أنتجت الفدرالية عام ١٩٠٤م خمسين ألف طن منه. وقد مثلت تلك الكمية حينها أكثر من نصف إنتاج العالم كله.

وقد أصبحت فدرالية ملايا منذ أوائل القرن العشرين من أغنى بلدان تلك المنطقة، ويعود الفضل في ذلك لمعدن القصدير. وقد زاد اقتصاد البلاد ازدهاراً بعد إدخال شجرة المطاط إلى شبه الجزيرة.

وجد البرتغاليون شجرة المطاط أصلاً في مستعمرتهم العظيمة الحجم في أمريكا الجنوبية، بلاد البرازيل. وقد جاء بها الإنجليز لجزيرة سنجافورا ومن بعد لملايا في عام ١٨٧٧م. وسرعان ما انتشرت مزارع المطاط العظيمة الحجم مع انتشار وامتداد السلطة البريطانية على شبه الجزيرة. وقد تضاعف إنتاج المطاط واستعماله في كل العالم بعد اختراع السيارات وانتشار استعمالها حتى قبل الحرب العالمية الأولى. وما أن جاء عام ١٩٢٠م مثلاً حتى صدّرت ملايا أكثر من مئتي ألف طن من المطاط.. أي أكثر من نصف إنتاج العالم كله[٤]. ومنذ ذلك الحين أصبح المطاط ركيزة الاقتصاد في ملايا أكثر من القصدير وكما هو لليوم. ومعظم ما ينتج منه ينتج في مستعمرات المطاط الكبيرة التي أنشأها الأوروبيون وما زالوا يملكون الكثير منها.

ولم يرق على الإجمال العمل في مزارع المطاط للعمالة الصينية ولكراهة رائحته. لذا شجع الإنجليز وفود العمالة الهندية. وهكذا تواجدت الأقلية الهندية أيضاً في مَلَايا. وكلتا الأقليتين، الهندية والصينية من قبلها صارتا هدف النفور

(٤) راجع كل تلك الإحصائيات في كتاب كَنَدي، المرجع نفسه.

وحتى الكره من قبل الأكثرية الماليسية أهل البلاد.

ولايات ملايا خارج الفدرالية

رفضت عدة سلاطين في ملايا توقيع اتفاقية الفدرالية حين تأسست عام ١٨٩٥م وظلت أراضيهم خارج تلك ولكن تحت الرعاية والسلطة البريطانية. والسلطنات هذه هي :- بِرْلِسْ وكَلَنْتَان وكِيدَه وتِرْنْجَانُو وسلطنة جُهُورْ. والأربعة الأولى منها كانت تعترف بالسلطة التايلندية عليها حتى عام ١٩٠٩م حينما سَلَخَتها بريطانيا من تايلاند. وظل سلطان جُهُورْ مستقلاً حتى عام ١٩١٤م.

وكما أسلفنا في عرض تاريخ تايلاند اتفق الإنجليز والفرنسيون عام ١٨٩٦م على إبقاء ما تبقى من الأراضي التايلندية غير مستعمر منهما مستقلاً ولتظل تايلاند دولة حاجزة بينهما. غير أن ذلك لم يمنع بعد ذلك تعدي دولتيهما على ما بقي لتايلاند من أراضيها. فقد أشيع بعد ذلك مثلاً على أن فرنسا أخذت تضغط على تايلاند سراً لمنحها امتياز حفر قنال عبر برزخ «كْرَا» في الأراضي الجنوبية من تايلاند.. مثل ما أنجزه الفرنسيون في مصر عام ١٨٦٩م.. أي قنال السويس. لذا تدخلت بريطانيا وأرغمت تايلاند على توقيع معاهدة عام ١٩٠٢م تعد فيها أن لا تمنح امتيازاً مثل ذلك لفرنسا. مقابل ذلك تعهدت بريطانيا بحماية تايلاند من فرنسا على شرط أن تقبل مستشاراً (أو مفوضاً) إنجليزياً في كل من السلطنات الأربعة في شبه جزيرة ملايا التابعة حينها لتايلاند وهما كما أسلفنا بِرْلِسْ وكَلَنْتان وكِيدَه وتِرْنْجَانو.

وعلى كل حال، وبعد سنتين فقط من ذلك، تعرضت تايلاند لاعتداءات أكثر من كلا الطرفين الفرنسي والبريطاني نتيجة لاتفاق بريطاني فرنسي شامل سمي في تاريخ أوروبا «الاتفاق الودي عام ١٩٠٤م» (Entente Cordiale). وقد جرى ذلك الاتفاق نتيجة لمزاحمة ألمانيا لكلا الدولتين وخاصة بعد أن توحدت دول ألمانيا عام ١٨٧١م. ذلك أنه وبعد وحدتها صارت ألمانيا تطالب بنصيبها من الاستعمار في كل أنحاء العالم كالأراضي المراكشية وجنوب وأواسط إفريقيا وفي الشرقين الأوسط والأقصى.

وهكذا ففي عام ١٩٠٧م اغتصبت فرنسا عدة مناطق في الشمال الشرقي من تايلاند وضمتها لأراضيها في لاوس. وبعد سنتين من ذلك أرغمت بريطانيا مملكة تايلاند على التخلي عن سلطانها على الأربع سلطنات الماليسية التي سبق وذكرناها. بعدها أجبرت سلاطين تلك على قبول «الحماية» البريطانية ولكنهم رفضوا الدخول بفدرالية ملايا.

وقد نجت سلطنة جُهورْ من الحماية البريطانية حتى عام ١٩١٤م. وتقع هذه في أقصى الجنوب من شبه جزيرة ملايا مقابل جزيرة سنجافورا. والواقع أن جُهورْ لم تفلت من استعمار الشركة الإنجليزية حتى قبل ذلك. حيث إن جزيرة سنجافورا التي ادَّعى الإنجليزي «سْتَامفورد رافِلْزْ» أنه استأجرها من سلطان جُهورْ عام ١٨١٩م كانت بالطبع مُلْكاً لجُهُورْ. وحتى عملية «استئجارها» جرت بخدعة من رافِلْزْ إذ أن التوقيع على اتفاقية الإيجار كان توقيع شخص ادَّعى أنه هو السلطان الشرعي لجُهُورْ[٥]. غير أن السلطان الحاكم هناك رفض تلك الاتفاقية. لذلك يقول ونْسْتِدْ إن الإنجليز في سنجافورا ظلوا يدعمون سلطانين متنافسين على كرسي السلطة هناك ولأكثر من أربعين سنة تَلَتْ[٦]. ولم ينته الانفصام السلطاني هذا إلاّ عام ١٨٥٥م لما اعترفت الشركة الإنجليزية الحاكمة هناك (وبالهند) بسلطان فقط منهما.. السلطان أبوبكر.. على شرط أن يقبل هذا حلفاً معها وافتتاح قنصلية إنجليزية في بلاده[٧]. وأخيراً وفي عام ١٩١٤م أجبرت بريطانيا سلطنة جُهورْ على قبول «الحماية» البريطانية، لكن سلطانها رفض الدخول في فدرالية ملايا.

ملايا بين الحربين العالميتين

إن أهم الأحداث التي جرت في ملايا بين الحربين العالميتين كانت أحداث اجتماعية - ديمقرافية واقتصادية وليست سياسية. ففي تلك الفترة وفد إلى ملايا مئات الآلاف من الصينيين ومن الهنود طلباً للعمل في مناجم القصدير وفي

(٥) راجع المؤرخ الإنجليزي وِنْسْتِد عن هذه النقطة، نفس المرجع.

(٦) المرجع السابق.

(٧) كندي المرجع نفسه.

مستعمرات الرز والمطاط وبقطع أشجار الماهون والسَّاج. وصارت ملايا حينها محط أنظار المستثمرين الإنجليز وغيرهم في ثرواتها الطبيعية وهدفاً للعمالة الوافدة من جاراتها الفقيرة. وقد تطورت مرافق التعليم وخطوط المواصلات بشكل ملحوظ كما تطورت أيضاً الخدمات المدنية التي صارت أرقاها في كل بلدان جنوب شرقي آسيا بلا استثناء. وقد توجه الماليسيون.. أهل البلاد.. إجمالاً صوب العمل في الوظائف الحكومية وفي قوات الأمن. بينما توجه الصينيون والهنود للأعمال الحرة وللصناعة والزراعة وجمع المال بكل الطرق بما فيها تعاطي الرِّبا.

وظلت الحركة الوطنية في ملايا خاملة للأسباب التالية:-

١. انقسام البلاد إلى سلطناتٍ متعددة مما أضعف الولاء لدولة موحدة. وقد شجع الإنجليز إبقاء سلاطين تحكم هناك، وبالطبع موالية لهم، وشجعوا حتى التفرقة بينهم متبعين طريقة الاستعمار.. فَرِّقْ تَسُدْ.

٢. اهتمام المتعلمين ونخبة الأمة إما بجمع المال أو بالتَّرقِّي في الوظائف الحكومية التي شغروها. وقد كان هناك مجال واسع لذلك نتج عن غِنى البلاد مما صرف أنظار الناس عن الوطنية أو مقاومة الاستعمار.

٣. كان من صالح الأقليتين الكبيرتين.. الصينية والهندية إبقاء بريطانيا تحكم هناك وحتى مقاومة وطنية «ماليسية» ربما لن تشملهم. والجدير بالذكر أنه ما إن جاء عام ١٩٤٠م مثلاً، وحسب تعداد النفوس الذي جرى في ذلك العام، حتى صار الصينيون الأكثرية في البلاد. ونتج الإحصاء عن الأرقام التالية: ٢,٣٧٩,٠٠٠ صيني، ٢,٢٧٩,٠٠٠ ماليسي، ٧٤٤,٠٠٠ هندي(٨). ولولا أن ضمت «ماليسيا» مقاطعتي «سَرَواك» و«صَبَاح» في شمال جزيرة برونيو إلى الفدرالية واستقلت تماماً عام ١٩٥٥م (وبدعم قوي من بريطانيا قبل أن تخرج من هناك، وبمعارضة قوية من الصينيين في ملايا. وكما سنعرض لاحقاً) لظل أهالي البلاد الأصليين (الماليسيين) الأقلية في بلادهم.

(٨) الأرقام مأخوذة من هُولْ، نفس المرجع.

٤. تعدد الديانات مع تعدد الجنسيات عمل ضد الوطنية الموحدة.. الإسلام والبوذية والهندوسية.

وما زال الماليسيون الأصليون يتهمون الصينيين والهنود بالولاء لبلديهما الأصليتين وأنهم ينظرون للبلاد التي هم فيها فقط كبقرة حَلُوبْ! وبالمقابل نظر الصينيون خاصة للأهالي الأصليين نظرة تعالٍ وحتى ازدراء وعلى أنهم أقل منهم حضارة. وبالطبع لم تكن بريطانيا في أيامها هناك غير راضية عن كل ذلك.

الحرب العالمية الثانية وما بعد

اجتاح اليابانيون ملايا في ٨ كانون أول ١٩٤١م، أي بعد يوم واحد من هجومهم المفاجىء على المرافىء الرئيسية الأمريكية والبريطانية في المحيط الأطلسي وبحر الصين(٩). وقد وصلت القوات اليابانية إلى شبه جزيرة ملايا عبر أراضي مملكة تايلاند التي تعاونت، وكما أسلفنا مع اليابان في الحرب. وقد اشتهر قائد الجيش الياباني الغازي، الجنرال «يَاماشِيتَا» بعد نجاح حملاته الخاطفة ضد جيوش الحلفاء في جنوب شرقي آسيا(١٠).

فبعد دخول يَاماشيتا شبه جزيرة ملايا من الشمال ظل يتقدم مع جيشه (حوالي ثلاثين ألف جندي فقط) حتى وصل أقصاها في الجنوب ومن هناك قطع لسنجافورا. وأخيراً وفي ١٥ شباط ١٩٤٢م استسلم كل الجيش البريطاني هناك الذي قُدِّر عدده بثمانين ألف جندي(١١) وقد علَّق ونْسْتُنْ شِرشِلْ (رئيس وزراء بريطانيا أثناء الحرب) في مذكراته فيما بعد على الهزيمة البريطانية في ملايا على أنها «أعظم انهزام لبريطانيا في كل تاريخها».

(٩) وكان أهمها مرفأ اللؤلؤ (Pearl Harbor) في جزر هَوَاي الأمريكية وسنجافورا البريطانية ومرفأ مانِللاَّ.

(١٠) وقد أعدمه الحلفاء المنتصرون عام ١٩٤٦م على أساس أنه «مجرم حرب».

(١١) راجع F. Chambers This Age of Conflict, 1950

وكان للنجاح الباهر الذي أحرزته اليابان (الصفراء) في أول ستة أشهر من الحرب إثر الزلزال لهيبة العالم الأوروبي الاستعماري كله وفي كل أطراف المعمورة. ومع العلم أن اليابان خسرت ختاماً الحرب إلاّ أن الهيبة الاستعمارية ولت للأبد وجنى ثمار ذلك العالم المُسْتَعْمَر في آسيا وإفريقيا.

طال الاستعمار الياباني لملايا حتى آب ١٩٤٥م، وقد اضطهد اليابانيون الصينيين في ملايا حيث إن ولاء ومشاعر هؤلاء كان مع بلادهم الأصل الصين التي كانت محتلة أيضاً جزئياً من اليابان وهدف استعمارها منذ أواخر القرن التاسع عشر. ونتج عن اضطهاد الصينيين في ملايا. والعكس بالعكس، نَشْأَةُ جيش غير نظامي معظمه من الصينيين حارب الاستعمار الياباني الجديد. وسمى هؤلاء حركتهم «جيش الشعب الماليسي المقاوم لليابان».

ويقول كَيدي[١٢] إنه سرعان ما صارت تلك الحركة «شيوعية الميول والقيادة». ولا شك أن قوات الصين الشعبية التي كان برأسها ماوتْسي تُنْجْ ساهمت في تشجيع وتدريب تلك الحركة حيث إن ماو تسي تُنْجْ نفسه كان يقاوم الاستعمار الياباني في بلاده الصين. وقد تأسس في مَلَايا عام ١٩٣٠م حزب شيوعي كان الكثيرمن أعضائه من أصل صيني.

على كل حال صارت حركة المقاومة لليابان، وبفضل ما اقْتَدِر عليه من امدادات مالية وعسكرية من كل من بريطانيا وأمريكا من مواقعهم في شمال برما والهند، ومن الصين، صارت قوة مسلحة لا يستهان بها تحارب اليابان وتقلق أمنها هناك. وبالطبع بعد أن انتهت الحرب استدارت تلك الحركة لتحارب رجوع الاستعمار الإنجليزي بعد أيلول ١٩٤٥م.

---

(١٢) ومن الأكيد أن الباحث كيدي الأمريكي بالغ في وصف تلك الحركة «شيوعية». والواقع أن الكثير من الكتاب الغربيين اتبعوا تلك الطريقة لتشويه سمعة حركات الاستقلال في كل العالم الثالث. حيث أن ذلك النعت كان تشويهاً في نظر أمريكا وحلفائها في الحرب الباردة. وقد حاربت بريطانيا تلك الحركة في ملايا بحجة أنها «شيوعية» وليست وطنية أو صينية.

وبالمقارنة لما عامل اليابانيون الصينيين في ملايا عامل هؤلاء الماليسيين والأقلية الهندية معاملة أحسن بكثير. حيث إن اليابان كانت تأمل حينها أن تقوم الهند بثورة على الاستعمار البريطاني وتقف بجانبها في الحرب. ولهذا الغرض شجع اليابانيون تأسيس حركة مقاومة هندية في ملايا دربوها عسكرياً وسموها «عصبة استقلال الهند»، بهدف المساعدة في تحرير بلادهم الهند.

كذلك دللت الإدارة اليابانية الماليسيين على حساب الصينيين وشجعت كراهيتهم لهم. وقد رفعت اليابان هناك شعار «ماليسيا للماليسيين». مما حرَّك الإحساس بالوطنية «الماليسية» الذي تمخض أخيراً بتأسيس الحزب المسمى «المنظمة الوطنية الماليسية الموحدة».

وقد بدأت القوات البريطانية تعود لملايا في أيلول ١٩٤٥م وفي أعقاب انهزام اليابان الكلي. وباشرت رأساً قوات «جيش الشعب» المذكور أعلاه (الصيني) تحارب القوات البريطانية الراجعة. ولقلة القوات البريطانية في بادىء الأمر أعلنت وزارة الخارجية البريطانية ما سمتها «الورقة البيضاء» فيها وعدت الصينيين في ملايا كامل حقوق المواطنة والحصول على الجنسية الماليسية وسهولة حصول أي صيني يَفِدُ للبلاد بعد ذلك على الجنسية الماليسية. وكل ذلك لتخدير الصينيين ولو لفترة.

وبالطَّبع جنَّ جنونُ الماليسين الأصليين لتلك السياسة البريطانية والذين أصبحوا أقلية في بلادهم حتى قبل ذلك. ورداً على تلك الورقة أعلن حزبهم المسمى «المنظمة الوطنية الماليسية» أسبوع حدادٍ في البلاد وأنذروا بريطانيا بأن الماليسيين سيتبعون سياسة «عدم التعاون السلمي» مثلما كان يجري في الهند بزعامة مُهَنْدَسْ غانْدي[١٣].

وظلت بريطانيا تَعِدُ هذا وتعد ذاك وتماطل الطرفين حتى ١ شباط ١٩٤٨م.. وبعد أن تعززت قواتها العسكرية واشتد ساعدها، بعده أصدرت دستوراً لملايا صارت فيه المواصفات للحصول على الجنسية الماليسية من أصعب ما يمكن. في

---

(١٣) هول نفس المرجع.

إثر ذلك أعلن جيش الشعب الثورة على بريطانيا، تلك الثورة التي طالت حتى عام ١٩٥٥م. ومما شجع تلك الثورة ولو معنوياً كان توصل مَاوْ تْسي تُنْغ للسلطة في الصين بعد عام ١٩٤٩م.

واتبعت بريطانيا في سبيل إخماد الثورة ما سمتها «خطة بْرِجْز» (Brigg's Plan). حسبهـا رحَّلت القوات البريطانية قَسْراً أكثر من نصف مليون صيني (ماليسي) من قراهم في المنـاطق النـائية وجمعتهم في «قرى جديدة» لتسهل النظارة عليهم. وكانت هذه في الواقع أقرب ما تكون من معسكرات أسرى حرب[١٤].

وفي عام ١٩٥١م قتل أحد الثوار المندوب السامي البريطاني في ملايا، سِير هَنْري جيرني (Gurney) وخلفه في ذلك المنصب الجنرال جِرَالْد تِمْبْلَرْ (Templer) من أركان الحرب البريطاني[١٥]. واتبع هذا طرقاً أشد قسوة من قبل لإخماد الثورة. غير أنها خمدت في أواخر عام ١٩٥٤م نتيجة تطورات وحلولٍ سياسية اتفق عليها في ملايا وليس بالطرق العسكرية. وموجز ما جرى كان كالتالي :ـ

تشكـل في ملايا في شباط ١٩٤٩م حزب صيني معتدل (يرفض الشيوعية) سمي «جمعية الماليسيين الصينيين». وصار هذا لاعتداله واتباعه طرق الحوار مع الإنجليز والماليسيين على قائمة أعداء «جيش الشعب» الصيني المتطرف.

كذلـك شكلت جماعة من المـاليسيين المعتـدلين في عام ١٩٥١م حزبـاً سمتـه «حزب استقلال ملايا». وترأس هذا الحزب أمير من العائلة المالكة في سلطنة كِيدَه اسمه تَنْجْكُو عبد الرحمن.

وفي عام ١٩٥٢م صَحَّحت بريطانيا قانون الجنسية الماليسية بطريقة أرضت الصينيين من دون إثارة غضب الماليسيين.

---

(١٤) وقد اتبعت حكومة نْجو دِنْه دِيْم، مدعومة من أمريكا في فيتنام الجنوبية نفس السبل لمحاربة ثورة «فيت كنْغ» ضد نظام دِيم، وكما أسلفنا عن فيتنام.

(١٥) وصار هذا فيما بعد المندوب البريطاني المفوض لتأسيس حلف بغداد عام ١٩٥٥م.

وكل تلك التطورات خلقت جواً من الوفاق مما أدى عام ١٩٥٣م إلى تأسيس «حـزب التحـالف»، أسسـه زعمـاء الأطراف المعتدلة من الماليسيين والصينيين والهنود في البلاد. ونتج عن ذلك بدء ضعف الثورة.

وفي تموز عام ١٩٥٥م سمحت السلطات البريطانية بانتخابات عامة لخلق برلمـان ماليسي اكتسح «حزب التحالف» معظم مقاعده إذ ربح واحداً وخمسين مقعداً فيه من اثنين وخمسين. بعد ذلك بدأت المفاوضات مع بريطانيا من أجل استقلال البلاد.

ختاماً، وفي ٣١ آب ١٩٥٧م استقلت ملايا وصار الأمير تَنْجكو عبد الرحمن رئيس وزراء «فدرالية ملايا». وظلت سنجافورا حتى ٢٧ أيار ١٩٥٨م مستعمرة بريطانية خارج الفدرالية. حينها تغير وضعها من «مستعمرة» إلى «إقليم ذي حكم ذاتي»، يرأسه حاكم بريطاني. وفي عام ١٩٦١م سمحت بريطانيا بانتخابات في سنجافورا ولمجلس برلماني ربح أكثرية مقاعده «الحزب الصيني الاشتراكي» وصار زعيمـه «لي كُوَانْ يُو» رئيساً لوزراء «جمهـورية سنجافورا». وما زالت سنجافورا جمهورية مستقلة عن ماليسيا.

تأسيس ماليسيا

تشمـل فدرالية ماليسيا اليوم فدرالية ملايا سابقاً (شبه جزيرة ملايا) وإقليمي «سَرَوَاكْ» و«صَبَاحْ» في الشمال من جزيرة بُورْنْيو الأندونيسية. ويطلق على الأولى اليوم اسم «غربي ماليسيا»، وعلى الإقليمين اسم «شرقي ماليسيا». وكـان من المخطط في الأصل أن تشمل ماليسيا كلاً من جزيرة سنجافورا وسلطنة «بْرُونِيْ» الواقعة فيما بين سَرَوَاك وصباح بالشمال من جزيرة بُورْنْيو. وسنعرض لاحقاً كيف ظلت الأخيرتان خارج الفـدرالية، وكيف صارت سَرَاواك وصبـاح بريطانيتين في المقام الأول.

حَفَّزَ اعتدال الأمير تَنْجكو عبد الرحمن بريطانيا لتأسيس فدرالية ماليسيا. وقد صار هذا من المقربين جداً لبريطانيا وللولايات المتحدة بعد استلامه رئاسة فدرالية

ملايا عام ١٩٥٧م. حيث أنه أبقى لبريطانيا حق استعمال القواعد الحربية والبحرية في البلاد مما صيَّر من فدرالية ملايا (ومن بعدها فدرالية ماليسيا) حليفة لبريطانيا ولأمريكا في الحرب الباردة. ولقد ظلت ملايا عضواً في «الكمونولث» البريطاني بعد الاستقلال وصارت عملياً عضواً في حلف «سيتو» (حلف جنوب شرقي آسيا) التي خلقته أمريكا عام ١٩٥٤. وكل ذلك صيَّر من الأمير عبد الرحمن أكثر شخصية مقربة لبريطانيا ولأمريكا في كل منطقة جنوب شرقي آسيا. كذلك صيره منبوذاً عند جارته العظيمة الحجم والسكان، جمهورية أندونيسيا أيام زعامة أحمد سُوكَارْنو لتلك البلاد(١٦). حيث إن سوكارنو كان من زعماء العالم الثالث المؤمنين بسياسة «عدم الانحياز»(١٧) بين الكتلتين المتصارعتين في الحرب الباردة، مثله مثل جمال عبد الناصر في مصر وجواهر لال نهرو في الهند.

على كل حال، صار الأمير عبد الرحمن محور مشروع بريطاني لتأسيس «فدرالية ماليسيا» ومنذ عام ١٩٥٨م. وموجز المشروع هو توحيد كل المستعمرات البريطانية في تلك النواحي، أي ملايا وسنجافورا وسَرَواك وسلطنة بْرُونِي وصباح في دولة واحدة وبزعامة الأمير تَنْجْكو عبد الرحمن. وهذا ما تحقق أخيراً في أيلول ١٩٦٣م تحت اسم «فدرالية ماليسيا» وباستثناء سلطنة بْرُوني.

صَباح وسَرَواك والإنجليز

يشكل هذان الإقليمان أقل الأراضي الماليسية تطوراً. ويقدر عدد سكان صَبَاحْ التي كانت تسمى قبل عام ١٩٦٣م «شمال بُورنيو» بمليون وربع المليون نسمة. وتقدر مساحتها بحوالي ٢٩,٥٠٠ ميل مربع. معظمها أراضٍ وعرة جبلية مغطاة بالغابات الاستوائية الكثيفة. وما زال معظم سكانها في حالة بدائية من التطور. وهي مصدر للأخشاب الثمينة كالسَّاج والماهون وتصدر أيضاً البترول والمطاط.

(١٦) قد نعته سوكارنو غاضباً في إحدى المناسبات، «الزميل الروحي لبريطانيا».
(١٧) وقد سُمي ذلك النهج أيضاً.. «الحياد الإيجابي».

ويقدر عدد سكان سَرَواك بمليون ونصف المليون نسمة معظمهم أيضاً في طور بدائي من الحضارة مثل صباح. وتقدر مساحتها بأكثر من ٤٨,٠٠٠ ميل مربع. والكثير من أراضيها مغطاة بالمستنقعات والغابات الاستوائية الكثيفة. وتصدر سَرَواك اليوم النفط والرز والمطاط..

وقد كانت أراضي سَرَواك تنتمي لسلطنة بْروني قبل عام ١٨٣٩م، أي قبل قدوم أول إنجليزي لهناك. وكان أول من وصلها من الإنجليز في ذلك العام رجل اسمه جيمز «بْرُوكْ» (Brooke). وقد خدم هذا قبل وصوله لهناك في شركة الهند الشرقية الإنجليزية في الهند، وهو أيضاً من مواليد الهند. وبعد أن تقاعد من خدمة الشركة وهو في عمر ٣٦ سنة فقط اتجه مع عشرين من زملائه (المتقاعدين أيضاً) سَعْياً وراء المغامرة صوب جزر الهند الهولندية(١٨). وحطت سفينتهم أخيراً في سلطنة بْروني على الشواطىء الشمالية من جزيرة بُورْنيو الكبيرة. وقد كان السلطان مُدَى هاشم، سلطان بْروني حينها في حرب مع قبائل «دَايَاكْ» المتوحشة التي كانت تغزو أراضيه دورياً(١٩). وعرض الإنجليزي بْرُوكْ وجماعته على السلطان المساعدة مقابل تنازله عن جزء من أراضيه في الجنوب من مقره في بلدةِ بْروني.. أي الأراضي التي صارت فيما بعد سَرَواك. وهذا ما قُبِلَ وصار. بعدها نادى جيمز بْروكْ بنفسه «راجا»(٢٠) على سَرَواك في عام ١٨٤١م. وما هي إلاّ أعوام قليلة حتى تقلصت أراضي السلطان هاشم وتعاظمت أراضي راجا بْروكْ حتى صار السلطان من مواليه. ومنها اشتهر بْروكْ في بريطانيا كواحدٍ من «بناة الامبراطورية» لدرجة أنه لما قدم للندن عام ١٨٤٧م قوبل كبطل ومنحته الملكة فكتوريا لقب الفروسية. وراحت بريطانيا حتى واعترفت بِسَرَواكْ كدولة مستقلة وبجيمز سلطاناً لها. وبعد ذلك بثلاث سنوات اعترفت الولايات المتحده أيضاً بدولة سَرَواكْ(٢١).

(١٨) راجع George L. Harris North Borneo, Brunei, Sarawak, 1956.
(١٩) كانت هذه من آكلة لحوم البشر.
(٢٠) راجا في الهند تعني سلطاناً.
(٢١) هارس. نفس المرجع.

وصار راجا بْروكْ يحكم ويرسم هناك ويشجع العمالة الصينية على الوفود لبلاده للعمل في مزارع الرز وتطويرها وبالتخشيب وبمزارع المطاط.

وفي عام ١٨٦٧م قامت ثورة صينية عليه وعلى حكمه المستبد الصارم كادت أن تطيح به لولا أن أنقذه ابن أخ له اسمه «شالْز». ولما توفي العم بعد عام من تلك الثورة صار شالْز «راجا» سَرَواك وصارت السلطة وراثية في عائلة بْروكْ. وقد طال حكم سلالة بْروكْ لأكثر من قرن هناك، أي من عام ١٨٤١م وإلى عام ١٩٤٦م.

وفي عام ١٨٨٨م عقد راجا شالْز معاهدة «حماية» مع بريطانيا فيها تعهدت بريطانيا بحماية سَرَواك مقابل إشرافها على علاقاتها الخارجية. وحكم شالز سَرَواك من ١٨٦٨م حتى عام ١٩١٧. وكانت أيام حكمه أيام ازدهار ورخاءٍ اقتصادي. وبعد موته استلم الحكم ابنه شَالْز «فايْنَر» (Vyner). وحكم هذا من عام ١٩١٧م إلى أن احتل اليابانيون بلاده عام ١٩٤١م وهرب هو من هناك إلى لندن. وبعد انهـزام اليابـانيين عام ١٩٤٥م عاد للحكم ولكنه تنازل عن السلطة لبريطانيا في ١ تموز ١٩٤٦م. وهكذا انتهى حكم سلالة بْروك في سَرَواك.

ويعود الفضل لاستيلاء بريطانيا على «شمال بورنيو» التي سميت بعد وحدتها في فدرالية «ماليسيا» عام ١٩٦٣م «صَباحْ» إلى إنجليزي آخر اسمه وِلْيَمْ «كاوِي» (Cowie). وقد كان كاوي هذا في العقد السابع من القرن التاسع عشر وحتى من قبل من تجار ومهربي الأسلحة في تلك النواحي وخاصة بيعها لسلطان جُزُر «سولُو» السلطان جمال العَلَمْ الذي كان ثائراً على الحكم الإسباني في الفلبين، وكما هي الحال في الجزر حتى اليوم[٢٢]. وقد كانت أراضي «شمال بورنيو» تابعة لسلاطين «سُولُو». وموجز ما أنجزه كاوي أنه أخذ امتيازاً في عام ١٨٧٨م من السلطان جمال ليتاجر في أراضي شمال بورنيو بعدها أسس كاوي شركة سماها «شركة شمال بورنيو الإنجليزية»، وبـاشر بالاستيلاء على تلك الأراضي التي كانت يومها تكاد تكون خالية من الأهالي. وبعد أن علمت إسبانيا بوجود كاوي في شمال بورنيو احتجت

---

(٢٢) ما تزال ثورة أهالي سولو المسلمة قائمة على حكم مانيلا لليوم.

لبريطانيا ولأكثر من ثلاث سنوات على هذا التدخل والتعدي الإنجليزي على أراضيها.. أراضي سولو التابعة للفلبين. كذلك احتجت هولندا على وجود كاوي هنـاك لأنها اعتبرت شمال بورنيو جزءاً من امبراطوريتها في جزر الهند الشرقية. وصار عدة مغامرين.. أمريكيين وألمان من أمثال كاوي يدعون أن تلك الأراضي تعود لهم لأنهم «اكتشفوها قبل كاوي». على كل حال بَقِي وشركاؤه فيها رغم كل تلك الاحتجاجات وصارت أراضيه تتعاظم حجماً وتمتد جنوباً وغرباً (وعلى حساب سلطان بْرُني أيضاً، مثلما كان يجري لأراضيه من قبل بْرُوكْ ومن الناحية الغربية) إلى أن صارت شمال بورنيو (صَباحْ اليوم) على ما هي عليه اليوم. وبالطبع سرعان ما أضفت بريطانيا الحماية لكاوي وعلى شركته وأصبحت شمال بورنيو في الواقع مستعمرة بريطانية.

ونتج عن كثرة احتجاجات سلطان بْروني على ما كان يطير من أراضيه في الشمال والشرق والغرب على يد الإنجليز أن قامت بريطانيا وشملته هو وسلطنته بْروني «بحمايتها» أيضاً عام ١٨٨٨م.

ولما قامت الحرب العالمية الثانية احتل اليابانيون كل تلك البلدان وأخذوها من بريطانيا. واسترجعت الأخيرة كل مستعمراتها في آب ١٩٤٥م بعد انهزام اليابان.

وقد توصلت بريطانيا لقرار تأسيس فدرالية ماليسيا بزعامة الأمير عبد الرحمن في أوائل عام ١٩٦١م. ومما حفَّزها لذلك غير ما ذكرناه عن رضاها عن الأمير عبد الرحمن هو نقمتهـا، هي والولايات المتحدة وهولندا على رئيس دولة أندونيسيا المجـاورة أحمـد سوكـارنـو. فكمـا أسلفنـا كان سوكـارنو من زعماء دول «عدم الانحياز».. ذلك النهج في الحرب الباردة الذي حاربته الولايات المتحدة خاصة. ويجدر بالذكر أن أهم مؤتمر لدول عدم الانحياز جرى في مدينة بَانْدُنْغْ الأندونيسية عام ١٩٥٥م واستضافه سوكارنو. كذلك كان الرئيس سوكارنو يسلح جيشه الكبير من المعسكـر الشيوعي، أي من الاتحـاد السـوفييتي والصين وصـار وحسب الادعـاءات الأمـريكية والبـريطانية يرتكز في حكمه أندونيسيا على دعم الحزب

الشيوعي في البلاد[٢٣]. كذلك كان الرئيس سوكارنو يلح بالمطالبة بكلٍ من سَرَواك وصباح على أساس أنها جزء من جزيرة بورنيو الأندونيسية. كذلك كان سوكانو ما زال يطالب هولندا بالأراضي المسماة «غرب إِريَانْ» وهي النصف الغربي من جزيرة غينيا الجديدة.[٢٤].

وكل ما سبق نتج عن فكرة تأسيس «ماليسيا» من قبل بريطانيا وعلى الأرجح ليس حُبّاً بالأمير عبد الرحمن بل «كرهاً لأحمد» على حد القول[٢٥].

وقد عارضت دولة الفلبين تأسيس فدرالية ماليسيا كونها كانت تطالب هي أيضاً بمنطقة «صباح» لتبعيَّتها التاريخية لسلاطين جزر سُولُو التي صارت جزءاً من الفلبين. كذلك عارضت «الأكثرية» الصينية في شبه جزيرة ملايا ضم تلك المناطق بفدرالية «ماليسيا» إذ أنهم بذلك يصبحون «أقلية» في الفدرالية الجديدة. وقد اشتبه معظمهم بأن كل ما كانت تهدف له بريطانيا في مشروعها الوحدوي كان لتحقيق ذلك ولتلك النتيجة.

وأخيراً عارض السلطان سيف الدين، سلطان بْرُونِيْ مشروع وحدة ماليسيا وضم سَرَواك لها لأنه كان هو يطالب بإعادة سَرَواك إلى سلطنته وكما كانت من قبل. وعلى هذا الأساس صوت مجلس أمة سلطنة بروني في نيسان ١٩٦٢م وبالإجماع (أربعة وخمسون صوتاً لِلاشيء) يطالب بريطانيا بإعادة سَرَواك لسلطنتهم، مهدداً

(٢٣) كان الحزب الأندونيسي حتى عام ١٩٦٥م ثالث حزب شيوعي في العدد في العالم، ويأتي بعد الصين والاتحاد السوفييتي.

(٢٤) ودعمت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا دولة هولندا على رفض تسليمها لأندونيسيا والتي استردتها أخيراً كما سنعرض لاحقاً.

(٢٥) وكان سوكارنو أيامها يتهم الأمير عبد الرحمن أيضاً بتسليح عدة ثورات داخلية في جمهورية أندونيسيا. راجع مقال.

Justus M. Kroef ''Indonisia, Malaya and the North Bornceo Crisis'' April 1963.

في المجلة الدورية. Asian Survey

بأن شعب بروني سيحارب إن لزم الأمر من أجل ذلك[٢٧]. وقد قامت بالفعل ثورة ضد بريطانيا في سلطنة بروني في ٨ كانون أول عام ١٩٦٢م تزعمها شخص اسمه محمد الأزهري وطالت ليومين. أخمدتها القوات البريطانية وهرب من بعدها الأزهري لجمهورية الفلبين. على أثرها أرسلت بريطانيا. . وكعادتها أيام الاستعمار. . لجنة «لاستقصاء الحقائق». وبالتقرير الذي نشرته هذه ادعت أن من أثار الاضطرابات هي «أصابع من الخارج» وأنها لا تمثل رغبة الشعب في بْروني. غير أن دولتي أندونيسيا والفلبين ألَحّتا في هيئة الأمم المتحدة على إرسال لجنة دولية لتلك الأقاليم لتعرف ما هي رغبة ومطالب تلك البلدان. وأخيراً راحت لجنة دولية مصحوبة بممثلين عن أندونيسيا والفلبين إلى سَرَواك قوبلت بمظاهرات صاخبة ضد قيام «فدرالية ماليسيا»[٢٨].

ولما توجهت اللجنة إلى «شمال بورنيو» (صباح) رفضت بريطانيا السماح لممثلي الفلبين وأندونيسيا دخولها مع اللجنة. وبقدرة قادر لاقت هذه اللجنة «عشرات الآلاف من الأهالي تهتف للفدرالية المقبلة»[٢٩]. بعدها علق الرئيس الأندونيسي سوكارنو مستهزءاً بأن رحلة اللجنة تلك صارت «رحلة سياحية مرشدها السلطات الإنجليزية هناك»[٣٠].

على كل حال، قامت بريطانيا، بعد شهر من ذلك، وفي ١٦ أيلول ١٩٦٣م وأعلنت قيام «فدرالية ماليسيا» وظل سوكارنو يهدد ويعد ويعترض إلى أن جرى ضده انقلاب عسكري في أيلول ١٩٦٥م تؤكد كل المراجع أن لقلم المخابرات السري الأمريكي. . سي آي إِي، إصبع كبير فيه وبنجاحه. وما أن استلم زعيم الانقلاب الجنرال سوهارتو حكم أندونيسيا حتى غَيَّر كل اتجاهات سياسات أندونيسيا الخارجية بما فيها إنهاء سياسة مجابهة ماليسيا والتشهير برئيسها الأمير عبد الرحمن. وبعد أشهر من ذلك تبودلت البعثات الدبلوماسية بين البلدين.

(٢٧) راجع Frances L. Starner Malaysia and the North Borneo Territories, 1965.

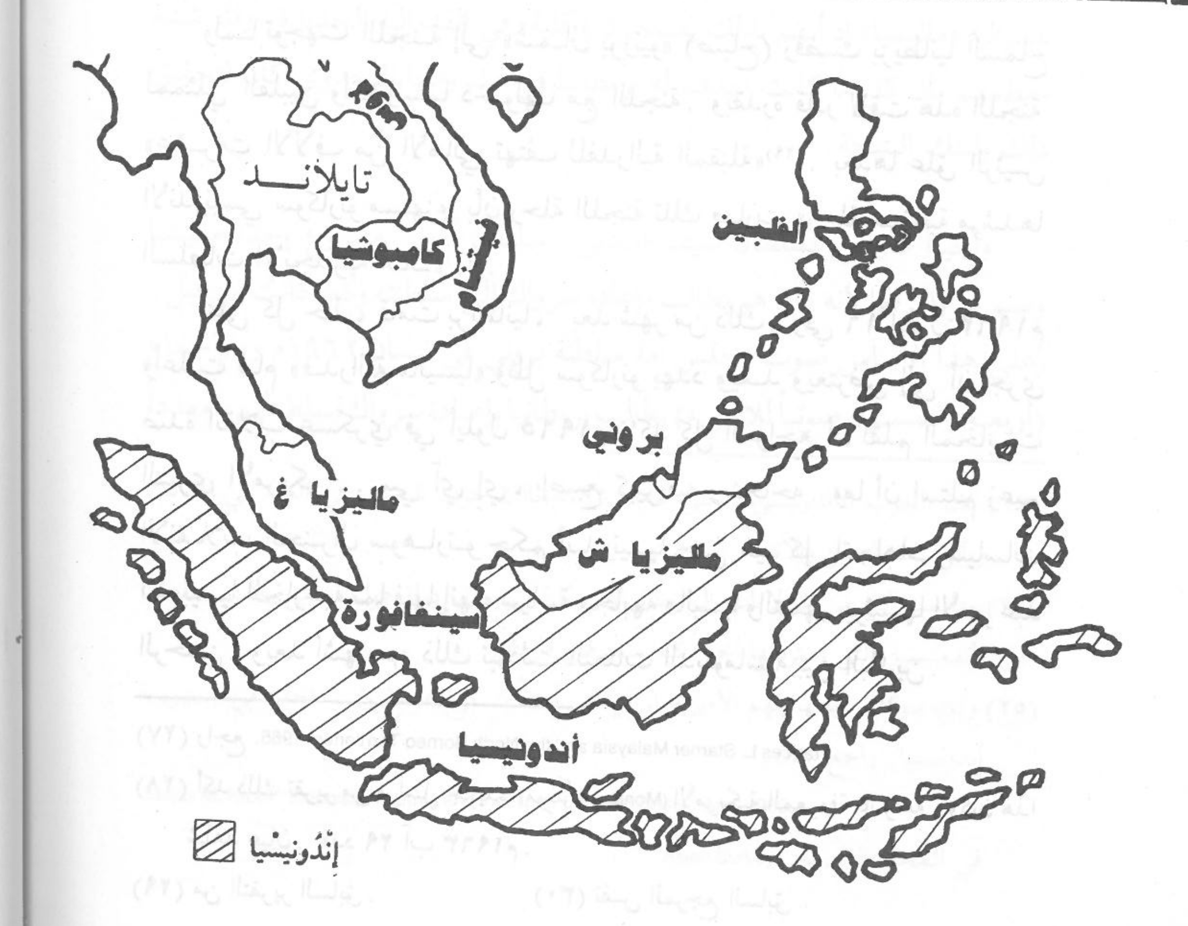
(٢٨) أكد ذلك تقرير من مراسل جريدة «مونتَرْ» (Monitor) الأمريكية المعروفة بالنزاهة. وكان هذا شاهد عيان. عدد ٢٩ آب ١٩٦٣م.

(٢٩) من التقرير السابق.

(٣٠) نفس المرجع السابق.

وقد شملت ماليسيا حين تأسيسها كلاًّ من فدرالية مَلَايا وسَرَواك وصباح وجزيرة سنجافورا. ولكن بعد قرابة سنتين بعد ذلك قرَّر المجلس الإقليمي لسنجافورا الانسحاب من الفدرالية. ونُفِّذ ذلك الانسحاب في ٩ آب ١٩٦٥م، اليوم الذي صار يوم استقلال «جمهورية سنجافورا». وحكمها بعد ذلك زعيم حزبها الرئيسي - حزب حركة الشعب - «لي كُوَانْ يُو»، وهو من أصل صيني كمعظم أهالي الجزيرة. وتعد سنجافورا اليوم جزءاً من العالم المتطور لكثرة صناعاتها ونشاط حركة التجارة فيها وارتفاع مستوى معيشة أهاليها. كذلك تشتهر مدينة سنجافورا بعمرانها ونظافتها.

وقد رفضت سلطنة بروني دخول الفدرالية. وهي اليوم، مثلها مثل سنجافورا، وخاصة بعد اكتشاف البترول فيها، تعد من أغنى بلدان جنوب شرقي آسيا.



الفصل العاشر

جمهورية أندونيسيـــــا

جغرافيتها

تعني كلمة «إنـدونيسيا» جزر الهنـد. ويقـول الباحث والمؤرخ برنارد فْلِكْ (Vlekke) إن أول من أطلق ذلك الاسم على تلك الجزر كان عالم ألماني (لم يذكر اسمه) متخصص بعلم أجناس البشر (ethnology) في عام ١٨٨٤م[1].

تشكل جمهورية أندونيسيا أعظم أرخبيل في العالم، يضم أكثر من ثلاثة آلاف جزيرة مأهولة وآلاف أخرى خالية من السكان. وتمتد هذه بشكل قوسٍ من شمال جزيرة سمطرا إلى أقصى الشمال الغربي من القارة الاسترالية.. أي أكثر من ثلاثة آلاف ميل. والجزر الأندونيسية موزعة في أربعة مجمعات تسمى على النحو التالي :-

١- جزر «سُنْدَا» الكبيرة.
٢. جزر «سُنْدَا» الصغيرة.
٣. جزر «المُلُوكا» المعروفة أكثر باسم «جزر البهارات».
٤. غرب إرِيَانْ، وهي النصف الغربي من جزيرة «غينيا الجديدة».

وتشمـل المجموعة الأولى الأربعة جزر الكبيرة حجم وهي جَاوَا وسمطرا، وسِلِيبِسْ وبورنيو (التي تسمى الآن أيضاً «كَلِمَنْتَان»)، وعشرات من الجزر الصغيرة

---

(١) راجع Bernard H. M. Vlekke Nosantara: A History of Indonesia, 1960.

المبعثرة حول هذه الأربعة. ويقطن في هذه المجموعة أكثر من خمسة وثمانين بالمئة من سكان أندونيسيا البالغ أكثر من مئة وخمسين مليون نسمة. وأكثرها سكاناً هي جزيرة جاوا. وهي الجزيرة الرئيسة والتي يعيش بها حوالي ثمانين مليون نسمة أي أكثر من نصف الأهالي بالبلاد. وتأتي أندونيسيا بالدرجة الخامسة في العالم في تعداد النفوس بعد الصين والهند والاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة.

وتضم المجموعة الثانية الجزر التي تمتد من جزيرة «بالي» المشهورة ببركانها العظيم وتمتد هذه المجموعة شرقاً إلى أن تصل جزيرة «تَيْمور». وأهم تلك الجزر سكانياً واقتصادياً هي جزيرة بالي وجزيرة لَامْبُوكْ وسِمبَاوَا وسُمِبَا وفَلُورِسْ وجزيرة تَيْمورْ. ويُعد مع هذه عشرات من الجزر الصغيرة والقريبة منها، ويسكن في هذه المجموعة حوالي عشرة بالمئة من سكان البلاد.

والمجموعة الثالثة المسماة المُلوكا كانت بيت القصيد في بدء الاستعمار الأوروبي الحديث كونها مصدر البهارات تاريخياً. وتشمل هذه جزيرة سيرام التي فيها تقع العاصمة الإقليمية «أَمْبون»، وجزر «أَمْبُويْنَا» و«بُورو» ومئات أخرى حولها. وتقع المجموعة فيما بين جزيرة سِلِيبِسْ الكبيرة الحجم وأراضي غرب إِرْيانْ. والمُلوكا هي المصدر التاريخي للبهارات كالفلفل وجوزة الطيب وكبش القرنفل وغيرها.

أما غرب إريان فهي النصف الغربي من جزيرة غينيا العظيمة الحجم والواقعة شمالي استراليا. وقد استقل الشرقي منها عام ١٩٧٥م من الحكم الاسترالي تحت اسم «بَابْوَا غينيا الجديدة». ويعيش في غرب إريان حوالي مليون ونصف المليون نسمة من قبائل معظمها في طورٍ بدائي من الحضارة. وهي بلاد جبلية مغطاة بالغابات الاستوائية الكثيفة. ولما استقلت أندونيسيا عام ١٩٤٩م رفضت هولندا الخروج من غرب إِريَانْ بحجة أن تلك لم تكن تاريخياً جزءاً من جزر الهند الشرقية. ولكن وبعد جهد جهيد استعادتها أندونيسيا عام ١٩٦٣م.

جزيرة بُورنيو هي أكبر جزيرة في الحجم في الأرخبيل الأندونيسي وأقلها تَطَوُّراً. يعيش فيها حوالي سبعة ملايين نسمة معظمهم قبائل بدائية شرسة تسمى

قبائل «دَايَاكْ». وقد ذكرنا هذه في الفصل الذي سبق[٢]. وقد سَمُّوهم الملاّحة الأوروبيون الذين كانوا يَهابونهم «دَايَاكْ البحر» إذ اشتهروا عندهم بالقرصنة والشراسة.

معظم أراضي بورنيو الداخلية جبال مغطاة بالغابات الاستوائية الكثيفة أهمها سلسلة جبال «شْوِيَنرْ» وسلسلة جبال «مُولرْ». أما الشواطىء فتكثر فيها المستنقعات والأدغال والزواحف والحشرات السامة.

جزيرة سُمَطْرا هي ثاني أكبر جزيرة في أندونيسيا بالحجم وبعدد السكان. وتُهَيْمِنْ على أواسطها ومن الشمال إلى الجنوب سلسلة جبال «بَارِسَانْ» البركانية. وتكثر في شواطئها الشرقية المستنقعات، مثلها مثل شواطىء بورنيو. وسمطرا غنية بالبترول وبالفحم والذهب والفضة وبمعدن القصدير، وفيها مزارع عظيمة الحجم من المطاط والقهوة والشاي وقصب السكر. ومن أهم مدنها مدينة «ميدَانْ» ومدينة «بَالِمْبَانج» المشرفتين على مضيق مَلاكا. ولكون سمطرا على الجانب الغربي من ذلك المضيق يجعلها ذات أهمية كبيرة استراتيجياً. كذلك تشرف شواطئها الجنوبية على مضيق «سُنْدا» الذي يفصلها عن جزيرة جاوا الرئيسة مما يزيد من أهميتها الاستراتيجية. وتقع معظم مدنها وقراها على الجانب الشرقي منها وعلى ظهور جبال بَارسَانْ.

الجزيرة «الأمْ» في أندونيسيا هي جزيرة جاوا. فيها يعيش أكثر من نصف سكان البلاد وفي أقصى غربيها تقع العاصمة «جاكارْتا» التي كان الهولنديون يسمونها «باتِيفْيا». وجاوا هي أكثر جزيرة تطوُّراً وأهمها اقتصادياً وسياسياً مع العلم أنها أصغر حجماً بكثير من بورنيو أو سُمَطْرا. وتمتد جاوا شرقاً ـ غرباً ضمن خط العرض عشرة جنوبي خط الاستواء. وتغطي السهول معظم أراضيها الشمالية بينما تصبح أراضها من الوسط وإلى الجنوب مغطاة بالتلال وبالجبال البركانية. وتقع إلى الغرب منها وفي مضيق سُنْدا جزيرة «كْراكَاتَاو» الصغيرة التي فيها أَعْنَف بركانٍ على كل الكرة

(٢) لما تكلمنا عن كيف استولى الإنجليزي بْرُوكْ على أراضي سَرَاوَاك.

الأرضية والمسمى بعد اسمها. وقد اشتهر هذا البركان بعد انفجاره عام ١٨٨٣م وهـو يعد لليوم أعنف انفجار بركاني في كل العصر الحديث، إذ غطّت حممه السماء لمسافات طويلة ومساحات عظيمة في المنطقة. ويذكر أن بعض ما لفظه البـركان حينها قد وصل جزيرة مَدَاغَسْكَرْ (ملاجاسي اليوم) قرب القارة الإفريقية والتي تبعد أكثر من ستة آلاف ميل إلى الغرب من جاوا.

جزر أندونيسيا استوائية المناخ لا يوجد فيه تغيير أو فصول، والمطر الغزير هو حدث يومي والحرارة والرطوبة عالية جداً. ويجد السكان بعض التخفيف من وطأة الحر بالهرب إلى الجبال والسكن فيها.

هناك ظاهرة غريبة اكتشفها علماء أجناس الحيوانات والنباتات في مجموعة جزر «سُنْدا الصغيرة»، حيث وجدوا أن الحيوانات والنباتات في جزيرة بَالي تنتمي للأصناف الآسيوية. أما في جزيرة لاَمْبُوك التي تبعد أميال قليلة فقط عن بالي وإلى الشرق منها فتصبح الأصناف الحية فيها استرالية. وتختلط الأصناف في عديد من الجزر إلى الشرق من لاَمْبُوك مما جاء بالنظرية المسماة «نظرية سَرَاسِنْ»[3] التي ترى أن تلك الجزر كانت في الأصل جسراً ربط القارة الآسيوية بقارة استراليا.

السكـــان

يشكل أهالي أندونيسيا الذين يبلغ عددهم أكثر من مئة وخمسين مليون نسمة عدة عناصر بشرية وخليط منها ومن حضاراتها كلها تمت إلى أصل ماليسي. ففي جاوا فقط يوجد ثلاثة عناصر رئيسة وهي أولاً «الجـاويين» وهم أكثر عدداً من كل عناصر سكان أندونيسيا، و«السِّنْدِيِّين» الذين يتواجدون في الغرب من الجزيرة، و«المَدُرِيِّين» الذين يقطنون في أقصى الشرق منها وفي جزيرة «مَدُورَا» القريبة جداً من جاوا وتُعد جزءاً منها.

ويوجد في سُمطرا «آشِنيين» يسكنون في أقصى الشمال وهم خليط من دم

(٣) بعد اسم عالم الأصناف الهولندي الذي تكهّن بها.

عربي ومـاليسي. وقد اشتهر هؤلاء بمحاربة ومقاومة الهولنديين طيلة استعمارهم الطويل هناك. ويوجد أيضاً في سمطرا قبائل «بَتَاكْ» الذين تمذهب العديد منهم للمسيحية ويعيشون جنوبي أراضي آشِنْ. وقبائل «مِنِنكَابُو» ويسكنون في أواسط سمطرا، وقبائل «لُمْبُنْجْ» في أقصى الجنوب من سمطرا.

بورنيو بها، وكما ذكرنا سابقاً قبائل «دَايَاكْ» المتوحشة، وهم قسمان «دايَاكْ البحر» و«دَايَاكْ البَر».

جزيرة «سِلِيبِسْ» بها قبائل «مَكَسَّرْ» وقبائل «تُرادْجا» و«المَنَادُوِين» الذي اعتنق بعضهم الميسيحية.

أمـا جزيرتي «فْلورسْ» و«تيمور» في مجموعة «سندا الصغيرة» وحسب تعبير الباحث بنيامين هِجِنْزْ:-

«تشكلا متحفاً به كل أنواع وأصناف البشر التي مَرَّت بذلك الأرخبيل عبر العصور»[4].

ويقـول هِجِنْزْ هذا أن دم أهلهـا هو خليط من الـدم الماليسي والمَلُونيسي والإفريقي والأسترالي الأصل والبَّابْواني وغيره.

وتـطلق كل من العنـاصـر البشرية المختلفة في أندونيسيا على نفسها نَعْت «بَانْجَا» أي أمة. غير أن معظم تلك «الأمم» هي من أصل ماليسي ولغتهم الرئيسية هي لغة «بْهاسَا» وهي ماليسية ودينهم هو الدين الإسلامي. ولاختلاطهم بالعرب على مدى القرون تأثرت حضارتهم كثيراً من الحضارة العربية الإسلامية. كذلك هناك دمغة هندوسية على حضارتهم حيث إن الكثير منهم كان هندوسياً قبل وصول الإسلام لهناك.

يوجد في أندونيسيا أكثر من ثلاثة ملايين شخص من أصل صيني وفد بعضهم من جنوب الصين قبل عشرة قرون أيام التجارة الصينية مع أهل تلك الجزر. غير

(٤) Benjamin and Jean Higgins Indonesia, 1963.

أن معظمهم جاء فيما بين عام ١٨٦٠ و١٩٣٠م أي بعد الاستثمار الهولندي الكبير في مناجم القصدير والألمنيوم وفي مستعمرات القهوة والمطاط والرز. وقد أثرى الكثير منهم أيام الاستعمار الهولندي وصاروا على الإجمال نخبة في البلاد يملكون المال والعقار ويتسلطون على النشاط الاقتصادي. وكما حصل في كل بلدان جنوب شرقي آسيا صار الصينيون هدف الحسد وحتى الكره من قبل أهل البلاد وخاصة لتعاونهم مع المُسْتَعْمِر إجمالاً[٥].

الموارد الطبيعية والصادرات

يقول الباحث فْرِد «جْرين»[٦] إن أندونيسيا كانت تسمى في أوائل أيام قدوم الأوروبيين «جزر الكنز» لما فيها من بهارات ثمينة وثروات. وقد برهنت هذه فيما بعد بأن بها حقاً كنز من المعادن كالقصدير والنحاس والذهب والفضة والألمنيوم والحجار الكريمة. كذلك وجد بها البترول وبها أخشاب ثمينة كالساج والماهون وهي غنية كمصدر للقهوة والمطاط والرز و«الكابُوك»[٧] والفستق وقصب السكر والشاي والكِينا والبهارات الثمينة على أنواعها وزيوت النباتات والخيزران وخيوط الخيش. كذلك هي كنز في موقعها الاستراتيجي إذ تشرف أراضيها على كل الممرات البحرية من الشرق وإلى الغرب وبالعكس. ويستخرج من غابات أندونيسيا حوالي تسعين بالمئة من الكينا في العالم وثمانين بالمئة من الفلفل وخمسة وسبعين بالمئة من «كابوك» العالم وحوالي ثلث المطاط الطبيعي في العالم وربع خيوط الخيش وخمس شاي العالم وكميات كبيرة من السكر والقهوة وغيرها وتنتج معظم هذه في مزارع كبيرة خاصة في جزيرة جاوا التي تكاد تكون مزرعة واحدة من الشرق إلى الغرب.

---

(٥) راجع مقال للباحث G. W. Skinner "The Chinese Minority
في كتاب جمعته Ruth Mcvey, Indonesia, 1963

(٦) المرجع نفسه.

(٧) يؤخذ من بذور نبتة «كابُوك» نُدَفٌ تشبه القطن الخام تقاوم الحر والبرد والتعفن وتستعمل في حشو سترات النجاة ولغاية العزل إجمالاً من البرد والحرارة.

أندونيسيا عضوٌ في منظمة «أوبِك» ومعظم بترولها يستخرج من الجنوب الشرقي من جزيرة سمطرا قرب وحول مدينة بَالِمْبانْج وفي الشمال الشرقي من جزيرة بورنيو قرب بلدة «تَارَاكَانْ» وفي الشمال من جاوا قرب مدينة «رِمْبانْج» وفي جزيرة «سيرام» في جزر الملوكا وفي أراضي غرب إريان وتعد أندونيسيا رابع أو خامس منطقة منتجة للبترول في العالم . . أي بعد حقول الشرق الأوسط العربي والفارسي والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وفَنْزويلا ومن ثم أندونيسيا.

تاريخها

تاريخ أندونيسيا يبدأ بتاريخ دولة «سْرِفجايَا» الذي امتد من حوالي عام ٦٠٠م وحتى عام ١٠٢٥م. وقد كان دين الدولة البوذية وكان مركز سلطتها مدينة «بالِمْبانْج» في الجنوب الشرقي من جزيرة سُمَطْرا. وقد بسطت تلك سلطانها على كل سُمطرا وعلى مضيق مَلاَكا وغربي شبه جزيرة ملايا. وصارت بعد القرن التاسع الميلادي مركزاً هاماً لتجارة البهارات مع الهند والصين والدولة العباسية. وتزامن بروز دولة سْرِفجايا مع ظهور دولة «سِيلَنْدرا» البوذية في جزيرة جاوا والتي ما زالت آثار معابدها في «بُورُو بُدُورْ» بأواسط جاوا تشهد لعظمتها. وفي حوالي عام ١٠٠٠م اجتاحت سْرِفجايا أراضي سيلَنْدرا في جاوا وقضت عليها. ولم تطل أيام سْرِفجايا بعد ذلك إذ هلكت بعد عام ١٠٢٥م وعلى أيدي قراصنة من الهند ونتيجة غاراتهم المتتالية عليها[٨].

وفسح زوال دولة سْرفجايا المجال لظهور سلسلة من الدويلات في جزيرة جاوا وحتى أيام قدوم البرتغاليين لهناك. فمن عام ١٠٠٠م تقريباً وحتى عام ١٢٢٢م ظهرت دولة «كَدِيرِسْ» في جاوا والتي وصل سلطانها لجزر مُلوكا في الشرق وعلى بهاراتها. ومن عام ١٢٢٢م وحتى ١٢٩٢م برزت دولة «شرق جاوا» وكان مركزها بلدة «سِنْجو سَاري» بعدها ظهرت دولة «مَجَاباهِيتْ» ومن عام ١٢٩٣م وحتى عام

---

(٨) راجع دراسة لروبرت نيل (Niel) بعنوان «مجرى تاريخ أندونيسيا» في كتاب جمعته Mcvey ، ذُكر سابقاً.

١٥٢٠م. وقد برزت هذه بعد ارتداد هجمات المنجول من هناك وفي نفس عام ١٢٩٣م[٩]. وما أن جاء عام ١٣٦٤م.. وهو آخر سنة من حكم قائدها وملكها المتنور «جَاجا مَادَا» (حكم من ١٣٣٠ إلى ١٣٦٤م).. حتى امتدت دولة مَجَابَاهِيتْ لتشمل جاوا وسمطرا وغربي مَلايا ومعظم جزر أندونيسيا اليوم. وقد وصلت قمة عظمتها أيام ملكها المذكور جَاجَا مَادَا والذي يعده الأندونيسيون اليوم أعظم شخصية في تاريخهم قبل وصول الأوروبيين لهناك[١٠].

وقد بدأ سلطان مَجَاباهيت يَتَضعضع في أوائل القرن الخامس عشر. حينها بدأ الدين الإسلامي ينتشر بسرعة في أطراف الدولة وأخذت السلاطين والقبائل المسلمة جديداً تقاوم السلطة البوذية في جاوا. وكان من أهم تلك السلاطين المسلمة سلاطين «آشِنْ» في أقصى الشمال من جزيرة سمطرا، وسلاطين «مَلاَكَا» في غربي شبه جزيرة ملايا الذين أسسوا تجارة مستقلة عن الدولة مع التجار العرب والفرس والصينيين والهنود. وقد أسْلَمَ هؤلاء نتيجة احتكاكهم مع المسلمين العرب والفرس.

ولم يطل الوقت بعد ذلك حتى قدم البرتغاليون عام ١٥١١م ليلاقوا أمامهم عالماً إسلامياً جديداً في الهند وفي جزر الهند الشرقية وبعد أن حاربوا العرب والإسلام من قبل في شبه جزيرتهم «إيبيريا» وفي حوض البحر المتوسط ولمدة أكثر من ثلاثة قرون بشكل الحروب الصليبية. فلا عجب إذاً إن كان ذلك اللقاء عدوانياً للغاية.

(٩) وقد عرف عن هذه الدولة وعن تاريخها أكثر ممن سبقها لتوفُّر ما دوَّنه عنها الكهنة البوذيون أيامها وخاصة في الملحمة الشعرية بعنوان «نَجَارَا كِرْتَجَاما» والتي نظمها كاهن بوذي عام ١٣٦٥م في مدح قائدها وملكها الراحل جَاجا مَادَا، بعد عام من موت الأخير. وقد كان جَاجَا في الأصل رئيس حرس آخر ملكٍ من سلسلة العائلة التي حكمت دولة مَجَابَاهيت، ونجح بإخماد ثورة قامت ضد الملك. بعد ذلك قام الملك واغتصب امرأته منه. بعدها حرض جاجا مَادَا أحد أطباء القصر على قتل الملك واستلم هو الحكم من عام ١٣٣٠م ولأن مات عام ١٣٦٤م.

(١٠) وقد اجتاح المنجول أيامها كل الشرق الأقصى ومن بعده الشرق الأوسط.

ذكرنا في الفصل الثاني أن القبطان الهولندي «هُوتْمانْ» وصل جزر الهند الشرقية عام ١٥٩٦م وعلى رأس حملة كبيرة لمحاربة الإسبان وطردهم من تجارة البهارات. وقد لاقى هوتمان غير التجار الإسبان سلطانين من أهالي البلاد مشتركين في تجارة البهارات.. أحدهم سلطان آشن في سمطرا والآخر سلطان «بانْتَام» في أقصى الغرب من جزيرة جاوا. وأسس الهولنديون في كلا السلطنتين مراكز لتجارتهم. ولحماية تجارتهم وتجارهم باشر الهولنديون ببناء عدة قلاع في مواقع استراتيجية في جزر الهند. وكان من أهم تلك القلاع وأكبرها قلعة في أقصى غربي جاوا سموها «بَتِيفْيا»، وقد أكملوا بناءها في عام ١٦١٨م. وصارت هذه فيما بعد عاصمة الاستعمار الهولندي في جزر الهند. وقد تغير اسمها بعد استقلال أندونيسيا ليصبح «جَاكَارتا».

وقد بنيت قلعة بَتِفْيا تحت إشراف هولندي (يهودي) اسمه جَانْ كوهين والذي صار يعد في تاريخ هولندا الحديث من «بناة الامبراطورية» الهولندية. حيث إنه، وفيما بين عام ١٦٠٦م وعام ١٦١١م، نجح كوهين هذا بطرد الإسبان من جزر الملوكا ومن تجارة البهارات وتخلص أيضاً من التجار الإنجليز، وطوَّع سلطان جزيرة «تارْنيتْ» في المُلُوكا والذي كان من أقوى المنافسين في تجارة البهارات، واحتل جزيرة «أمْبُويْنا» التي كانت من أهم جزر الهند إنتاجاً للبهارات. لذلك، ونتيجة لمآثره هذه نصَّبته شركة الهند الشرقية الهولندية في عام ١٦١٨م، وهو ما زال في الواحد والثلاثين من عمره، حاكماً عاماً هناك[١١]. حينها باشر هذا ببناء قلعة بتيفيا ونقل عاصمته من جزيرة «أَمْبُويْنَا» لبتيفيا.

وفي أول خمسة أعوام من حكم كوهين باشر هذا، وبنشاط وحزم كبيرين في تطهير كل جزر الهند الشرقية من أية منافسة في تجارة البهارات أهلية كانت أو من أي أوروبي آخر. كذلك طمح كوهين باحتلال جزر «الفلبين» وأخذها من إسبانيا. وقد اقترح كوهين لإدارة شركته:-

(١١) راجع Vlekke المرجع نفسه.

«احتلال الفلبين بقوات يابانية مرتزقة ومن ثم توطين هولنديين وصينيين فيها لأن هذين الشعبين شعبان نشيطان ومُسَالِمان»(١٢).

ويقول الباحث روبرت نيل(١٣) :-

«إن الطرق التي اتبعها كوهين للتخلص من منافسيه في الجزر، أكانوا من أهالي البلاد أو من الأوروبيين كانت وحشية للغاية لدرجة أثارت حتى اشمئزاز معاصريه من الهولنديين، غير أن نتائجها لهولندا كانت ولا شك مثمرة للغاية».

وبعد خمسة سنوات من استبداده في جزر الهند عاد كوهين (عام **١٦٢٣م**) ليتقاعد. غير أن الشركة أعادته لمنصبه ثانية عام **١٦٢٧م**. بعدها حكم لمدة عامين وتقاعد.

ولقد ثبَّت كوهين، ولا شك في ذلك الاستعمار الهولندي في جزر الهند الشرقية. . ذلك الاستعمار الذي صار أطول استعمار في كل العصر الحديث.

وصارت جزيرة جاوا دون غيرها من جزر الهند الشرقية «جوهرة الاستعمار» الهولندي، أو بالأصح استعمار شركة الهند الشرقية المتحدة في بادىء الأمر. وقد كان استعمار هذه دكتاتورياً مستبداً للغاية استعبد الأهالي في سبيل أرباحها. وأبقت الشركة الكثير من ما «دَجَّنَتْ» من سلاطين هناك لتحكم باسمها وعلى طريقة الاستعمار «غير المباشر». كذلك أبقت قانون الشريعة الإسلامية سارياً في البلاد والمسَمَّى هناك «أداةً». وابتعد الهولنديون إجمالاً عن أية محاولة لفرض أو بثّ دينهم المسيحي أو التَّبشير به ولربما لإدراكهم أنَّ الفشل سيكون من نصيبهم. والقليل ممن تمذهب هناك للمسيحية كانوا ما زالوا بوذيين من قبل أو هندوسيين.

واستعمل الهولنديون السلاطين الأهلية لجمع الضرائب وفرض الجزية على

(١٢) حسب المرجع Vlekke .

(١٣) نفس المرجع، نيل.

الأهالي وعلى طريقة عرفت باسم «التَّسْليم الإجباري». فيها فرضت الشركة على كل سلطانٍ جمع كمية معينة من إنتاج رَعاياه الزراعية ولصالح الشركة، بعد ذلك يجمع هو ما يمكنه جمعه منهم. وبالطبع ففيما بين ما فرضته الشركة عليه وما آبتزَّه السلطان «الفـاسِـدُ» من رعاياه عم الفقر والشَّقاء عامة الشعب الأندونيسي وأدى للكثير من القرصنة والثَّورات. وما إن جاء آخر القرن الثامن عشر ميلادي حتى صار من الصعب المحافظة على النظام وخاصة في جاوا. كذلك صارت الشركة تخسر بدل أن تربح من استعمارها هناك. وزاد الطين بَلَّة أنه وحسب معاهدة باريس عام **١٧٨٤م** التي أنهت حرب استقلال المستعمرات الأمريكية اجبرت هولندا على قبول بندٍ فيها فرضته بريطانيا يُنهي احتكار الهولنديين للتجارة في جزر الهند الشرقية. وهكذا صار لهم منافِسان جديدان هناك - الانجليز والأمريكيون. وكل ذلك جعل الحكومة الهولندية تضع يدها على السلطة في الجزر بدل الشركة في عام **١٧٩٨م** وأنهت الامتياز الذي منحته للشركة عام **١٦٠٢**(١٤).

وقد كان التأثير الهولندي على الشعب على أقله التأثير الثقافي والاجتماعي والديني. حيث إن الهولنديين اهتموا أولاً وآخراً بالربح المادي هناك. ومع العلم أنهم لم يهتموا لا بالتبشير بالمسيحية أو ببَثّ لغتهم وثقافتهم هناك، إلا أنهم عاملوا الأقليات المسيحية التي وجدوها هناك(١٥) معاملة خاصة أحسن بكثير من معاملتهم للأكثرية الساحقة المسلمة. ومن المسيحيين هناك كان ولا زال قبائل «بَتَاك» في سمطرا ومسيحيي مدينة «مُنادُو» وضواحيها في جزيرة سِلِيبِسْ(١٦) وجزء من أهالي جزيرة «أمبوينا» في جزر المُلوكا.

ذكرنا في الفصل الثامن أن هولندا الملكية تحالفت عام **١٧٩٣م** مع بريطانيا الملكية أيضاً لمحاربة الثورة الجمهورية الفرنسية والتي تزعمها أخيراً نابليون

(١٤) راجع آخر الفصل الثاني.

(١٥) التي صارت مسيحية أيام البرتغاليين والإسبان من قبل.

(١٦) راجع الفصل السابق تحت موضوع «السكان».

بونابارت. وقد أدى التحالف إلى اجتياح نابليون الأراضي الهولندية عام ١٧٩٥م واحتلالها. وقد هرب ملكها وليم الخامس إلى لندن وعاش هناك حتى انهزام نابليون أخيراً عام ١٨١٥م. وساعد على هزيمة هولندا وهرب ملكها وليم تآمر ضابط هولندي جمهوري النزعة اسمه هِرْمَان وليم «دِينْدِل» (Daendel) مع نابليون وضد ملكه وضد النظام الملكي في هولندا. وشكَّل دِينْدِل الذي صار رئيساً «لجمهورية» هولندا بدعم من نابليون جيشاً جمهورياً تعاون مع جيوش نابليون في الحروب النابليونية. وبالطبع دعمت بريطانيا ملك هولندا الشرعي الملك وليم الذي لجأ لها. وهكذا صار انفصام في حكومة هولندا أحدها ملكية في لندن والأخرى جمهورية في الهِيج عاصمة هولندا. والذي جرى في امبراطورية هولندا من وراء البحار كان كالتالي:-

صار الملك وليم يرسل رسائله من لندن يأمر حكامه هنا وهناك في أطراف الامبراطورية بالتعاون مع بريطانيا كحليفة وصديقة. وصار الرئيس الجمهوري دِينْدِل يرسل لهم أوامر من الهيج يأمرهم التعاون مع الفرنسيين. والذي جرى على أرض الواقع هو أنه وبصفة أن بريطانيا كان لها الأسطول الأعظم والذي كان بإمكانه الوصول لتلك الامبراطورية، صارت الامبراطورية الهولندية إجمالاً.. في جزر الهند الشرقية وفي سيلان وفي بحر الكريب وفي رأس الرجاء الصالح. كلها تحت رحمة بريطانيا.

وفي جاوا بالذات جرى كالتالي. صار الحاكم العام الهولندي في بَتِيفْيا واسمه وليم «أَلْتِنْجْ» (Alting) يعلن رسمياً أنه يأتمر بأمرة عاصمته الهيج والجنرال دِينْدِل ولكن في الواقع يتخذ الحزم ضد أي هولندي هناك يظهر مظاهر الليبرالية أو الولاء للجمهورية[١٧]. ولم تنخرط حكومة بتيفيا في أي شكل من الأشكال بالحروب

(١٧) راجع Vlekke نفس المرجع. وقد سميت رسائل وتعليمات الملك وليم في التاريخ «رسائل كْيُو» (Kew Letters). وكيو هي منطقة غربي لندن كانت مقراً للملك وليم أيام إقامته في منفاه هناك.

النابليونية. وكل ذلك ناسب تماماً حكومة الشركة الإنجليزية في الهند وحكومة بريطانيا في لندن[١٨].

وتغير ذلك الوضع نوعاً ما بعد ١٨٠٨م. حينها أرسل نابليون الجنرال دينْدل نفسه ليحكم بتيفيا. وراح هذا هناك يجدد في أمور الإدارة ويدخل أفكاراً جمهورية ليبرالية ويتدخل بأمور السلاطين وسلطاتهم مما صَيَّره وبخلال سنتين من وجوده هناك مُسْتَنفراً تماماً من قبل زعماء البلاد. وقد زاد نفورهم منه بعد مباشرته بإصلاح طرق جمع الضرائب وضبطها لتدر المال الأكثر لحكومته ولجهده الحثيث في زيادة إنتاج القهوة والسكر والرز وغيره من المحاصيل ولصالح دولته ولدعم نابليون أكثر. كذلك أخذ ديندل ببيع مساحاتٍ كبيرة من أراضي جاوا الزراعية للصينيين لجمع المال لدعم مجهود نابليون الحربي. وكل ذلك أدى لقرارٍ إنجليزي (من الهند) لغزو جزر الهند وأخذها من هولندا الجمهورية. وجرى ذلك الغزو في أيلول ١٨١٠م وكان قائدها إنجليزي باسم طوماس سْتَامْفورد «رافِلزْ» (Raffles) حاكم جزيرة بينانج في مضيق ملاكا والذي ذكرناه في الفصل الثامن عن ملايا. وصار رافِلز حاكماً لجاوا أيضاً بعد أن طرد ديندل منها وظل كذلك حتى عام ١٨١٦م. بعده أعادت بريطانيا لهولندا الملكية ثانية مستعمراتها في جزر الهند الشرقية.

وقد أدخل رافِلز في حكمه القصير في جاوا الطريقة التي كانت تمارسها الشركة الإنجليزية في الهند المسماة «طريقة استئجار الأراضي». وموجز هذه الطريقة والفلسفة من ورائها هو أن الأرض هي ملك الدولة فقط. لذا فلها الحق المطلق بتأجيرها إن أرادت وجمع الأجر حسب ما تنتجه الأرض سنوياً[١٩]. وسنتكلم فيما بعد عن هذه الطريقة وعن نتائجها.

بعد خروج الإنجليز من جاوا أبقت الحكومة الهولندية «طريقة استئجار

(١٨) كيدي، نفس المرجع.

(١٩) راجع نيل، المرجع نفسه. والمبدأ هذا يقرب من النظرية الشيوعية ويقال إن كارل ماركس اقتبس بعض أفكاره منها.

الأرض» سارية المفعول. ولم يطرأ على جزر الهند بعد ذلك من أحداثٍ سياسية هامة (غير ازدياد بؤس الأهالي) منذ ذلك الحين حتى احتلال اليابان تلك الجزر أثناء الحرب العالمية الثانية إلّا «ثورة نَجارا» عام ١٨٢٥م.

يعد الأندونيسيون ثورة نَجارا فاتحة وطنيتهم الحديثة. وقد تزعم تلك الثورة أمير من أواسط جاوا ومن سلطنة جُو جَاكارتا اسمه «ديبَا نَجارا». والسبب المباشر لها كان رفض الحاكم الهولندي في بتيفيا الاعتراف بوراثة الأمير عرش أبيه الراحل لما عُرف عنه من «تمـرُّدٍ وآستقلالية في الرأي». وقد أعطى الحاكم الهولندي السلطة والسلطان لأخٍ له أصغر منه وأكثر منه «موافقة» (أي مدجن وتسهل المعاملة معه). أما أسباب الثورة الكامنة فهي النفور العام عند الشعب من رجوع الاستعمار الهولندي بعد عام ١٨١٦م الذي استغله واستعبده وأنهكه بالضرائب وبطريقة «الاستئجار» المذكورة قبلاً والتي جردت الأهالي من ملكية أراضيهم وسَخَّرتهم بالعمل الإجباري وبدون أجر في مزارع الهولنديين (والصينيين) العظيمة المساحة وأخيراً بيع أراضيهم للأقلية الصينية التي أثرت على حسابهم وتعاونت مع هولندا ضدهم. وكل ذلك جاء بثورة نَجارا عام ١٨٢٥م والتي طالت لمدة خمس سنوات وأخذت طابع ثورة وطنية شاملة. وكما أسلفنا يعدها الأندونيسيون فاتحة وطنيتهم الحديثة ويعدون الأمير ديبا نَجارا عميد أبطالهم في العصر الحديث. وكانت الثورة دموية ومكلفة بالمال والأرواح، وخاصة بأرواح الأهالي إذ يقدر أن أكثر من مئتي ألف أندونيسي وخمسة عشر ألف جندي هولندي قتلوا فيها[٢٠]. وقد وضعت هولندا كل جهدها المادي والعسكري لإخمادها. ومن أجل ذلك عرضت على الأمير التفاوض ودعته للعاصمة بتيفيا. ومن الأسباب التي أرغمت هولندا التخلص من الثورة بسرعة كان قيام ثورة البلجيك عليها عام ١٨٣٠م، إذ كانت البلجيك مستعمرة أيضاً من هولندا. على كل حال، وبعد أن قدم الأمير نَجارا لبتيفيا «للتفاوض» قامت السلطات الهولندية وغدرت به وألقت القبض عليه ونفته لجزيرة سِليبس حيث مات هناك. ولا عجب في ذلك إذ أن تاريخ الاستعمار الأوروبي مليء بمثل ذلك السلوك.

(٢٠) راجع Vlekke.

انتهت ثورة نَجارا عام ١٨٣٠م وبدأت فيه ثورة البلجيك. وطالت الأخيرة حوالي تسع سنوات وكانت أكثر كلفة مادياً على هولندا. وكل ذلك كاد أن يفلس هولندا.

وكان أثر ذلك على جزر الهند أن أسست السلطات الهولندية هناك ما سمته «النمط الزراعي» وخاصة في جزيرة جاوا، ومن أجل إنقاذها وإنقاذ هولندا من الضائقة المالية. وكان صاحب هذه الفكرة وتلك السياسة أحد نبلاء هولندا المحافظين (أي ظل أيام نابليون وأيام جمهورية دِينِدِلْ مخلصاً للملكية) اسمه يوهانِسْ فانْ دِنْ «بُوش» (Bosch). وقد عُيِّن هذا بعد رجوع الملكية لهولندا حاكماً عاماً لجزر الهند الشرقية. وموجز ما نَفَّذه بُوشْ هناك هو فرض ضريبة «استئجار الأرض» وجمعها من الأهالي والتي بلغت خُمْسَي (٢/٥) إنتاجهم من المحصولات فيما لو زرعوا ما يرغبون زراعته، أو زراعة خُمْسْ (١/٥) أراضيهم بمحصول يُحدِّدُه مدير «النمط الزراعي» في بيتفيا وتجمعه الدولة لصالحها. وبالطبع كانت الأولوية للدولة أولاً في انتقاء الأرض المخصصة للدولة وفي العمل في زرعها وجمع محاصيلها وتسليمها للدولة. ويقول الباحث فْلكِّي[٢١]:-

«إن نتيجة تلك السياسة أن أصبحت جاوا كلها وكأنها مزرعة واحدة عظيمة الحجم تملكها هولندا وسخَّرت بالعمل فيها كل أهاليها مما أثَّر سلبياً على كميات المحاصيل التي كانت تنتج لاستهلاك الأهالي كالرز، مما سبَّب العديد من المجاعات والتي كان أبشعها مجاعة طالت من عام ١٨٤٨م وإلى عام ١٨٥٠م».

وقد كثرت الأصوات المطالبة بتغيير تلك السياسة أو تخفيف وطأتها حتى في هولندا وبدون جدوى. حيث ظلت هذه هي سياسة الاستعمار الهولندي طوال القرن التاسع عشر وما بعده.

(٢١) Vlekke، أو راجع الباحث هُولْ عن مطول نتائج تلك السياسة سلبياً على الأهالي.

وتزايد ما كانت هولندا تستغله من جزر الهند بعد اكتشاف معدن القصدير وبكميات كبيرة خاصة في جزيرتي «بَانْجكا» و«بلِتُون» وفي الثمانينات من القرن التاسع عشر. وبعد افتتاح قنال السويس عام ١٨٦٩م تضاعف عدد السفن المارة من هناك وتضاعفت معها التجارة العالمية. وكل ذلك كثَّف من زراعة المطاط والقهوة في جزر الهند وفي مستعمرات زراعية عظيمة الحجم والإنتاج وكثَّف من قدوم العمالة الصينية ومن تسخير الأهالي بالعمل في تلك المزارع وكثَّف من بؤسهم.

امتداد الاستعمار الهولندي للجزر الخارجية

انصبَّ اهتمام الشركة الهولندية ومن بعدها حكومة هولندا في استغلال جزيرة جاوا وجزر الملوكا في بادىء الأمر حتى أواسط القرن التاسع عشر وأهملوا إجمالاً ما كان يجري في جزر الهند خارج هذه. لكن، وبعد وصول الإنجليزي جيمز «بْرُوكْ» إلى سلطنة بروني[٢٢] في الجزء الشمالي من جزيرة بورنيو وأخذ يفرض سلطانه (وبذلك سلطان بريطانيا) على سَرَاواكْ بعد عام ١٨٤١م باشرت هولندا بفرض سلطانها هي على باقي جزر الهند خارج جاوا وجزر الملوكا خوفاً بالطبع من دخول غيرها فيها واستعمارها وكما فعل بْرُوكْ. ففي عام ١٨٤٩م احتل الهولنديون جزيرة «بَالِيْ» القريبة من جاوا. وفي عام ١٨٥٤م باشروا باحتلال باقي جزر «سُنْدا الصغيرة». وفي عام ١٨٥٩م دخلوا أيضاً جزيرة سليبس الكبيرة الحجم. وقبل ذلك بثلاثة أعوام، أي في عام ١٨٥٦م بدأوا بتطويع جزيرة سمطرا، قامت أثره عدة حروب بينهم وبين سلاطين آشِنْ الذين قاوموا الهولنديين بشراسة وكان أطول تلك الحروب الحرب التي طالت من عام ١٨٧٣م حتى عام ١٨٩٨م. ويرى المؤرخ هول[٢٣]:-

(٢٢) راجع الفصل السابق.

(٢٣) هول، نفس المرجع.

«أن تلك الحرب كانت أطول وأصعب حربٍ خاضتها هولندا في كل تاريخها الاستعماري الطويل، وأنه لو لم تضع هولندا كل جهدها العسكري فيها لما غُلب على أمرِ آشِنْ أبداً».

على كل حال، وحتى بعد عام ١٨٩٨م ظلت سلاطين آشن تقاوم هولندا حتى عام ١٩٠٨م. وفي تلك الأثناء جلبت تلك الحرب أنظار العالم الإسلامي ضد الاستعمار الهولندي هناك ولكن لم يكن لها حينها حيلة كونه كان كله مستعمراً من الأوروبيين. وما هي إلا ثلاث سنين بعد تطويع آشن كلياً حتى تأسَّس أول حزب وطني حديث في أندونيسيا طالب بالاستقلال وتحت اسم «سَرَكاتْ إِسْلاَمْ».

الفصل الحادي عشر

الوطنية والاستقلال الأندونيسي

تكوين الأحزاب

كان حزب «سَرَكات إسلام» أول حزب في جزر الهند طالب بالاستقلال من هولندا. وتأسس هذا عام ١٩١١م. وبالطبع وبصفة أن البلاد مسلمة كان توجه الحزب توجهاً إسلامياً يهدف لنهضة الدين الإسلامي وتخلص الجزر من الاستعمار الهولندي المسيحي ومعه «الاستعمار» الصيني البوذي. ذلك لأن الأقلية الصينية التي وفدت لهناك في ذيول الاستعمار الهولندي كانت قد تسلطت هي أيضاً، مثلها مثل الهولنديين على اقتصاد البلاد وعلى العلم والتقنيات فيها، وتعاونت مع المستعمر في ما شكى منه أهل البلاد المسلمة. ولربما كان اسهل على الزعماء المسلمين في بادىء الأمر أن يهاجموا «الاستعمار الصيني» ويلتفوا حول ذلك الشعار خوفاً بالطبع من بطش الهولنديين. وقد أكَّد حزب «سركات إسلام» على أن نجاح الصينيين في بلادهم كان نتيجة لتماسكهم مع بعضهم البعض وتضامنهم ودأبهم بالعمل والتأكيد على تعليم أولادهم. لذا حض الحزب شعبه على أخذ العبر من ذلك.

ونما حزب سركات إسلام بسرعة، خاصة في جاوا حيث تأسس. ولكن وبعد مرور بضع سنوات انشق الحزب إلى حزبين أحدهما اشتراكي ـ ماركسي النزعة طالب بمهاجمة الاستعمار الهولندي والرأسمالية وطالب باستعمال العنف والثورة في سبيل تحقيق استقلال البلاد. أما الآخر فكان أكثر تحفُّظاً وأراد السعي للاستقلال عن سبيل التحرك المعتدل والتضامن الإسلامي.

وفي عام ١٩٢٠م أسس الأعضاء الاشتراكيون في الحزب حزباً شيوعياً لكنهم بقوا تحت جناح سركات إسلام حتى عام ١٩٢٣م حين طردوا منه. وقد قُدِّر للحزب الشيوعي هذا أن يصبح أكبر حزب شيوعي في كل منطقة جنوب شرقي آسيا ومن أكبر الأحزاب الشيوعية في العالم قاطبة. إذ قدِّر عدد أعضائه قبيل عام ١٩٦٥م. أيَ قبل الانقلاب العسكري على الرئيس أحمد سوكارنو والمجازر التي اقترفها الجيش على الشيوعيين حينها. قُدِّر عدد الحزب بما يقارب المليوني عضو[١]. وصار الحزب الشيوعي بعد استقلال أندونيسيا عام ١٩٤٩م يدعم عدداً من المنظمات والنقابات الأندونيسية أهمها «منظمة العمال المركزية لكل أندونيسيا» المقدر عدد أعضائها قبل الانقلاب بثلاثة ملايين عضو والمنتسبة لمنظمة «فدرالية نقابات عمال العالم» في موسكو. وكان أهم زعيمين للحزب الشيوعي قبل أن حلَّه وشتَّته الجنرال سوهارتو زعيم الانقلاب العسكري عام ١٩٦٥م[٢] رجل اسمه «أيْديتْ» وآخر اسمه «لُقْمان». وقد كان هذان وزيران في أيام حكم الرئيس أحمد سوكارنو وقبل الانقلاب. وقد نظَّم الحزب عدداً من المظاهرات في جاوا وفي سمطرا ضد الاستعمار الهولندي في عامي ١٩٢٦م و١٩٢٧م. بعدها قامت السلطات الهولندية ونَفَتْ وسَجَنَتْ عدداً من زعمائه منهم الزعيمين المذكورين. ومنها أخذ الحزب يعمل بالسِّر طوال ما تبقى من أيام الاستعمار الهولندي[٣].

أحمد سوكارنو والحزب الوطني الأندونيسي

أسس الطلاب الأندونيسيون طوال العشرينات من القرن العشرين عدداً من النوادي السياسية وخاصة في المدن الرئيسية من جزيرة جاوا. وقد سموا هذه النوادي «حلقات دراسية سياسة». وهدفت هذه لتوعية الشباب الأندونيسي ولما يجب أن يطمحوا له سياسياً ووطنياً. وإحدى هذه كانت حلقة أسسها شابان من

(١) راجع جريدة نيويورك تايمز الأمريكية عدد ٧ نيسان ١٩٦٣م. ولربما كان الحزب قبلها ثالث حزب في العالم عدداً، أي بعد الحزب الشيوعي الصيني والحزب في الاتحاد السوفييتي.

(٢) ورئيس البلاد لليوم (عام ١٩٩٠).

(٣) راجع نيلْ، المرجع نفسه.

جامعة «بانْدُنْغ» في اواسط شرقي جاوا هما أحمد سوكارنو وآخر اسمه تْجِبْتو «كاسُومُو»[٤]. وفي عام ١٩٢٧م أسس الاثنان «الحزب الوطني الأندونيسي»[٥]. وبعد عامين من ذلك نفت سلطات الاستعمار كاسُومُو من جاوا وصار سوكارنو زعيم الحزب الأوحد.

ومنذ نشأة الحزب بدأ يطالب الاستعمار بتحويل بعض السلطات الحكومية لأيدي الشعب الأندونيسي وزعمائه كتلك التي سمح بها الاستعمار البريطاني في الهند بعد عام ١٩١٩م وحسب ما سُمِّي «قرار الهند ١٩١٩م». وقد تطلع سوكارنو وزملاؤه حينها لما كان يجري في الهند وحاولوا الامتثال به بما فيه سياسة «عدم التعاون» التي اتبعها الزعيم الهندي مهاتما غاندي وسياسة «المقاومة السلمية».

وقد نجح سوكارنو وجماعته بعض الشيء في بادىء الأمر باتباع تلك الطرق غير أن الهولنديين اعتقلوه أخيراً في ٢٩ كانون أول ١٩٢٩م ونفوه مع عديد من أعوانه إلى جزيرة فْلورِسْ شرقي جاوا وبعدها إلى جزيرة سمطرا. بعدها حرمت السلطات الهولندية أية اجتماعات لها طابع سياسي ومنعت نهائياً أي استعمال لاسم «أندونيسيا» في البلاد. كذلك زجَّت الكثير من زعماء مختلف الأحزاب بالسجن أو أرسلتهم للمنفى. وظل هذا هو الوضع حتى قدوم اليابانيين إلى هناك أثناء احتلالهم جزر الهند الشرقية في الحرب العالمية الثانية من عام ١٩٤٢م وحتى عام ١٩٤٥م.

وكانت الثلاثينات من القرن العشرين سنين اضطهاد زائد لأي تحرك وطني في جزر الهند. وكان أقساها أيام حكم الهولندي ب. س. «دي جُونْغْ» (de Jonge) ١٩٣١م - ١٩٣٦م. وما أن انتهت الثلاثينات وبدأت الحرب العالمية الثانية حتى بان وكأنَّ الحركة الوطنية الأندونيسية قد قُضي عليها واستتب أمن الاستعمار الهولندي.

وكان من نتائج صرامة الحكم الهولندي أن نظر الكثير من الزعماء الوطنيين لليابانيين نظرة المحرر والمخلص من هولندا، وباستثناء الشيوعيين. وقد قاوم

(٤) وكان سوكارنو طالباً في فرع الهندسة والآخر بفرع الطب.

(٥) وقد كان الاسم «أندونيسيا» ممنوعاً استعماله بأمرٍ من السلطات الهولندية.

الحزب الشيوعي الاحتلال الياباني أكثر ما قاومه أي حزب أندونيسي آخر. كذلك قاومته الأقلية الصينية ولما لاقته الصين (الأم) من خراب ودمار واضطهاد على أيدي الغزاة اليابانيين ومنذ احتلال اليابان مقاطعة مانشوريا الصينية في عام ١٩٣١م. وبالطبع كال الجيش الياباني الصاع صاعين للصينيين في جزر الهند وفي غيرها من بلدان جنوب شرقي آسيا أثناء الحرب.

الحرب العالمية الثانية

أسلفنا أن اليابان بدأت حربها ضد الحلفاء.. بريطانيا وأمريكا وغيرهم في السابع من كانون أول عام ١٩٤١ وبعد أن هاجمت أساطيل ومرافىء تلك الدولتين في المحيط الهادي. ولم تكن هولندا، مثلها مثل بريطانيا أو أمريكا، مستعدة لمثل الهجوم الخاطف الذي قام به اليابانيون في الحرب. لذلك استسلمت المستعمرات الأوروبية والأمريكية في جنوب شرقي آسيا واحدة بعد الأخرى وبدون مقاومة تذكر في معظم الأحيان. وما هي إلا ثلاثة شهور فقط بعد بدء الحرب.. أي من ٧ كانون أول ١٩٤١م وحتى ٩ آذار ١٩٤٢م.. حتى احتلت اليابان كلاً من برما ومَلاَيا وجزر الهند الشرقية وجزر الفلبين. ففي جزر الهند وفي يوم ٩ آذار ١٩٤٢م استسلم قائد الجيش الهولندي هناك، الجنرال «تِرْ بُورْتِنْ» (Ter Poorten) لليابانيين. وجرى ذلك في مدينة باندُنْجْ الأندونيسية.

ولم يطل شهر العسل بين اليابانيين وبين أي أندونيسي ظن أن اليابان جاءت فقط لتحريره من الاستعمار الهولندي. ذلك لأن جهود اليابان الحربية ضد أعدائها تتطلَّبُ منها استغلال كل ما أمكن من موارد في الأراضي التي احتلتها وتسخير أهاليها في ذلك المجهود أكثر مما سُخِّروا من المستعمر الأوروبي من قبل والتأكيد على فرض النظام والولاء التام عليهم ومنهم.

ولتخدير الأغلبية الساحقة المسلمة في جزر الهند لعبت اليابان على وتر الدين كالظهور بمظهر المدافع والصديق للدين الإسلامي ضد المستعمر المسيحي والمتعاون معه الصيني «البوذي». ففي عام ١٩٤٣م، وبمحاولة لكسب الدعم الإسلامي هناك شجعت اليابان تأسيس ما سُمِّي «مجلس المسلمين الأندونيسيين»، والذي عُرف أكثر باسم «حزب مَسْجومي». وافترض في ذلك

المجلس أن يشمل كل الجماعات والنوادي والمنظمات الإسلامية في البلاد. كذلك على الصعيد السياسي وفي نفس العام (١٩٤٣م) تأسس بتشجيع من اليابانيين في الجزر ما سُمِّيَ «بوتيرا» (Putera) أو حزب «محور سلطة الشعب». وافترض في هذا أيضاً أن يشكل كل الجماعات والنوادي والمنظمات السياسية السابقة. كذلك أفرجت اليابان عن الزعماء الأندونيسيين (باستثناء الشيوعيين) الذين كانوا قد زجُّوا بالسجون الهولندية أو في المنفى مثل أحمد سوكارنو وكاسُومُو وسمحوا لهم بتزعم «محور سلطة الشعب» وحزب مسجومي، أملاً منهم بالطبع أن تدعم تلك المؤسسات وقيادتها مجهود اليابان الحربي. لكن سرعان ما اهتم الأندونيسيون بتطلعاتهم الوطنية أكثر مما اهتموا باليابان وصاروا يضغطون عليها مطالبين بحرياتهم وحقوقهم. واشتد ذلك الضغط خاصة بعد التوجه السلبي لمجرى الحرب ولغير صالح اليابانيين في أواخر عام ١٩٤٤م. ولكن وعلى الإجمال ظلت اليابان تحكم وترسم في الجزر وبصرامة شديدة حتى آخر شهر من الحرب تقريباً. وأخيراً وفي ٨ آب ١٩٤٥م قامت اليابان ومن طرفٍ واحد ومنحت أحمد سوكارنو «استقلال أندونيسيا»[٦]. وبالطبع كانت اليابان نفسها في حالة تدهور عسكري أمام جيوش الحلفاء ولم يكن استقلال أندونيسيا في يدها لِتمنحه. حيث أنه وبعد سبعة أيام فقط من ذلك خرجت اليابان من هناك، وبعد شهر واحد من تلك «المنحة» استسلمت دولة اليابان للولايات المتحدة وبدون قيدٍ أو شرط.

على كل حال قام أحمد سوكارنو من جانبه وأعلن في ١٧ آب ١٩٤٥م استقلال أندونيسيا. غير أن جيوش الحلفاء المنتصرة باشرت بالنزول على شواطىء الجزر وباشر الأندونيسيون يحاربون الهولنديين العائدين لانتزاع استقلالهم من الاستعمار بالقوة.

حرب الاستقلال

انتهت الحرب العالمية الثانية في أيلول ١٩٤٥م. بعد ذلك جرى في

(٦) وجرى ذلك بعد اجتماع لليابانيين مع أحمد سوكارنو في سايجون في نفس اليوم.. ٨ آب ١٩٤٥م.

أندونيسيا مثلما جرى في فيتنام وفي باقي دول الهند الصينية. إذ هناك أيضاً بدأت القوات البريطانية والهولندية تنزل في جاوا وفي باقي الجزر إثر خروج اليابانيين وباشرت قياداتها بالمفاوضة مع سوكارنو، لكسب الوقت على ما بان فيما بعد حتى تصل قوات هولندية أكثر لمحاربته. ومما حفَّز بريطانيا خاصة على مقاومة أي استقلال في عالم الاستعمار وكما عرضنا سابقاً، كان خوفها من أن يشجع ذلك الوطنيين في إمْبراطوريتها، وخاصة في الهند للمطالبة بالمثل.

وجرت عدة محادثات بين الزعماء الأندونيسيين وبين هولندا فيما بين عام ١٩٤٥م وعام ١٩٤٧م كلها أخفقت. ذلك لأن هولندا كانت تعرض دورياً فكرة «الحكم الذاتي» للوطنيين وكان هؤلاء يطالبون بالاستقلال التام. أخيراً وقَّع الجانبان وفي ٢٥ آذار ١٩٤٧م اتفاقية «لِنْقَدْ جاتي» التي نَوَّهت هولندا فيها بقبول استقلال أندونيسيا على شرط أن يطلق سوكارنو وأعوانه سراح الآلاف من الهولنديين الذين كانوا رهن السجون وفي أيدي القوات الوطنية منذ خروج اليابانيين من هناك. فيها أيضاً اشترطت هولندا على أن تنضم أندونيسيا المستقلة في وحدة فدرالية مع هولندا ومع جزر الهند الغربية التي تقع في بحر الكريب والتي كانت تحكمها هولندا. وعلى هذا الأساس وعدت هولندا أنها ستسحب آخر جندي لها في جزر الهند وبحلول ١ كانون ثاني عام ١٩٤٩م.

وقبل الزعماء الأندونيسيون ذلك. لكن وبعد إطلاق سراح السجناء الهولنديين صممت هولندا على أن لها الحق بأن تحكم الجزر حكماً تاماً وحتى حلول ١ كانون ثاني ١٩٤٩م لتتأكد من تحقيق تأسيس الفدرالية المقترحة. ولما رفض الوطنيون ذلك قامت الحرب بين الطرفين من جديد من نيسان ١٩٤٧م وبعد. وفي تموز ١٩٤٧م عرضت دولة أستراليا موضوع استقلال أندونيسيا على مجلس الأمن الدولي[٧]. وجاء قرار المجلس في ١ آب ١٩٤٧م فيه طالب الفريقين المتنازعين بالمفاوضات السلمية ووقف الحرب. غير أن الحرب ظلت دائرة. وفي ١٥ كانون أول عام ١٩٤٨م أعلنت هولندا فرض حصار بحري على جزر الهند الشرقية وألقت

(٧) وكان سبب اهتمام استراليا بذلك قربها من الحرب الدائرة في جزر الهند الشرقية المجاورة لها.

سلطاتها هناك القبض على أحمد سوكارنو وعلى عدد كبير من أعوانه وزَجَّتهم بالسجن. وأخيراً وفي تشرين أول ١٩٤٩م عاد الهولنديون ثانية للمفاوضات بعد أن أطلقوا سراح سوكارنو وزملائه. وفي ٢٧ كانون أول ١٩٤٩م تمخضت المفاوضات عن اعتراف هولندا باستقلال أندونيسيا «مرتبطة مع هولندا بوحدة فدرالية وعلى أساس المساواة بين الدولتين». وهكذا بدأ استقلال أندونيسيا الحقيقي في العصر الحديث.

وظلت «الوحدة الفدرالية» هذه حبر على ورق حتى عام ١٩٥٤م لما أعلنت أندونيسيا فَسْخها بعد أن كادت الدولتان تتحاربان ثانية وعلى موضوع ملكية أراضي ما سمَّتها هولندا «غينيا الجديدة الهولندية» وسمتها أندونيسيا «غرب إِرْيَان». وسنعرض لاحقاً موجز تلك القضية وما تمَّ فيها.

بعد استقلالها

صار أحمد سوكارنو رئيساً لجمهورية أندونيسيا بعد استقلال الجزر من هولندا وتغير اسم العاصمة من اسمها الهولندي «بَتيفيا» إلى «جاكَارتا». وقد نهج سوكارنو ودولته بعد ذلك السياسة أو الفلسفة المسماة «بَانْشا شِلاّ» أو الخمس مبادىء وهي: ـ

التوحيد بالله
الوطنية — الديموقراطية
الإنسانية — والعدالة الاجتماعية

وتسلط الحزبان اليمينيان ـ سسجومي والحزب الوطني ـ على مجرى أمور الدولة ومنذ بدء الاستقلال. ودعم الحزب الشيوعي في البرلمان حكومة الحزب الوطني بزعامة سوكارنو ولنهج هذه سياسة الحياد التام في الحرب الباردة وعدم التحرش بالحزب الشيوعي في الداخل. وقد تتوَّج نهج السياسة الحيادية التي اتبعها سوكارنو في أندونيسيا باستضافته في نيسان ١٩٥٥م لدول «عدم الانحياز» في مدينة بانْدُنْغ الأندونيسية في مؤتمر اشتهر بعدها باسم «مؤتمر بانْدُنْغ».

ولتعاون سوكارنو مع الحزب الشيوعي، أو العكس بالعكس، أخذت الجماعات اليمينية في البلاد، وخاصة حزب «مَسْجومي» تتهمه بأنه إما اشتراكي

أو شيوعي النـزعة. كذلك لام الحزب هذا سوكارنو لاسترجاع الحزب الشيوعي عافيته بعد أن شتّته الجيش الأندونيسي «غير النظامي» بقيادة الجنرال عبد الحارس «نـاسُوتيون» عام ١٩٤٨م لقيام الشيوعيين حينها بمظاهرات صاخبة محاولين تزعم الحركة الوطنية التي كانت تحارب الهولنديين. وقد برزت قوة الحزب الشيوعي في الانتخابات البرلمانية التي جرت في أيلول عام ١٩٥٥م. فيها ربح الحزب أكثر الأصوات في الدولة وما يقارب ثمانية ملايين ونصف المليون صوت. بعده جاء حزب مَسْجومي الذي حصل على حوالي سبعة ملايين وتسعماية ألف صوت. وقد تساوى الحزبان المذكوران في المقاعد البرلمانية.. أي سبعة وخمسون مقعداً لكل منهمـا. وحصـل حزب «نهضـة العلمـاء» (الـذي انفسخ في الأصل عن حزب مسجومي) على ستة ملايين وتسعماية ألف صوت تقريباً وأخذ خمسة وأربعين مقعداً في البرلمان. وحاز حزب سوكارنو.. الحزب الوطني.. على ستة ملايين ومئتي ألف صوت تقريباً واستلم تسعة وثلاثين مقعداً برلمانياً. وشكلت الأحزاب الثلاثة المذكورة، غير الحزب الشيوعي، حكومة ائتلافية تزعمها سوكارنو.

وقـد برز الـدور السياسي للجيش في أندونيسيا للحـاجـة إليه لوضـع حدٍ للخلافات الحزبية ومحاربة عدة ثوراتٍ انشقاقية في غربي جزيرة جاوا وفي شمال سمطرا وبجزيرة سِلِبِيس وهنا وهناك بعد الاستقلال. وصار لرئيس أركان الجيش إذ ذاك، عبـد الحـارس ناسوتيون دور رئيس في حفظ النظام بالدولة والتوازن بين الأحـزاب المتناحرة وإجبار زعمائها على قبول سياسة «الديموقراطية المُرشدة»[8] التي أعلنها الرئيس سوكارنو عام ١٩٥٧م. حسبها تشكل «مجلسٌ وطني ضم جميع زعمـاء الأحـزاب الرئيسة في البلاد. وكانت مهمة المجلس هذ العمل مع رئيس الدولة على كيفية «إرشاد» الدولة بالقيام بمهامها من دون الرجوع أو الامتثال أمام البرلمان أو التَّقيُّد بإجراءاته القانونية حسب الدستور[9]. وعنى ذلك واقعياً إعطاء السلطة التامة للرئيس سوكارنو والمجلس الوطني في إدارة شئون الدولة. كذلك

(٨) أو الديموقراطية «الموجهة».

(٩) راجع مقال لـ هربرت «فيس» (Feis) بعنوان «ديناميكيات الديموقراطية المرشدة» في الكتاب الذي جمعه مكفي (Mcvey)، نفس المرجع.

تشكل في نفس العام ١٩٥٧م مجلس سمي «مجلس الشعب الاستشاري» تكون من ستماية عضو عينهم رئيس الدولة ليساعدوه هو والمجلس الوطني للوصول إلى قراراتٍ سياسية وإدارية. غير أن دور هذا المجلس صار محدوداً بعد تعيينه ويكاد يكون مفقوداً. ومن أبرز ما أنجزه هذا المجلس كان مناداته في ١٩ آذار ١٩٦٣م بالرئيس أحمد سوكارنو «رئيساً مدى الحياة».

قضية غرب إريان ومشاكل أخرى

بعد خروج الهولنديين من جزر الهند عام ١٩٤٩م احتفظوا بالقسم الغربي من جزيرة «غينيا الجـديدة» ورفضوا الخروج منها. وظل الأندونيسيون يطالبون بهذه الأراضي التي سموها هم «غرب «إرْيانْ». وكانت ذريعة هولندا بالتَّمسُّك بها أن تلك لم تكن جزءاً من جزر الهند الشرقية وأن أهلها «بابُوا» لا يمُتُّون للأندونيسيين الماليسيي الأصل بصلة وأن لهؤلاء الحق بالاستقلال فيما لو خرجت هولندا من هناك وليس «الاستعمار» من جاكارتا.

وصـار موضـوع «غرب إريان» نقطة شاغل رئيسي عند الأندونيسيين ورئيس بلادهم أحمـد سوكـارنـو. وعـرضـت أنـدونيسيا الأمر للمجلس العام لهيئة الأمم المتحدة أربع مرات فيما بين عام ١٩٥١ وعام ١٩٥٧م ولم يُبت بالأمر. وقد وقفت الـدول الأوروبية الغربية بزعامة الولايات المتحدة إلى جانب هولندا في النقاش الذي دار هناك. وفي كانون أول عام ١٩٥٧م أمم الرئيس أحمد سوكارنو معظم ما كان يملكه الهولنديون ببلاده لذلك الحين. وكان من نتائج شبه الهستيريا السياسية التي أصـابت الأنـدونيسيين في موضـوع «غربي إريان» أن فرض أحمد سوكارنو سياسـة «الديموقراطية المرشدة» على بلاده والتي سبق وذكرناها. وقد وقفت كل أحزاب البلاد موقفاً واحداً في دعم الرئيس سوكارنو بالمطالبة بذلك الإقليم.

ومـا أن جاء مُنْتَصف عام ١٩٥٨م حتى أخمـد الجيش الأنـدونيسي معظم الثورات (المشبوهة) التي قامت هنا وهناك في البلاد. وكانت أندونيسيا، وكما ذكرنا في الفصـل السـابق عن ماليسيا، تتهم رئيس دولة ماليسيا تَنجكُـو عبد الرحمن بالمؤامرة مع الدول الغربية في دعم تلك الثورات ضد حكومتها وضد نهج سياسة

«عدم الانحياز» التي اتبعها رئيسها أحمد سوكارنو[١٠].

وبعد أن أخمد الجيش تلك الثورات على كل حال سَلَّطت أندونيسيا كل همها ودعاياتها على موضوع «تحرير غرب إِريان» من الهولنديين. ولذلك الغرض بدأ الجيش الأنـدونيسي في كانون ثاني ١٩٥٨م يدرب فرقاً عسكرية لتخوض حرب عصابات ضد الهولنديين في ذلك الإقليم.

وتناسقاً مع العلاقـات الشـديدة التـوتر مع دول الغرب صارت العلاقات الأندونيسية السوفييتية على أحسنها. وفي ربيع عام ١٩٦٠م زار نِكِيتا خروشوف زعيم الاتحـاد السـوفييتي جمهورية أندونيسيا واحتفل به احتفالاً رائعاً. وفي آب ١٩٦٠م قطعت أندونيسيا علاقاتها الدبلوماسية مع هولندا نتيجة للنزاع على «غرب إِريان»، وهـدد سوكـارنو باجتياح ذلك الإقليم واسترداده بالقوة. وكانت الأسلحة السوفييتية تتدفق لأندونيسيا في تلك الأثناء. ورداً على كل ذلك أسرعت هولندا بالإجراءات لخلق دولة مستقلة هناك أخذت تسميها سلفاً دولة «بابْوانْيا». ففي ٥ نيسان ١٩٦١م افتتحت هولندا ما سمته «مجلس بابوانيا» هناك ودعت الدول الغربية لحفلة الافتتاح. ومن غريب الأمور أن رفضت الولايات المتحدة تلبية تلك الدعوة. ذلك أن وزارة خارجية أمريكا.. وقلم مخابراتها السري سي أي إي.. ازدادت قلقاً لكثرة الأسلحـة السوفييتية التي كانت تتدفق لأندونيسيا ولازدياد النفوذ السوفييتي ونفوذ العالم الشيوعي ونفوذ الحزب الشيوعي في أندونيسيا نتيجة لكل ذلك. وقد أخذ العديد من ساسة أمريكا يتكلمون عن «ضياع أندونيسيا للشيوعية» (وهي من كبار الـدول في العالم) مثلما «ضاعت الصين للشيوعية» عام ١٩٤٩م. وهكذا صارت الولايات المتحدة تتردَّد عن دعم هولندا كليّاً بموضوع «غرب إِريان». لكن الأخيرة استمرت في سياسة تأسيس دولة «بابوانيا» وأخيراً وفي ١ كانون أول ١٩٦١م أعلنت هولندا استقلال دولة «غرب بابوانيا». واستجابة لذلك، وفي ١٩ كانون أول ١٩٦١م نادى سوكارنو بالتعبئة العامة تأهباً لغزو ذلك الإقليم. ونتيجة للتهديدات الأنـدونيسية والضغط الأمريكي وضغط هيئة الأمم المتحدة على هولندا مطالبين

(١٠) راجع عن كل ذلك مقالة لـ Ewa T. Pauker "Indonesia" في المجلة الدورية Current History بتاريخ تشرين ثاني عام ١٩٦٢م.

بالتفاوض قبلت هولندا في حزيران ١٩٦٢م الجلوس مع دولة سوكارنو وتحت مظلة هيئة الأمم المتحدة لحل المشكلة. ونتجت تلك المفاوضات عن اتفاقية ١٥ آب ١٩٦٢م حسبها قبلت هولندا تحويل السلطة مؤقتاً لهيئة الأمم المتحدة، حتى تتأكد هذه من رغبات سكان ذلك الإقليم. وقد جرى ذلك التحويل فعلاً في ١ تشرين أول ١٩٦٢م. وأخيراً وفي أيار ١٩٦٣م سلمت هيئة الأمم السلطة هناك لدولة أندونيسيا وانتهت القضية.

وبعـد انتهـاء أمـر غرب إِريان لصـالح أندونيسيا سلط الرئيس سوكارنو همه لمواجهة تأسيس ما سميت فيما بعد «فدرالية ماليسيا»، والتي كان سوكارنو يعارضها ويعـارض المـرشح لزعامتها رئيس فدرالية مَلاَيا الأمير تَنْجكو عبد الرحمن. وقد كانت كل من بريطانيا والولايات المتحدة تدعم عبد الرحمن في ذلك. وتأسست «فدرالية ماليسيا» على كل حال في أيلول ١٩٦٣م[١١]. على أثرها قطعت أندونيسيا علاقـاتها مع «ماليسيا» وأعلنت أيضاً حظر تصدير المطاط والقصدير الأندونيسي لهنـاك. حيث إن المـطاط الأندونيسي كان يُشْحن لملايا للتصنيع وكانت جزيرة سنجافورا مركز صهر القصدير المستخرج في أندونيسيا. وأكمل الرئيس سوكارنو تأميم كل ما تبقى مما كان الأوروبيون والماليسيون يملكونه في بلاده.

وفي ٣٠ أيلول ١٩٦٥م جرى انقلاب عسكري على حكومة أحمد سوكارنو في أنـدونيسيا تزعمه جنرال اسمه «سوهارْتو». وكان سبب الانقلاب حسب ما أعلنه سوهـارتـو أن الشيوعيين كانـوا في صدد القيام بانقـلاب مماثل من عندهم على الحكومة وأن الجيش أسرع لإنقاذ البلاد من الشيوعية. وقد قامت بعد ذلك مذابح في أندونيسيا قل مثيلها في القرن العشرين استهدفت «الشيوعيين» في البلاد. وقد زاد عدد الضحايا التي قتلها الجيش وحسب معظم التقارير عن نصف مليون فردٍ أنـدونيسي. ويجمـع معظم الباحثين والمطلعين على أن لقلم مخابرات أمريكا السـري - سي آي إي - إصبع كبير في الانقلاب أولاً وفي التحريض على تلك

(١١) وكما أسلفنا، راجع الفصل السابق.

المذابح بعد ذلك[١٢]. والواقع أن معظم من أهلكهم الجيش كانوا من الأقلية الصينية المتواجدة في أندونيسيا.

ولم يطل الأمر بعد الانقلاب العسكري حتى قلب الرئيس الجديد سوهارتو كل سياسات سلفه أحمد سوكارنو رأساً على عقب. ففي آذار ١٩٦٦م أعلنت القيادة الجديدة بأن الحزب الشيوعي «غير قانوني» كذلك أعلنت إنهاء سياسة «المواجهة» ضد فدرالية ماليسيا واستأنفت العلاقات معها. وفي تشرين أول ١٩٦٧م جمَّد سوهارتو علاقات بلاده مع الصين الشعبية لاحتجاجاتها الشديدة والمتتالية لما كان يجري للأهالي الصينيين على أيدي قوات الجيش. مقابل ذلك أخذت علاقات أندونيسيا مع المعسكر الغربي تتحسن، مع العلم أن سوهارتو ظل ينهج سياسة «عدم الانحياز» التي أسسها مؤتمر بَانْدُنْج عام ١٩٥٥م والذي استضافته وتزعمته أندونيسيا مع غيرها. وقد برر سوهارتو ما ظهر وكأنه تفاوت بين ما تفعل دولته وبين ما تدعيه من فلسفة عدم الانحياز، أي بين تقربه من الغرب ومحاربته الشيوعيين في البلاد وبنفس الوقت التصميم على رفض الأحلاف الغربية، بالحجة بأن سلفه سوكارنو هو الذي ابتعد عن موقف الحياد بين المعسكرين الغربي والشرقي بتقربه المتزايد من الحزب الشيوعي في الداخل وتقربه من الاتحاد السوفييتي خاصة بشرائه الأسلحة من هناك ومواجهته الغرب في عديد من الأمور سيما في موضوع تأسيس «فدرالية ماليسيا». لذا جاء انقلابه على سوكارنو تصحيحاً لسياسات سوكارنو «المنحازة» للمعسكر الشيوعي.

مؤتمر باندنج

من أهم الأحداث التي جرت في أندونيسيا بعد استقلالها عام ١٩٤٩م كان اجتماع «بانْدُنْج»، أو ما سُمِّي «مؤتمر دول عدم الانحياز» في نيسان ١٩٥٥م. وجاء ذلك رداً على «هَوَس الأحلاف» الذي أصاب الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.. تلك الأحلاف التي هدفت لضم العالم كله تقريباً في المعسكر

(١٢) راجع مثلاً ما كتبه المعلق السياسي والمؤرخ المرموق فريديريك شومان عن تلك المذابح والدور الرئيسي الذي لعبه قلم المخابرات السري الأمريكي في اقترافها.

الأمريكي ضد الاتحاد السوفييتي في بادىء الأمر وضد الصين بعد أن صارت شيوعية فيما بعد[١٣].

ولما لم يكن للعالم الآسيوي ـ الإفريقي في الحرب الباردة «لا ناقة ولا جمل»، خاصة أن الكثير من ذلك العالم ما زال حينها يحاول التخلص من الاستعمار الأوروبي، ارتأى العديد من زعمائه أن خير ما يتبعوه في الصراع بين الأوروبيين الشيوعيين والأوروبيين الرأسماليين هو سياسة «عدم الانحياز». وقد تمخض هذا الاتجاه الفكري في «مؤتمر بَانْدُنْج» عام ١٩٥٥م.

وقد انعقد المؤتمر فيما بين ١٨ نيسان و٢٤ نيسان عام ١٩٥٥م في مدينة باندنج الأندونيسية الواقعة في شرقي جزيرة جاوا. أما الدول التي احتضنت الفكرة في الأصل وأخيراً دعت لذلك المؤتمر كانت أندونيسيا، الهند، باكستان، بُرْما ودولة سِري لانْكَا[١٤].

لبى الدعوة لمؤتمر باندنج أربع وعشرون دولة من العالم الثالث، منها ست إفريقية والباقي من آسيا. والدول الإفريقية كانت مصر السودان، إثيوبيا، غانا، ليبيريا وليبيا، والدول الآسيوية كانت أفغانستان، كامبوديا، الصين الشعبية، إيران، العراق، اليابان، الأردن، تايلاند، تركيا، فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية (حيث كانت فيتنام حينها مقسمة) واليمن، لاوس، لبنان، نيبال، الفلبين، السعودية، وسوريا.

وكان الهدف المعلن عنه لانعقاد ذلك المؤتمر هو:ـ

«لتشجيع الصداقة وحسن الجوار بين تلك الدول ولدراسة مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وليبحث المؤتمر ما يجب أن تكون مواقف آسيا وإفريقيا من قضايا العالم خارجهما وما يمكن إنجازه من تشجيع وترويج للتعاون والصداقة في العالم».

(١٣) راجع للمؤلف الفصل السادس عشر بعنوان «الحرب الباردة وهوس الأحلاف» في كتابه «التاريخ السياسي الحديث والعلاقات الدولية المعاصرة»، ١٩٨٩.

(١٤) وقد سميت هذه الدول الخمس قبل اجتماع باندنج «قوى كولمبو» بعد اجتماع لهم سابقاً ولنفس الغرض في عاصمة سري لانكا.. كولُمْبو.

وبعد سبعة أيام من الاجتماعات اتفق المؤتمرون على ما سميت باللغة الأندونيسية[١٥] «بانْشا شلاً» أي الخمسة مبادىء، وهي :-

١ . الاحترام المتبادل لسلامة أراضي الدول الأخرى وسيادتها .

٢ . عدم الاعتداء على الغير .

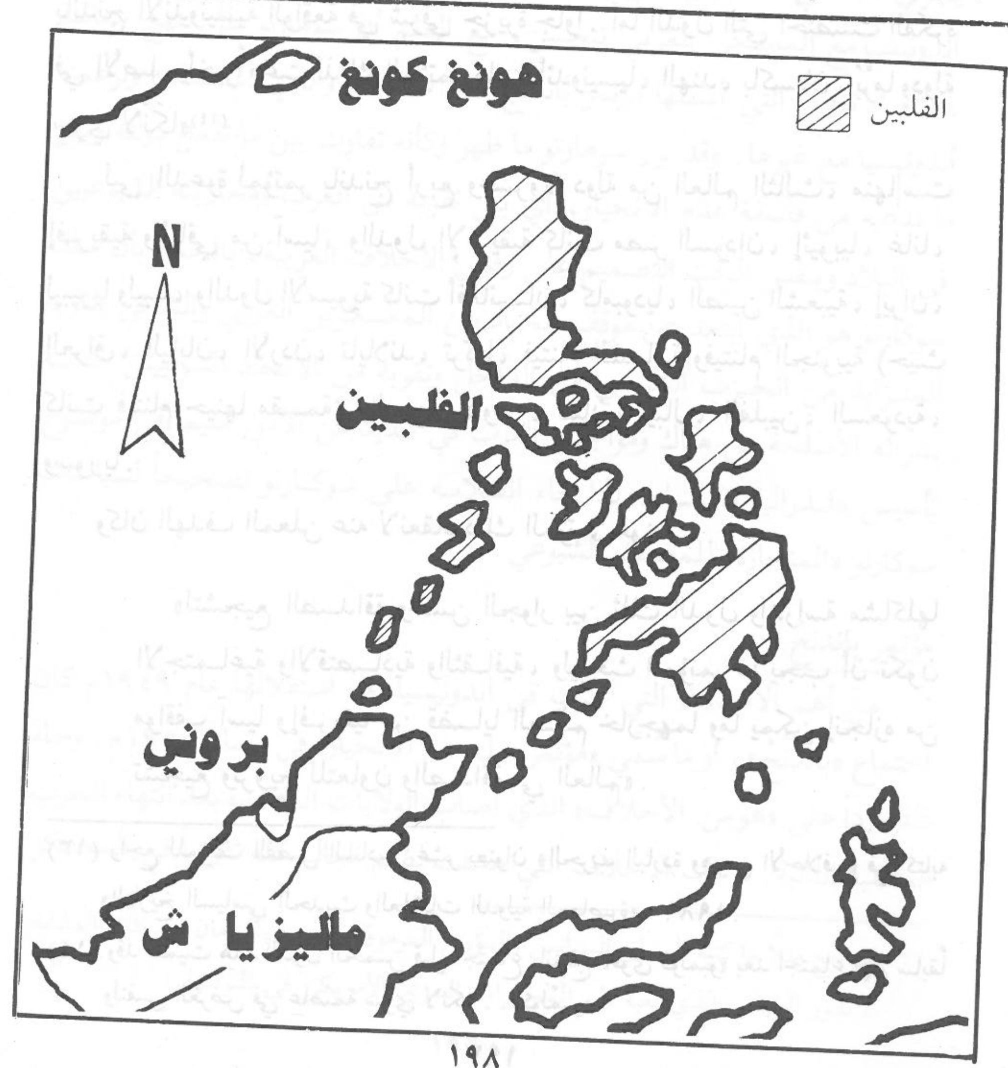
٣ . عدم التدخل في شئون الغير الداخلية .

٤ . المساواة والمنفعة العامة .

٥ . التعايش السلمي .

---

(١٥) لغة «تَجا لُوجْ».



الفصل الثاني عشر

جمهورية الفلبين

الوضع الجغرافي

يقع أرخبيل الفلبين إلى الجنوب الشرقي من شواطىء الصين الجنوبية . ويمتد من جزيرة تايوان الصينية حتى أن يصل تقريباً جزر المُلُوكا الأندونيسية . ويشمل الأرخبيل حوالي سبعة آلاف جزيرة، عشرة منها تشمل ما يقارب خمسة وتسعون بالمئة من أراضيها . والجزر هذه هي وحسب كبر حجمها : لوزان، مِنْدَنَاوْ، سَمَرْ، نِجْروسْ، بَلَوان، باني، مِنْدورا، لِيتِي، سِيبُو، بَهُولْ، ومَاسْبيت .

جزر الفلبين موزعة في أربع مجموعات :-

أولاً : جزيرة لوزان، وهي أكبرها وأكثرها سكاناً إذ يوجد بها حوالي خمسين بالمئة من سكان البلاد . كذلك هي قلب الفلبين الاقتصادي والسياسي وفيها العاصمة «مانيلا» .

ثانياً : مجموعة جزر «فسَايانْ» المنتشرة بين جزيرة لوزان الرئيسة وجزيرة «مِنْدَناوْ» في الجنوب ثاني الجزر بكبر الحجم . ويبلغ عدد سكان هذه المجموعة ثلث سكان الفلبين .

ثالثاً : جزيرة «مِنْدَناوْ» .

رابعاً : جزر «سُولُو» وتنتشر فيما بين جنوب غربي مندناو حتى قرابة إقليم صباح في فدرالية ماليسيا .

تغطي معظم أراضي الفلبين الجبال والغابات الاستوائية وشبه الاستوائية .

والكثير من جبالها بركانية أعلاها في جزيرة لوزان تتكون من سلسلتين رئيسيتين، سلسلة جبال «سِيَارا مادْري» وسلسلة جبال «زِمبالي». ويوجد في جزيرة لوزان وحدها أكثر من عشرين بركان نَشِطْ.

يتجمع السكان في السهول الصغيرة المساحة الموجودة في شمال وأواسط لوزان وقرب شواطىء جزر فِسَايانْ. ويقل عدد سكان مِنْدَنَاوْ نسبياً مع العلم أنها ثاني الجزر في الحجم. كذلك يقل التطور فيها. ومن الأسباب لذلك هو أن معظم أهالي هذه مسلمون وظلوا يحاربون الاستعمار الاسباني ويحاربون غزوه أراضيهم وحاربوا الأمريكيين واستعمارهم بعد عام ١٨٩٨م مما جعل الاستعمارين يبتعدون عن الجزيرة ويضطهدون أهاليها مادياً وعسكرياً. وما زال هذا هو شأنها حتى بعد استقلال البلاد تحت زعامة أكثرية مسيحية.

تقع جزر الفلبين في منطقة الرياح الموسمية وفي ممرها. لذا تكثر الأمطار فيها بالصيف وتجتاحها دورياً الأعاصير الحلزونية والزوابع الرعدية التي تسبب الكوارث والفيضانات. وتبدأ هذه الأعاصير إجمالاً في منطقة جزر «مارشال» و«ماريَانَا» في المحيط الهادي وتمر بالفلبين في طريقها شمالاً وغرباً إلى الصين واليابان.

تكثر زراعة الرز في جزيرة لوزان الرئيسية. أما جزر فِسَايان فتختص بزراعة الذرة الصفراء وقصب السكر. أما أراضي مِنْدنَاو فتستعمل في زراعة الرز والذرة الصفراء وقصب السكر والتبغ ونبات القِنَّبْ وشجرة جوز الهند.

ويستخرج من مناجم لوزان أحسن الحديد والنحاس والذهب والكْرُوم في كل مناجم جنوب شرقي آسيا. وقد تطورت هذه أيام الاستعمار الأمريكي فيما بين عام ١٩٠٠م و١٩٤٦م. وما زالت الفلبين تصدر معظم منتجاتها للولايات المتحدة.

السكان

قبائل «نَجْريتْ» هم أهالي الفلبين الأصليين، وهم سُمْر البشرة. ويشكل هؤلاء اليوم أقل من عُشر سكان البلاد. وكانت قبائل «المَلاَي» أول من غزا الجزر

حوالي قرنين قبل المسيح واستوطنوها. وتعاقبت غزوات ونزوح المَلاَي إلى هناك في القرن الخامس عشر الميلادي. وتلك الأثناء كانت قبائل المَلاَي قد أَسلَمتْ. واستقرت هذه أولاً في جزر سولو الجنوبية وفي جزيرة مِنْدَنَاو وجزيرة بَلَوانْ. وبواسطة التزاوج والعلاقات التجارية انتشر الدين الإسلامي للجزر الشمالية إلى أن وصل جزيرة لوزان في أوائل القرن السادس عشر. وتزامن هذا مع وصول القبطان الإسباني فرناند مِجلَّان إلى جزر فِسَايان في أواسط الأرخبيل.

يشكل العنصر الماليسي بالفلبين اليوم حوالي تسعة أعشار السكان معظمهم مسيحيون ومن اتباع المذهب الكاثوليكي. ويشكل المسلمون حوالي عشر السكان معظمهم يتواجدون في الجزر الجنوبية وخاصة في جزر سُولو وجزيرة مِنْدَنَاو.

الاستعمار الاسباني

ذكرنا في الفصل الثاني أن القبطان مجلَّان (١٤٨٠م - ١٥٢١م) البرتغالي الأصل قد تقدم للبلاط الإسباني عام ١٥١٧م يعرض عليه فكرة التوصل لجزر البهارات بالاستدارة إن أمكن حول قارة أمريكا الجنوبية بدل أفريقيا. وقبل الفكرة أخيراً الملك الإسباني شارلز الخامس[1] فأرسله عام ١٥١٩م وعلى رأس حملة مكونة من خمس سفن استدارت أخيراً حول المضيق الذي يفصل أراضي أمريكا الجنوبية عن مياه القطب الجنوبي المتجمدة.. والذي يحمل اسمه لليوم.. ووصل أخيراً ما ظنها هو جزر البهارات والتي سميت فيما بعد جزر «الفلبين». وقد وصل مجلان لهناك عام ١٥٢١م وبهذا برهن هو برحلته أن الأمريكتين قارتان جديدتان وأن الأرض ولا شك كروية.

(١) تبوأ العرش هذا من ١٥١٦م إلى ١٥٥٦م. وكان لقبه من عام ١٥١٦-١٥١٩م شارلز الاول. بعدها تغير لـ شارلز الخامس. وقد باشرت إسبانيا عصرها الذهبي في أيامه. وهو في الأصل من عائلة «هابْسْبِرج» المالكة في النمسا.

وقد وصل مجلان جزيرة «سَمَار» من مجموعة فِسَايَانْ بأواسط الفلبين في آذار ١٥٢١م. ومنها وصل أيضاً إلى جزيرة «سِيبُو» المجاورة لها وقتل هناك في معركة مع أهاليها. وأخيراً وبعد أن اكتشف الإسبان أنه لا توجد بهارات بتلك الجزر واصلوا إبحارهم باتجاه الجنوب صوب جزر «المُلُوكا» البرتغالية بعد أن أعلن قائد الحملة الجديد سِبَاسْتِيان دِلْ كَانُو جزر الفلبين «جزراً إسبانية».

ولما وصل دِل كَانُو ومن معه جزر البهارات (وعلى ظهر آخر سفينة إسبانية من السفن الخمس واسمها «فكْتوريا») وعلمت بوصولهم السلطات البرتغالية احتجت دولة البرتغال للبلاط الإسباني على وجودهم هناك مما أدّى أخيراً إلى عقد معاهدة جديدة بين إسبانيا والبرتغال واسمها معاهدة «سَاراجُوسَا» عام ١٥٣٠م وعدت إسبانيا فيها الابتعاد عن جزر «المُلوكا» وحتى عن جزر «الفلبين» أيضاً[٢].

وقد حافظت إسبانيا على وعدها حتى عام ١٥٦٥م. وذلك لأن الإسبان انهمكوا إجمالاً باكتشاف القارتين الأمريكيتين وبنهب وسلب حضاراتها وتدميرها. وقد تم ذلك فيما بين يوم وليلة.

وفي عام ١٥٦٥م، وجاء ذلك في أيام حكم الملك فيليب الثاني ابن الملك شارلز الخامس (١٥٥٦ ـ ١٥٩٨)[٣]، أرسل فيليب حملة إسبانية جديدة مجهزة من المكسيك اتجهت إلى جزيرة سيبو بالفلبين واحتلتها. وفي عام ١٥٦٩م احتل الإسبان جزيرة «باني». وبعد عام من ذلك توجهت حملة كبيرة إسبانية لاحتلال بلدة «مانِلا» في أواسط جزيرة لوزان وأخذتها. بعدها صارت مانلاً هذه مركز الإدارة

(٢) عاد القبطان الإسباني دِلْ كانو إلى إسبانيا عن طريق رأس الرجاء الصالح وبعودته تمت أول رحلة حول الكرة الأرضية.

(٣) وقد بدأت شمس الامبراطورية الإسبانية بالغروب أيام حكم فيليبْ، إذ أنهك هذا دولته بالحروب الأوروبية وفي إخماد ثورة هولندا على حكم إسبانيا وانهزام أسطوله العظيم عام ١٥٨٨م في القنال الإنجليزي على يد الهولنديين والإنجليز. بعد موته بدأت سلالة البربون في حكم إسبانيا ودخلت إسبانيا حروباً أخرى.

الإسبانية في الجزر[٤] ومصدر الحملات المتتالية التي أرسلت لتطويع سلاطين باقي الجزر.

وكما أسلفنا كان الدين الإسلامي قد وصل إلى هناك قبل وصول الإسبان. لذا أعلنت إسبانيا حرباً صليبية جديدة على الأهالي وعلى السلاطين المسلمة دامت أكثر من مائة عام فيها أطلقوا اسم «عربي» (مُورْ. . أي من مراكش) على كل مسلم حاربوه. وما زالت الأقلية المسلمة المتواجدة في جزر «سولو» وجزيرة «مِنْدَناو» الجنوبية تحمل هذا الاسم «مور» لليوم. وما انفكَّ المور هؤلاء يحاربون السلطة الكاثوليكية في مانلاً كما ظلوا من قبل يحاربون السلطة الإسبانية ومن بعدها السلطة الأمريكية طوال أيام الاستعمار[٥].

وقد طال الاستعمار الإسباني للفلبين أكثر من ثلاثمائة وعشرين عاماً. أي من عام ١٥٧٠م وإلى عام ١٨٩٨م. وقد حاولت هولندا ثلاث مرات، ومن مركزها في جزيرة «امبونيا» أولاً ومن بعد من جزيرة جاوا أن تحتل مانلاً ولم تفلح. وجاء ذلك في عام ١٦٠٩م وعام ١٦٢١م وعام ١٦٤٨م على التوالي. ونجحت بريطانيا باحتلال مانلاً عام ١٧٦٢م. وكان ذلك أثناء حرب «السبع سنوات» (١٧٥٦م ـ ١٧٦٣م). وأعادت بريطانيا مانلاً لإسبانيا حسب معاهدة باريس عام ١٧٦٣م والتي أنهت تلك الحرب. بعدها استعمرت إسبانيا هناك بدون انقطاع حتى عام ١٨٩٨م حين استولت الولايات المتحدة على الفلبين.

وتغير اسم الجزر التي كانت تعد قبلاً من جزر الهند الشرقية إلى اسم «الفلبين» أيام حكم الملك فيليب الثاني.

وقد اهتم الإسبان كثيراً ببثِّ المذهب الكاثوليكي المسيحي بشكل خاص بعد

(٤) في عام ١٥٧٨م صارت مانلاً أيضاً مركزاً لبطركية كاثوليكية.

(٥) ما زالت ثورة «المور» قائمة لليوم، وبزعامة المنظمة المسماة «جبهة تحرير المور الوطنية». ويقال إن دولة ليبيا تدعمهم مادياً وعسكرياً. راجع عن اهتمام ليبيا بأمور المور هناك جريدة نيويورك تايمز الأمريكية عدد ٣ نيسان ١٩٧٩م.

اهتمامهم طبعاً بالاستيلاء على أحسن أراضي الأهالي وتوزيعها كاقطعياتٍ لنبلاء الإسبان ورؤساء الأبرشيات والكهنة الكاثوليك هناك. وأنجز الإسبان ذلك بواسطة جماعاتهم التبشيرية المسلَّحة وخاصة جماعة «الدُومِنكان» الشّديدي التَّزمُتِ للمذهب الكاثوليكي وللبابا وجماعة الجزويت التي أُسِّست أيام الاستعمار الإسباني للفلبين[٦].

وقد ألقي على نبلاء وأصحاب الإقطاعيات في جزر الفلبين لقب «كاسِيكْ» (Caciques) أي «الأسياد». إذ كان لهم مطلق السلطة والتحكُم بمستخدميهم في المزارع وغيرها وكان هؤلاء عبيداً لهم. وقد أبقى الحكام الإسبان بعض المخاتير والزعماء المحليين في مراكزهم ليساعدوا أسيادهم الإسبان في جمع الضرائب وتسخير الأهالي وحفظ النظام.. أي على طريقة الاستعمار «غير المباشر».

لذلك فمن مخلَّفات الاستعمار الإسباني ولليوم هو وجود الملايين من المزارعين الفلبينيين الذين لا يملكون أراضيهم. ويشكل هؤلاء أكبر نسبة من المزارعين المعدومي ملكية أراضيهم في كل بلدان جنوب شرقي آسيا. ففي الإحصاء الذي أجرته السلطات الأمريكية عام ١٩٣٩م مثلاً، وبعد محاولات أمريكية طالت حوالي أربعين عاماً في صدد توزيع بعض الأراضي على فقراء المزارعين بيَّن الإحصاء أن أكثر من خمسين بالمئة من هؤلاء لا يملكون أرضهم بعد ولكن يستأجرونها من الإقطاعيين.

وقد أجبرت السلطات الإسبانية خاصة بواسطة المبشرين الدُومنيكان أهالي الجزر على اعتناق المسيحية (الكاثوليكية) بحد السيف. وبالطبع فمن رفض التَّمذهب إما اضطهدوه أو أهلكوه. وكان أكثر قابلية للتَّمذهب آلاف العمال الوافدين من الصين والذين أتت بهم الإدارة الإسبانية للعمل في مزارع الرز والسكر ومختلف أنواع المناجم في الأرخبيل. وهكذا صارت الفلبين «كاثوليكية».

(٦) أسست هذه عام ١٥٤٠م. وقد أسسها قِسٌ إسباني اسمه إِجْناشِيُوسْ «لُيولاَ» وهدفت لمحاربة «ثورة الإصلاح» التي قامت ضد البابا والكنيسة الكاثوليكية والتي تزعمها القس الألماني مارتِنْ «لوثر» وبدأها في ٣١ تشرين أول عام ١٥١٧م.

وحّدت إسبانيا جزر الأرخبيل تحت سلطانها بعد أن كان الكثير من سلاطينها مستقلين في جزرهم. وصار الحاكم الإسباني المتمركز في «مانلاً» صاحب السلطة التامة هناك ويمثل التاج الإسباني. وقد قسمت الإدارة في مانلاً الجزر إلى عدة مناطق يحكم كل واحدة منها مندوب عن الحاكم ومعيَّن من قبله وبلقب «كُورجَدُور» (Corregidore). وصارت سلطة الكاهن أو المطران الكاثوليكي هناك تكاد تفوق سلطة المندوب عن الحاكم. واستبدت الكهنة بالأهالي أكثر ما اسْتَبَد بهم رجال الحكومة والسلطات الرسمية لذا كثرت الانتفاضات والثورات المحلية والوطنية في الجزر خاصة بعد أن استقلت معظم دول أمريكا الجنوبية عن إسبانيا في العشرينات من القرن التاسع عشر (١٨٢٠ وما بعد). وقد قامت عدة ثورات قبل ذلك أحدها في جزيرة «بُهُول» عام ١٧٤٤م وأخرى في مانلاً وضواحيها في عامي ١٧٤٥م و١٧٤٦م، وثالثة في مانلاً أيضاً عام ١٧٦٢م والتي تَزامنت مع احتلال الإنجليز لها في ذلك العام وكما سبق وذكرنا. وبالطبع صار لدخول الإنجليز رد فعل أهلي إذ زعزع هذا هيبة الامبراطورية الإسبانية هناك مما أدى لمظاهرات صاخبة ضد رجوع الحكم الإسباني لهناك عام ١٧٦٣م وبعد أن أعادت بريطانيا الجزر لإسبانيا حسب معاهدة باريس التي خَتَمت حرب «السَّبع سَنَوات»[٧].

وكان لضياع واستقلال دول أمريكا الجنوبية من إسبانيا أثر انخفاض كمية التجارة الإسبانية مع هذه ومع جزر الفلبين وبدء إزدياد كمية التجارة الإنجليزية والتجارة الأمريكية هناك وزيادة استثمار الأنجلوسَكسون في مناجم ومزارع الفلبين خاصة. وقد أدَّى هذا وبتشجيع منهم[٨] إلى ثورة أهلية ضد إسبانيا عام ١٨٤٣م صارت فاتحة عدة ثورات فلبينية قام آخرها عام ١٨٩٦م ساهمت وأخذتها ذريعة الولايات المتحدة الأمريكية في إعلان حرب على إسبانيا عام ١٨٩٨م وأخذ جزر الفلبين بالقوة منها

(٧) راجع ما سبق.

(٨) وكما جرى في جزر هَاواي فيما بعد حيث شجع المستثمرون الأمريكان الأهالي ليثوروا على ملكهم في الثمانينات من القرن التاسع عشر.

الاستعمار الأمريكي

بدأت التجارة الأمريكية مع بلدان الشرق الأقصى وخاصة مع بلاد الصين منذ انتهاء حرب الاستقلال الأمريكية. وتدرجت هذه ونمت على النمط التالي[9]:-

بدأت السفن الإنجليزية وسفن مستعمـراتها في أمريكا الشمالية تدور حول القـارتين الأمـريكيتين مارة عبر مضيق «مجلاّن» قبيل انتهاء القرن السابع عشر ميلادي. وكـان ذلك لصيد الأسماك وخاصة صيد الحيتان التي تكثر في خليج «ألاَسْكا». جرّاء ذلك اكتشف بحارتهم الكثير من جزر المحيط الهادي مثل جزر «هاواي» وغيرها. وكان من أشهر هؤلاء البحارة الكابتن كُوك (Cook). وما إن جاء النصف الثاني من القـرن الثـامن عشـر حتى وصـل البحـارة الإنجليز وبحـارة مستعمراتهم من أمريكا شواطىء اليابان والصين وجزر الفلبين وتاجروا مع أهلها.

وقـد أصبحت هذه التجارة من الأهمية لأمريكا خاصة، ومنذ استقلالها من الاستعمار البريطاني لدرجة حَدت بالرئيس الأمريكي مِلاَرْدْ «فِلْمورْ» لإرسال أسطول حربي عام ١٨٥٣م وجَّهـه لليابـان ولإرغام ذوي السلطة هناك على الاتجار مع أمريكا وفتح مَرافئهم للسفن الأمريكية حيث كانت مغلقة لهم. وهكذا بدأ الاهتمام الأمـريكي بجزر الفلبين أيضاً وبدأ الأمريكيون يستثمرون هناك. ومع الاستثمار باشر التدخل السياسي الأمريكي في شئون الفلبين الإسبانية. وهذا ما سبق وجرى في جزر هاواي حيث حرَّض المستثمرون الأمريكيون أهالي الجزر على الثورة على ملكتهم «لِيلْيُو كَلاَني» عام ١٨٩٣م لتقع تلك الجزر في شبكة الاستعمار الأمريكي.

وفي الفلبين قامت ثورة على إسبانيا في ٣٠ آب ١٨٩٦م تزعمها قائد وطني اسمه إميلْيو «أَجْونَالْدو». وكان هذا رئيس بلدية مدينة «كاوِتْ» التي تقع إلى الجنوب من العاصمة «مانِلاّ»، وزعيم حزب وطني سري عرف باسم حزب «كَاتِي بُونَانْ»

(٩) راجع عن بدء هذه التجارة أيضاً في كتاب المؤلف «التاريخ السياسي الحديث» ١٩٨٩م في الفصل الأول منه.

طالب باستقـلال البلاد من الاستعمار الإسباني والخلاص من الإستبداد الديني الـذي كان يفـرضـه الكهنة الإسبان الكاثوليك على أمتهم. وقد انتصر اجونالْدو وجماعته المسلَّحة في عدة معارك على القوات الإسبانية في أول ثلاثة أو أربعة شهور من الثورة كان أهمها معركة «كِينَا كايَانْ». غير أن الثوار انقسموا على أنفسهم مما أضعف الثورة وأجبر زعيمها قبول هدنة مع السلطات الإسبانية وقبول نفيه إلى مدينة «هونج كونج» البريطانية بعد أن وعدت إسبانيا بتنفيذ بعض الإصلاحات في البـلاد. غير أن الإصـلاحات لم تَتم وظلت الثورة قائمة بدون زعامة اجونالدو. وبعكس ما وعدت به إسبانيا من اصلاحات اتخذت إجراءات تعسفية ووحشية في الجزر بما فيها إعدام عدد كبير من زعماء الفكر والوطنيين الفلبينيين منهم الشاعر الفلبيني المعروف الدكتور هوزي «رِزَالْ» (Rizal).

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية بعيد حربها الأهلية (١٨٦٠م - ١٨٦٥م) تسير قُدماً بالتطور في مجال الصناعة والتجارة وبناء الأساطيل التجارية والحربية وفي الاستعـمـار على حسـاب المكسيك خاصـة في الجنـوب الغربي من القارة الأمـريكية الشمـالية. وما إن جاء أول القرن العشرين حتى أصبحت أمريكا من عمالقة الصناعة والتجارة في العالم. كذلك امتد الاستعمار الأمريكي خارج القارة الأمريكية قبيل انتهاء القرن التاسع عشر. ففي عام ١٨٩٣م، وإثر مكايد ومؤامرات دبرها جماعة من كبار المستثمرين الأمريكيين في جزر هاواي قامت ثورة ضد ملكة هَاواي أعلن الثـوار بعدها الجزر «جمهورية». بعد ذلك بخمس سنوات ضمت الولايات المتحدة هاواي لأراضيها.

وفي نفس ذلك العام، أي ١٨٩٨م امتد الاستعمار الأمريكي للفلبين ومعها جزيرة كوبا وجزيرة «بُورْتو - رِيكو» وكلها كانت إسبانية. وقد اغتصبتها أمريكا من إسبـانيا إثـر حربٍ اختلقتها ضد الإسبان المسماة الحرب «الإسبانية - الأمريكية ١٨٩٨م». وقـد كان دعـاة الاستعـمـار والتـوسـع عديدين في أمريكا خاصة في الكُنجرس الأمريكي وعند رؤساء الأموال وعلى حساب إسبانيا. وقد شَنَّتْ الصحافة الأمريكية، وخاصة الصحف التي كان يملكها امبراطور الصحافة الأمريكي وليم

هِيرْسْتْ (Hurst) ، شنت حملة تشهيرية عشواء على إسبانيا مدعية (وكعادتها لليوم) الدفاع عن حقوق الإنسان وعن الديموقراطية ومبرزة مساوىء الاستعمار الإسباني خاصة في كوبا. بعدها غرقت سفينة أمريكية في ميناء هافانا في كوبا الإسبانية وفي ظروف غامضة ومشبوهة أعلنت على إثرها أمريكا الحرب على إسبانيا في ٢١ نيسان ١٨٩٨م. ولم تنتظر أمريكا حتى يجري تحقيق في أسباب الحادث. وكما هو معروف ربحت الولايات المتحدة الحرب.

أما الدور الذي لعبه الزعيم الفلبيني أَجْونَالْدو وأعوانه في هزيمة إسبانيا كان كالتالي:-

كان اجونَالْدو عند بدء الحرب في المنفى في مدينة هونج كونج البريطانية. وصدف أن كان في ميناء هونج كونج حينها قطع من اسطول حربي أمريكي وبقيادة ضابط اسمه جورج «ديوي». وبصفته أن بريطانيا كانت لا شغل لها في تلك الحرب طلبت من الأسطول الأمريكي ومن ديوي الإقلاع من الميناء. حينها أمر وزير البحرية الأمريكي ثيودور روزفلت من ديوي التوجه إلى مانِلًا في الفلبين ليهاجم السفن الإسبانية هناك. وجرى ذلك. لكن، ولقلة عدد القوات الأمريكية التي معه لم يتمكن ديوي من النزول إلى البر. لذا باشر بالاتصال بالزعيم اجونالدو في هونج كونج يحرضه على العودة إلى بلاده «ليحررها من الإسبان». وعاد اجونالدو على ظهر سفينة أمريكية متحالفاً مع الأمريكيين. مقابل ذلك وعدته السلطات الأمريكية بالاستقلال التام في حال انهزام إسبانيا. وباشر هذا بمحاربة الإسبان وانتصر، وانتهت الحرب باستسلام إسبانيا في آب ١٨٩٨م. حينها دخل اجونالدو وقواته العاصمة مانلاً وبصحبته بعض الأمريكيين.

بعد ذلك بدأت المفاوضات في باريس بين إسبانيا والولايات المتحدة حول مستقبل الفلبين وكوبا وغيرها. ونتجت تلك المحادثات عن إمضاء معاهدة باريس في ١٠ كانون أول ١٨٩٨م. حسبها «اشترت» الولايات المتحدة جزر الفلبين من إسبانيا بمبلغ عشرين مليون دولار أمريكي وأُهمل بالطبع أمر أجونالدو وأمر تقرير

مصير واستقلال الفلبين(١٠).

ومن غرائب الادعاءات والدجل، ادعى الرئيس الأمريكي حينها وليم مَكِنْلي (Mackinley) أن الله عز وجل أوعز له بإبقاء الفلبين أمريكية وباستعمارها. والواقع أن الذين أوعزوا له بذلك هم دعاة الاستعمار الرأسماليين وعلى رأسهم ثيودور روزفلت ووليم هيرست المذكور أعلاه وعدد كبير من الأمريلات والجنرالات الأمريكيين المتأثرين بكتابات المعلق عن استراتيجيات البحرية العالمية الأمريكي كابتن أَلْفرِدْ مَاهَانْ (Mahan). ومن أهم ما كتب ماهان هذا في موضوع القوة البحرية وأهميتها ولهدف تأسيس وخلق امبراطوريات عالمية كان كتاب بعنوان «أهمية القوة البحرية في التاريخ». وقد ظهر الكتاب عام ١٨٩٠م وكثر قُرَّاؤه وعظم تأثيره على العقل الأمريكي المشبع حينها بآراء ونظريات مدرسة «الدارونيّة الاجتماعية» التي بشرت بنظرية «الصراع من أجل الحياة والبقاء للأَنْسَبْ» ومعادلة «كلبٌ يأكل كَلْباً» (Dog eat Dog) وحرضت على النزعة العدوانية في الإنسان وعلى الاستعمار وكل ذلك.

ومن الحجج التي اتخذتها الولايات المتحدة لتبرير عدوانها على إسبانيا وأخذها الفلبين خاصة منها أنه وإن لم تأخذها هي من إسبانيا فستسبقها لذلك إما دولة ألمانيا الموحدة أو اليابان. كذلك أثَّر على قرار الرئيس الأمريكي مَكِنْلي على الحرب من حضه على ذلك من رؤساء الكنائس البروتستنتية في أمريكا الذين هدفوا «لإنقاذ أرواح أهالي الفلبين وكوبا الكاثوليك» بهديهم وإرشادهم إن أمكن للدين والمذهب المسيحي «الصحيح». المذهب البروتستنتي.

على كل حال وُقعت معاهدة باريس التي أنهت تلك الحرب في ١٠ كانون أول ١٨٩٨م. وكما ينص القانون الأمريكي قدِّمت المعاهدة لمجلس الشيوخ

(١٠) مثلما عملت بريطانيا بالكثير من «حلفائها» في العالم الثالث أثناء عدة حروب كالحرب العالمية الأولى مثلاً، وعدت الشريف حسين بن علي استقلال العرب لو حارب معهم ضد الأتراك وبعد ذلك غدروا به وبالعرب.

الأمريكي للموافقة عليها. وصادق الأخير عليها في ٤ شباط ١٨٩٩م. لكن وقبيل يومين من المصادقة على المعاهدة قامت ثورة في الفلبين على الولايات المتحدة هذه المرة، يرأسها الزعيم أجونالدو. وطالت الثورة هذه لأكثر من عامين وانتهت في ٢٣ آذار ١٩٠١م بعد أن أُسِرَ اجونالدو وأرسل للمنفى مع عدد من زعماء الثورة. وتَمَّ أَسْرُه بطريقة غير مشرفة للأمريكيين إذ دَرَّبَ الجنرال الأمريكي هناك (واسمه «فَنْسْتُون» Funston) بعض المرتزقة من الأهالي على السلاح وأوعز لهم بالتطوع في صفوف الثوار ليرشدوا الأمريكيين إلى أماكنهم وهكذا أُسِرَ اجونالدو وجمع من أعوانه(١١).

باشر أول حاكم مدني أمريكي عمله في مانِلا في ٤ تموز ١٩٠١م، واسمه وليم هَوارد تَافْتْ (Taft). وقد صار هذا رئيساً للولايات المتحدة بعد ذلك بثماني سنوات، ومن ١٩٠٩م إلى ١٩١٣م.

وفي ٢ تموز ١٩٠٢م أقرَّ الكنجرس الأمريكي ما سمِّي «قرار الفلبين» فيه أعلنت أمريكا أنها لن تبقى طويلاً في استعمارتلك الجزر. وكان الهدف من ذلك بالطبع تهدئة الأحوال في الجزر وتخدير أعصاب الوطنيين. وأقَر القرار أيضاً أن أهالي الفلبين هم «مواطني فلبين وليسوا أمريكيين»(١٢)، وبالطبع لنفس هدف التهدئة. وأسس القرار برلماناً للبلاد مكوناً من مجلس نواب ومجلس شيوخ وكما هو الوضع في الولايات المتحدة نفسها.

وافتتح البرلمان الفلبيني أبوابه أخيراً في تشرين أول ١٩٠٧م بعد إجراء انتخابات عامة وعلى أساس حق تصويت محدود يشمل إجمالاً أصحاب الأراضي والعقارات ومن يدفع ضرائب. وتكون في ذلك العام «الحزب الوطني» تزعمه

---

(١١) بقي أجونالد في المنفى خارج البلاد وبعدها حارب مع اليابانيين ضد أمريكا في الحرب العالمية الثانية. وقد مات في ٦ شباط عام ١٩٦٤م وهو يعد من قدماء أبطال الفلبين (١٨٦٩م - ١٩٦٤م).

(١٢) وكما صار لأهالي جزر هاواي مثلاً.

شخص اسمه سِرْجيو «أسْمِينو». وقد ظل هذا الحزب الوحيد في البلاد حتى استقلالها في عام ١٩٤٦م.

وفي انتخابات ١٩٠٧م حَظِي الحزب الوطني بكل المقاعد في البرلمان تقريباً وصار «أسْمينو» المتكلم الرئيس في الفلبين المطالب باستقلال بلاده. وقد تزعم الحزب بعد عام ١٩٢٢م السيد مانويل «كُويزُونْ»(١٣) وظل في زعامته حتى عام ١٩٣٥م حين أصبح رئيساً لدولة الفلبين «المستقلة تحت التجربة». ونشرح لاحقاً ما عنى ذلك.

وجاء لرئاسة الولايات المتحدة عام ١٩١٣م السيد وُودْرو وِلْسُنْ (Wilson) زعيم الحزب الديموقراطي هناك. ويجدر لفت نظر القارىء هنا بأن الحزب الجمهوري في أمريكا.. وهو حزب الرؤساء وليم مَكِنْلي وثيودور روزفلت ومن بعدهم وليم تَافْتْ الذين تعاقبوا الرئاسة منذ استعمار الفلبين.. كان وما زال الحزب الأمريكي الأكثر قابلية للاستعمار والتدخل في الخارج من الحزب الديموقراطي الذي تزعمه وِلْسُنْ. وقد ربح ولسن الرئاسة مطالباً بإعطاء الفلبين استقلالها وحقها «بتقرير المصير». وقد اشتهر ولسُن فيما بعد حين طالب في عام ١٩١٧م بحق المصير للشعوب ضمن «الأربع عشرة نقطة» التي اقترحها إذ ذاك لتكون أساساً لإنهاء الحرب العالمية الأولى. وكان من أهم تلك النقاط مطالبته «بحق شعوب العالم في تقرير مصيرها».

غير أن الرئيس ولسُنْ، وبعد أن اعتلى كرسي الرئاسة أبدى فتوراً تاماً في حق مصير أهالي المستعمرات الأمريكية، كالفلبين وكوبا وبورتو ريكو وغيرها. غير أن العديد من أعضاء حزبه في الكنجرس الأمريكي ظلُّوا يطالبون بالخروج من الفلبين ومنحها استقلالها. وأدَّى ذلك أخيراً لِسَنّ ما سُمِّي «قرار جُونْز» (Jones Act)(١٤) عام ١٩١٦م. وموجز ما أنجزه هذا القرار كان إعطاء صلاحيات أكثر للبرلمان الفلبيني

---

(١٣) تسمى الضواحي الجديدة من مدينة مانِلا اليوم «مدينة كويزُون».

(١٤) بعد اسم عضو الكنجرس الأمريكي الذي قدم القرار.

وليس إلّا. ويدعي المؤرخ الأمـريكي آرثـر لِنْـكْ (Link)[١٥] بأن جزر الفلبين، وبعـد خمس سنوات من ذلك القرار، أي قبيل انتهاء رئاسة ولسن في عام ١٩٢١م:-

«أخـذت أمـورهـا الإدارية والسياسية تجري بشكل ممتاز لدرجة أن الرئيس ولسن والحاكم الأمريكي في الجزر فرنسيس هاريسون طالبا بمنح الفلبين استقلالها رأساً».

وعلى الأرجـح أن ولسن، شأنـه شأن ساسـة أمـريكـا (ولليوم) كان «يلعب بموضوع استقلال الفلبين كرة القدم» على حد التعبير الأمريكي. حيث أنه من غير المعقول أو المصدَّق أن تصبح الجزر، وبقدرة قادر مؤهلة للاستقلال عام ١٩٢١م (وهـو عام خروجـه من سلطة الـرئـاسـة) ولم تكن مؤهلة قبل ذلك بأعوام لأخذ استقـلالها. وعلى كل الأحوال، كان الحزب الجمهوري المعارض لولسن لـه الأكثرية في مَجْلسي الكنجرس الأمريكي وكلاهما رفض ما طالب به وِلْسن والحاكم «الديموقراطي» هاريسون الذي عينه ولسن في الأصل ليحكم الفلبين.

وكـما هو معروف، ربح الحزب الجمهوري انتخابات الرئاسة عام ١٩٢١م بزعامة مرشحهم للرئاسة وَارِن هَارْدِنْج (Harding). وصار هذا رئيساً للولايات المتحدة من ١٩٢١م وإلى ١٩٢٣م. بعده ربح الجمهوري كالفن كولْدِج (Coolidge) من عام ١٩٢٣م وإلى ١٩٢٩م، وجاء بعده الرئيس الجمهوري أيضاً هربرت هوفر (Hoover) من ١٩٢٩م وإلى عام ١٩٣٣م. وظل الكنجرس الأمريكي أيامهم يُقر قراراً بعد الآخر كلهـا ماطلت في موضـوع استقلال الفلبين. وبتلك الأثناء عم الولايات المتحـدة الكساد الاقتصادي الهائل الذي بدأ في بورصة مدينة نيويورك في ٢٩ تشرين أول ١٩٢٩م وطال حتى قدوم الحرب العالمية الثانية. ويعود الفضل الأكبر في التحرك الأمريكي الأكيد صوب منح الفلبين استقلالها لذلك الكساد وليس إلّا. وكان ذلك على النحو التالي:-

كان من سياسات الولايات المتحدة الاقتصادية أيام استعمارها الفلبين إدخال

(١٥) A. Link American Epoch 1955.

كميات كبيرة من السكر الفلبيني للبلاد وبدون جمارك. وبدأ في العشرينات من هذا القرن ضغط من قبل أعضاء الكنجرس الأمريكي الذين مثلوا ولايات غربية في أمريكا.. كولاية كُولُرادو مثلاً، والتي تزرع الشمندر وتستخرج منه السكر (سُكَّر البَنْجَر) بكميات كبيرة مدعومون من رأسماليين مستثمرين في جزيرة كوبا وفي عدة بلدان في أمـريكـا الجنـوبية في مزارع قصب السكـر.. كل هؤلاء طالبـوا في الكنجرس بفرض الجمارك على السكر المستورد من الفلبين. وأخيراً ولما جاءت النكسـة الاقتصـادية المذكورة عام ١٩٢٩م اشتد صخب هؤلاء بحجة أن فرض الجمارك على سكر الفلبين سيفيد في تقليل البطالة في الولايات الغربية من أمريكا ويحسن من اقتصاد البلاد. ونتج عن ذلك أخيراً سن قرار في الكنجرس في ١٧ كانون ثاني ١٩٣٣م سمي قرار «هَاوْز - كَتِنْجْ». (Hawes - Cuttkng) أو قرار «استقلال الفلبين». ونص هذا أنه وبعد مرور اثني عشر عاماً من «حكم ذاتي تجريبي» في الجزر سَتُمْنح هذه استقلالها.. أي في عام ١٩٤٥م. كذلك أقر القرار بتحديد كميات السكـر المستـوردة من الفلبين وحـدد لدرجـة كبيرة هجرة ودخول الرعايا الفلبينيين للولايات المتحدة. وكل هذه التحديدات الاقتصادية كانت مرفوضة عند الفلبينيين. لذا ولما عرض القرار على الكنجرس الفلبيني رفضه مجلساه. البرلمان والشيوخ، وطـالبـا بدل الاستقـلال أن تصبـح الفلبين «دومِنْيون» (Dominion) أي مستعمرة مستقلة ولكن مرتبطة اقتصادياً بالولايات المتحدة مثلها مثل مستعمرات بريطانيا التي استقلت ضمن نطاق مجموعة الأمم في الكُمُنولْثْ البريطاني.

ورداً على ذلـك أقر الكنجرس الأمريكي في ٢٤ آذار ١٩٣٤م قراراً جديداً سُمي قرار «تايْدنْج ـ مَكْدفي» (Tyding - McDuffy) يخص الفلبين. ونص هذا على استقـلال الفلبين كما سبق، غير أنه أجَّل المواضيع المتعلقة بالاقتصاد والهجرة الفلبينية للمداولات الثنائية بين الطرفين فيما بعد. وقصَّر القرار الجديد هذا مدة الحكم الـذاتي التجـريبيـة لعشـر سنوات بدل اثنتي عشر سنة. وقُبِل هذا القرار الجديد من قبل الكنجرس الفلبيني في ١ أيار ١٩٣٥م وسارت البلاد صوب استقلالها.

ودُوِّن للفلبين دستور يشبه الدستور الأمريكي وصارت البلاد تحكم من نظام رئاسي. وفي عام ١٩٣٥م جرت انتخابات رئاسية ربحها الحزب الوطني الأوحد في البلاد بزعامة مانويل كويزون. وفي تلك الأثناء ظل هناك حاكم أمريكي يراقب ما كان يجري في البلاد وبقيت معه بعثة أمريكية عسكرية وبهدف تدريب جيش وطني ترأسها الجنرال الأمريكي دوجلاس «مَاكَارْثَرْ» (MacArthar) الذي اشتهر في الحرب العالمية الثانية لمحاربته القوات اليابانية في الشرق الأقصى وأخيراً انتصاره عليها.

الفلبين في الحرب العالمية الثانية وما بعد

هاجمت الطائرات الحربية اليابانية قواعد أمريكا العسكرية في الفلبين في نفس الصباح التي هاجمت فيه قاعدة «بيرل هاربر» الأمريكية في جزر هاواي. وجرى ذلك نهار ٧ كانون أول عام ١٩٤١م. بعدها باشرت القوات اليابانية نزولها في جزيرة لوزان الفلبينية، وقد لاقت تلك القوات مقاومة عنيفة من قبل الأهالي مع العلم أن الجنرال الأمريكي دوجلاس ماكارثر انسحب من هناك هو وقواته ورحل لأستراليا[١٦]. واشتهر ماكارثر بعدها بوعده لأهالي الفلبين يوم انسحابه بقوله: «إنني سأعود»[١٧]. وعاد كما وعد بعد أربعة أعوام تقريباً وأخرج اليابانيين من هناك.

ومن الدوافع الرئيسية للمقاومة العنيفة التي قام بها الأهالي لليابانيين كان ولا شك لأن هؤلاء كانوا في طريقهم للاستقلال الموعود من قبل الولايات المتحدة والذي كان سَيحلُّ في عام ١٩٤٥م، أي بعد أربعة أعوام من بدء الاستعمار الياباني. لذلك حاربوا الاستعمار الياباني باستماتة. وقابل اليابانيون تلك المقاومة بكل أنواع الوحشية.

ومع دخول اليابانيين هرب رئيس الفلبين كويزون مع نائب الرئيس سرجيو أُسْمِينُو إلى الولايات المتحدة وعاشا في المنفى في واشنطن طوال أيام الاحتلال

(١٦) لم يضاهي مقاومة الفلبينيين لليابانيين إلا مقاومة أهل فيتنام لهم أيضاً من قبل.

(١٧) قال ماكارثر "I shall Return"

الياباني للفلبين. ومات كويزون في واشنطن في آب ١٩٤٤م وأصبح رئيس الفلبين بالمنفى نائبه، سرجيو أُسْمِينُو.

وبغياب رئيس الحكومة تشكل في الجزر جيش مقاومة غير نظامي سُمِّي «جمعية مقاومة اليابانيين» الذي عُرف ذلك الاسم أكثر فيما بعد بمختصر جيش «هَكْ». وصارت قوات هَكْ هذه شوكة قوية في خاصرة الاحتلال الياباني. وقد كانت الطائرات الأمريكية القادمة من شمال بلاد برما تمده بالعتاد والأسلحة قدر ما أمكنها. وتزعم جيش هَكْ هذا رجل اسمه لُويس «تَارُوكْ» الذي بان فيما بعد بأنه شيوعي النزعة[١٨] وقد كانت نسبة كبيرة من أفراد جيش «هَكْ» من أبناء الريف الفقراء وخاصة الفلاحين المعدومين من ملكية أراضيهم. لذا أخذت الحكومات الفلبينية المتعاقبة (ولليوم) والتي ما زال يديرها أثرياء إقطاعيي البلاد يتهمون حركة هَكْ بالشيوعية. وبالطبع طالبت الحركة، وما زالت تطالب بالإصلاحات في ملكية الأراضي وبتوزيعها على فقراء المزارعين. وقد كنا ذكرنا من قبل أنه ومن أسوأ مساوىء الاستعمار الإسباني أنه ترك البلاد وبها أكبر نسبة من المزارعين معدومي ملكية الأرض التي يعملون بها في كل بلدان جنوب شرقي آسيا. وما زال الوضع هذا قائماً لليوم. وقد حاولت الإدارة الأمريكية تحسين ذلك الوضع نسبياً أيام الاستعمار الأمريكي غير أن تلك المحاولات فشلت ولتأصل الإقطاعية هناك والرفض البات عند الإقطاعيين، الأمريكيين والفلبينيين، أن يتخلوا عن أراضيهم الشاسعة. وما زالت الكنيسة الكاثوليكية أيضاً تعد من أعظم الإقطاعيين في البلاد[١٩].

انسحبت القوات اليابانية من الفلبين في آب ١٩٤٥م وعاد الجنرال الأمريكي

(١٨) أو هذا ما ادعاه رؤساء الفلبين المدعومون من الولايات المتحدة بعد الحرب، حيث إن حركة هك طالبت فيما بعد الحرب بتوزيع الأراضي على فقراء المزارعين وغير ذلك.

(١٩) لشرح مطول عن أسباب فشل المحاولات الأمريكية لتحسين وضع ملكية الأراضي راجع.
George M. Kahin ed, Governments and Politics of Southeast Asia, 1969.

ماكارثر إلى مانِلاّ. بعدها باشرت الترتيبات تدبر لاستقلال الجزر الذي أعلن أخيراً في ٤ تموز ١٩٤٦م. وجرت انتخابات رئاسية قبل ذلك ربحها زعيم حزب جديد (سمي الحزب الليبرالي) اسمه مانويل «رِكْسَاسْ» وصار هذا رئيس دولة الفلبين المستقلة تماماً عن أمريكا.

وظلت ثورة هَكْ أكبر مشلكة واجهتها الدولة بعد الاستقلال، إذ احتفظ الثوار بأسلحتهم بعد انتهاء الحرب وكانوا في الواقع ذوي السلطة الحقيقية في الكثير من القرى والريف الفلبيني خاصة في جزيرة لوزان الرئيسة. وباشر الثوار يحاربون حكومتهم المستقلة بعد خروج الأمريكيين خاصة بعد أن رفض أكثرية أعضاء الكنجرس من الحزبين الرئيسيين. الليبرالي الجديد والحزب الوطني السماح للأعضاء الشيوعيين السبعة الذين ربحوا مقاعد أن يستلموا مقاعدهم. وكان أحد هؤلاء زعيم حركة هَكْ لُويس تَارُوكْ. بعده التجأ تاروك مع آلاف من رجاله المسلحين إلى الجبال في الداخل وباشروا بمحاربة الحكومة المركزية في مانلاّ.

وقد نشط واشتهر في محاربة حركة هَكْ جنرال شاب اسمه رَامُون «مَاجْسَايْ سَايْ». لذلك عينه رئيس الدولة رِكْساسْ عام ١٩٥٠م وزيراً للدفاع. وفي انتخابات عام ١٩٥٣م رشح هذا نفسه للرئاسة وربح تحت شعار «الإصلاح الزراعي». وبالطبع بهدف إضعاف ثورة هَكْ. غير أنه لم ينجز شيئاً ملموساً في ذلك المضمار بعد دخوله مركز الرئاسة. أما في مجال السياسة الخارجية اتبع ماجسايْ سَايْ سياسة تقارب وتحالف مع الولايات المتحدة بما في ذلك إدخال الفلبين في حلف «جنوب شرقي آسيا» (المسمى مختصراً «سِيتُو») في أيلول عام ١٩٥٤م والذي دبرته الولايات المتحدة وصارت مانِلاّ عاصمة الحلف.

وأبرز ما جرى بالفلبين منذ رئاسة ماجسايْ سَاي ومن بعده رئاسة كارلوس «جارسيًّا» ومن بعده دِيُوسْدَادُو «مَكَاباجالْ» ومن بعده فرناند «ماركوس» الذي صار دكتاتوراً في البلاد من عام ١٩٦٥م وإلى أن أطاحت به السيدة كورازون «أكينو» عام ١٩٨٦م) كان كالتالي: -

١. التحالف التام والمتواصل مع الولايات المتحدة الأمريكية وخاصة في حلف سيتو المذكور[٢٠].

٢. حرب متواصلة مع حركة هَكْ المطالبة بالإصلاح الزراعي.

٣. عدم إنجاز أي إصلاح يذكر في ملكية الأراضي.

٤. مشاركة الفلبين في مؤتمر «باندُنج» وهو مؤتمر عدم الانحياز الذي انعقد في أندونيسيا عام ١٩٥٥م.

٥. حرب متواصلة في جزر سُولو الجنوبية وجزيرة مِنداناو مع الثوار المسلمين بما سميت «ثورة مُورُو».

٦. تعاظم التفارق الاقتصادي بين الفقراء والأغنياء في البلاد.

٧. معارضة الفلبين لتأسيس فدرالية «ماليسيا» وكما ذكرنا سابقاً في الفصل التاسع.

٨. أخيراً الإطاحة بالدكتاتور الفاسد المدعوم من أمريكا فرناند ماركُوس عام ١٩٨٦م وفي انقلاب عسكري ضده ورئاسة السيدة أكينو.

عمّان ١٩٩٠م

انتهت الدراسة والحمد لله

(٢٠) ما زال يوجد في الفلبين اليوم خمس قواعد حربية أمريكية عظيمة الحجم وهي:
قاعدة خليج «سُوبِكْ» البحرية.
قاعدة «كْلارْكْ» الجوية.
قاعدة «تارْلاَكْ» للمواصلات.
قاعدة جوية في مقاطعة «الوحدة» La Union
قاعدة جوية في «باجُو يو» Baguio

المــراجع الأجنبيّة

Abu-JABER, FAIZ Modern Political History (in Arabic) 1989.
Abu-JABER, FAIZ Southeast Asia Since Vasco da Gama 1977.
ALLen, G.C. Western Enterprise In Indonesia and Malaya, 1957.
ALmond, G.A. and J.S. Coleman Politics of the Developing Areas, 1960.
Barnett, A.D Communist China and Asia, 1960.
Bone, R.C. Contemporary Southeast Asia, 1962.
Brimmel, J.H. Communism in Southeast Asia, 1959.
Bro, M.H. Indonesia, 1954.
Brodrick, A.H. Little China, The Annamese Lands, 1942.
Buss, C.A. Southeast Asia and the World Today, 1958.
Bush, N.F. Thailand, 1959.
Butwell, R. Southeast Asia Today and Tomorrow, 1961.
Cady, J.F. Southeast Asia, 1964.
Cady, J.F A History of Modern Burma, 1958.
Coughlin, R.J. Double Identity; The Chinese in Modern Thailand, 1960.
Chambers, F. This Age of Conflict, 1950.
Champassak, S.N. Storm Over Laos, 1961.
Christian, J.L. Modern Burma, 1942.
Clubb , O.E.Jr. The United States and the Sino-Soviet Bloc in Southeast Asia, 1962.
Clyde, P.H. The Far East, 1962.
Cressey, G.B. Asia's Lands and Peoples, 1951.
Dobby, E.H.G Malaya and the Malays, 1947.
Dobby, E.H.G Southeast Asia, 1950.
Duchacek , H. Nations and Men, 1980.
Edwardes, M. Asia in the European Age 1498-1955,1962.
Eisenhowr, D.E. Mandate for Change, 1963.
Emerson, R. A study in Direct and Indirect Rule, 1937.
Emerson, R. From Empire to Nation, 1960.
Emerson, R. Malaysia, 1937.
Fall, B.D The Viet Minh Regime, 1954.

Fifield, R.H. The Diplomacy of Southeast Asia, 1958.
Fisher, L. The Story of Indonesia, 1959.
Fitzsimmons, T. (ed.) Thailand, 1957.
Ginsburg, N.S. (ed.) Laos, 1955.
Greene, F. The Far East, 1961.
Grunder, C.A. & Livezey, W.E. The United States and the Philippines, 1951
Hall, D.G.E A History of Southeast Asia, 1961.
Hall, D.G.E Burma, 1956.
Hammer, E. The Struggle for Indo-China, 1954.
Harris, G.L. North Borneo, Brunei, Sarawak, 1956.
Harrison , B. Southeast Asia, 1954.
Hayden, J.R. The Philippines, 1942.
Herz M.F. A Short History of Cambodia, 1958.
Higgens, B and J. Indonesia, 1963.
Horn, F. Orphans of the Pacific, The Philippines, 1941.
Holland, W.L. (ed.) Asian Nationalism and the West, 1953.
Inser, D. Thailand, 1963.
Jacoby, E. Agrarian Unrest in Southeast Asia, 1961.
Jenkins, S. American Economic Policy in the Philippines, 1954.
Kahin, G.M. (ed.) Governments and politics of Southeast Asia, 1969.
Kennedy, J. History of Malaya, 1962.
Kennedy, R. The ageless Indies, 1942.
Kirk, G. A Short History of the Middle East, 1961.
Landon, K.P.Siam in Transition, 1939.
Lasker, B. People of Southeast Asia, 1944.
Lewis, R. Indonesia, 1963.
Link, A. American Epoch, 1955.
Lunt, W.E. History of England, 1951.
Maung, M Burma, 1957.
Meeker, O. The Little World of Laos,1959.
Mcvey, R.T. (ed.) Indonesia, 1963.
Michael, F.H. & Taylor, G.E. The Far East, 1960

Miller, H. Menace in Malaya, 1954.
Mintz, J.S Indonesia, 1961.
Nu, T. Burma under the Japanese, 1954.
Ooi, Jin-Bee, Land, People and Economy in Malaya,1963.
Parkinson C.N. British Intervention in Malaya, 1960.
Pendleton, R.L. Thailand, 1962.
Prescott, J.K A History of the Modern Age, 1971.
Prestage, E. The Portaguese Pioneers, 1933.
Rose, S. Britian and Southeast Asia, 1962.
Schuman, F. International Relations, 1969.
Sjahrir, S. Out of Exile, 1949.
Smith, D.C The Land and People of Indonesia, 1961.
Smith, R.A. Philippine Freedom 1946-1958, 1958.
Smith, T.E. Population Growth in Malaya, 1952.
Spencer, J.E Land and People in the Philippines, 1955.
Steinberg, D.J. Cambodia, 1959.
Tawney, R. Religion and the Rise of Capitalism, 1926.
Thayer, P.W. (ed.) Southeast Asia, 1953.
Thompson, H. (ed.) Lands and People, vol.v., 1932.
Thompson, V. French Indo-china, 1937.
Thompson, V. Thailand, 1942.
Thompson , V. and Adloff, R. Minority Problems in southeast Asia, 1955.
Tinker, H. The Union of Burma, 1957.
Vandenbosh, A. The Dutch East Indies, 1942.
Vlekke, B.H.M. Nusantara, A History of Indonesia, 1960.
Winstedt, R. Britain and Malaya, 1941.
Winstedt, R. Malaya and its History, 1950.
Winstedt, R. The Malayas: A Cultural History, 1950.
Woodman, D. The Republic of Indonesia, 1955.
Worcester, D.C. The Philippines Past and Present, 1930.
Xenia, E.J and North, R. Soviet Russsia and the East, 1920-1927, 1957.

الفهرس

المؤلف

الدكتور فايز صالح أبو جابر

أستاذ شرفي، جامعة ولاية نيويورك، أمريكا.

ولـد في بلدة اليادودة بالأردن، وتخرج من مدرسـة المطران في عمان ثم التحق بجامعة سيراكوز في ولاية نيويورك بأمريكا حيث حصل هناك على البكالوريوس في العلاقات الدولية والماجستير والدكتوراهْ في العلوم السياسية. بعدها عَلَّم في جامعة ولاية نيويورك بمدينة أَسْويجو خمسة وعشرين عاماً وصار رئيساً لدائرة السياسة في الجامعة.

اشترك الدكتور أبو جابر مع الدكتور محمد مهدي في تأسيس «لجنة العمل» المتكلمة بلسان حال العرب في أمريكا وقد ظهر كثيراً أمام التلفزيون الأمريكي وأمام لجنة العلاقات الدولية في مجلس الشيوخ الأمريكي مبرزاً وجهة النظر العربية، وكان عضواً في اللجنة التنفيذية لدراسات الشرق الأوسط في جامعة ولاية نيويورك.

مؤلف كتب: ١ـ تاريخ جنوب شرقي آسيا (بالإنجليزية).
٢ـ شئون الشرق الأوسط (بالإنجليزية).
٣ـ علاقات العرب الأمريكية من وِلْسُنْ إلى نِكْسُون (بالإنجليزية).
٤ ـ الفكر السياسي الحديث (بالعربية)، دار الجيل، بيروت.
٥ـ ديوان شعر «الهِبِسْكِسْ» (بالعربية).
٦ـ التاريخ السياسي الحديث والعلاقات الدولية المعاصرة (بالعربية). دار البشير، عمان.

ونشر أكثر من أربعين مقالة سياسية في مجلات دورية حول العالم وعدة قصائد بالإنجليزية.